بسم الله الرحمن الرحيم

٥٢١
٤٠١١
٥٨٥

الجامعة الأردنية
كلية الدراسات العليا
برنامج اللغة العربيه للماجستير

أدب الأطفال

في الأدب العربي الحديث

الأطر والنظرية والتطبيق

اعداد الطالبة

زليخة عبد الرحمن أبو ريشة

٨
٢٦٤

باشراف

الأستاذ الدكتور محمود السمرة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لنيل درجة الماجستير في تخصص اللغة العربية في كلية الدراسات العليا - في الجامعة الأردنية

كانون الثاني ١٩٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الاردنية
كلية الدراسات العليا
برنامج اللغة العربيه للماجستير

أدب الأطفال

في الأدب العربي الحديث

الأطر والنظرية والتطبيق

اعداد الطالبة

زليخة عبد الرحمن أبو ريشة

باشراف

الأستاذ الدكتور محمود السمرة

قدمت هذه الرسالة استكمالا لنيل درجة الماجستير في تخصص اللغة العربية في كلية الدراسات العليا - في الجامعة الاردنية

كانون الثاني ١٩٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى الذي لولاه ما كان ممكناً أن أنتصر على شرطيّ البشري والاجتماعيّ .. وأنجز هذا العمل ....

زلنجة

١٩٨٩/١/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تنويـــــــــه

١. شكر وتقدير

أديـن شخصيا* لأستاذي الدكتور محمود السمرة على صبره ورعايته وتفهمـه من جهة وعلى افقه النقدي المفتوح على التراث والمعاصرة في وحدة بلا تناقض. وعلى كل درس قدمه إلينا عبر "ندوة الثلاثاء" ومحاضراته ولقاءاته وكتبه وآرائه النقدية الثمينة. ورحب إنسانيته..

وأشكر كل من كان له ضلع في توفير الدافعيّة لإنجاز هذا البحث او تقديم العون: صغيري" ربى وغيث، وأستاذي الدكتور نهاد الموسى، ومديري الدكتور دونالد شطي، والدكتور محمد صقر، وأصدقائي: عبد الرحيم عمر، وعبد الله رضوان، ونايف ابو صفيّة.

كما أشكر الأستاذ الدكتور نهاد الموسى والأستاذ الدكتور إبراهيم السعافين -عضو لجنة المناقشة - مرة اخرى على ملاحظاتهما القيّمة على البحث التي افدت منها كثير ا*.

ووحدي مسؤولة عن اي تقصير.

٢. ملاحظة مهمّة

الباحثة غير مسؤولة عن الاتجاه التذكيري في اللغة. فهي عندما تتحدث عن اديب الاطفال تقصد ايضا* اديبة الاطفال.. وعندما تتحدث عن الطفل تقصد الطفلة ايضا*.. الا" إذا أشار السياق الى خلاف ذلك.

زليخة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
التمهيد : في المصطلح	١٦
:- من الصغار؟	١٩
:- ما الطفولة؟	٢٣
:- مفهوم ادب الأطفال وحدوده	٢٤
الباب الأول :	
الفصل الأول :	
- لمَ هذا الفصل؟	٣١
- ادب الأطفال في التراث العربي	٣٣
:- العصر الجاهلي	٣٤
* مكونات ادب الأطفال الجاهلي	٤٣
الخطابة	٤٤
سجع الكهّان	٤٦
الشعر والغناء	٤٧
اغاني ترقيص الأطفال	٤٧
الأمثال	٥٢
القصص (أيام العرب، احاديث الهوى قصص الحيوان، قصص الملوك، اساطير العرب)	٥٤ - ٦٠
:- العصور الإسلامية والأموية والعباسية	٦١
القرآن الكريم	٦١
كليلة ودمنة	٦٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع	الصفحة

بخلاء الجاحظ ٦٧

الف ليلة وليلة ٧٠

الفصل الثاني : الإطار الفلسفي / الاجتماعي

- لم' هذا الفصل؟ ٧٣
- المفاهيم ٧٤
:- ما الفلسفة ؟ ٧٤
- ما القيم ؟ ٧٥
- أنواع القيم ومصادرها ٨٣
- المدرسة الاشتراكية ٨٥
- المدرسة الراسمالية ٨٧
- المدرسة الصهيونيّة ٨٩
- المدرسة العربية ٩٤

الفصل الثالث : الإطار النفسي/التربوي

- لم' هذا الفصل؟ ٩٩
- دراسات الطفولة .....
- لغة الأطفال ١٠٤
: - النظرية السلوكية ١٠٤
:- النظرية البيولوجية ١٠٥
:- النظرية التكوينية ١٠٧
:- النظرية التوليدية التحويلية ١٠٨
- تطور اللغة عند الأطفال ١١٠
:- الفونولوجيا (المرحلة الصوتية) ١١٠
:- المفردات والدلالات ١١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضـــــــــــــــــــــــوع	الصفحة

- :- التراكيب..... ١١٣
- القاموس اللغوي للطفل العربي..... ١١٥
- النمو الانفعالي (الوجداني) عند الأطفال..... ١١٨
- :- الغضب..... ١١٨
- :- الخوف..... ١١٩
- :- الغيرة..... ١٢١
- النمو النفسحركي عند الاطفال..... ١٢٢
- :- اللعب..... ١٢٢

الباب الثاني : النظرية

- لمَ هذا الباب؟..... ١٢٥
- في المفهوم..... ١٢٥
- ماهي هذه النظرية ؟..... ١٢٧

الفصل الأول : من؟

- لمَ هذا الفصل؟..... ١٢٨
- وجهة النظر النفسية..... ١٢٩
- وجهة النظر الاجتماعية..... ١٣٣
- :- موقف من الدوائر الثلاث..... ١٣٦
  - * الدائرة الإنسانية ١٣٦
  - * الدائرة القومية..... ١٣٦
  - * الدائرة الوطنية (أو الإقليمية المحلية)..... ١٣٨
- :- موقف من الإنسان العربي..... ١٣٨
- :- موقف من التراث والمعاصرة..... ١٥٠
- ثقافة اديب الأطفال..... ١٦٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضـــــــــــــــــــــــــوع | الصفحة

الفصل الثاني : لمه ؟ (أساليب الكتابة للأطفال في العملية الإبداعية)

- لمَ هذا الفصل؟..... ١٦٦
- لمَ يكتب أديب الأطفال؟..... ١٧٢
:- ليمارس طفولته ١٧٢
:- الفن والوعظ..... ١٧٢
:- الفن متعة ومنفعة..... ١٧٥
:- من أجل التعليم..... ١٧٦
:- الفن والأخلاق..... ١٧٧
:- الفن تطهير..... ١٨٣
:- الفن تأثير..... ١٨٤
:- الفن تعبير وانفعال..... ١٨٥
:- الفن محاكاة..... ١٨٨
:- الفن عدوى..... ١٩٠
:- الفن ترفيه..... ١٩١
:- الفن لعب..... ١٩٢
:- الفن خبرة..... ١٩٥
:- الفن ضرورة..... ١٩٦
:- الفن تغيير/ ثورة..... ١٩٩
:- الفن خلق..... ٢٠١
:- الفن إعادة صياغة للواقع..... ٢٠٣
- ما أدب الأطفال؟..... ٢٠٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضـــــــــــــــــوع	الصفحة

الفصل الثالث : ماذا؟ (مصادر ادب الأطفال ومحاذيره)

- لم هذا الفصل؟ ٢١٣
- مصادر ادب الأطفال ٢١٣
:- الخبرة ٢١٣
:- التراث الشعبي ٢١٧
:- التراث المكتوب ٢٢٤
:- التراث العالمي ٢٢٨
:- الإبداع الذاتي ٢٢٩
- محاذير ادب الأطفال ٢٢٩

الفصل الرابع : كيف؟ (قضايا فنية)

- لم هذا الفصل؟ ٢٣٥
- اللغة ٢٣٥
- الأسلوب ٢٣٩
:- من أسلوبية القرآن الكريم ٢٤١
:- من أسلوبية الأدب الشعبي واشكاله التعبيرية ٢٤٢
:- من أسلوبية السحر ٢٤٤
- الخيال ٢٤٩

الباب الثالث : التطبيق (الشعر)

- لم هذا الفصل؟ ٢٥٢
- لمحة تاريخية ٢٥٢
- سليمان العيسى ٢٥٢

٣٧٨٢٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضـــــــــــــــــوع	الصفحة

:- الخطاب القومي ٢٥٩

* صورة الوطن ٢٦١

* حديثه عن الوحدة ٢٦٣

:- الخطاب الفردي ٢٦٧

:- الخطاب البورجوازي ٢٧٤

:- اللغة ٢٧٤

* المفردات ٢٨٢

* المجاز ٢٨٨

الخلاصة ٢٨٦

المراجع والمصادر ٢٨٩

Abstact ٣١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة

البحث :مسوغاته ، أهدافه ، منهجه ، مصادره

ترجع صلتي بموضوع هذا البحث "ادب الاطفال" إلى نحو عشرين عاماً ، عندما بدأت المطابع العربية تنتج بلا رقيب الوانا شتى من سلسلات الكتب للاطفال مترجمة وغير مترجمة .. بإنتاج ذي مستوى صناعي عال ، ومضمون تربوي وفني منخفض، وعندما اتيح لي ان أدرس الموضوع واعنى به واحاول إعداد كتب للاطفال - صنعتها بنفسي - وجربتها على تلميذاتي..

وعبر السنوات الماضية انغمست انغماساً في التاليف للاطفال والكتابة في ادب الأطفال ، والتحريض على الاهتمام بالموضوع ، خصوصاً أن المكتبة العربية عبر السنوات العشرين الاخيرة قد فاضت بما فيها من مترجَم ومؤلَّف كتباً من جميع الاشكال والالوان والحجوم . وملأ ادب الأطفال التلفازات العربية والإذاعات، وراجت صحافة الاطفال ومجلاتهم ، وهجم هواة على التاليف للاطفال يستسهلونه حتى كثر هذا الغث وشكّل تهديداً حقيقياً لثقافة الاطفال وذائقتهم الادبية ، وأغرى الكتاب بإخراجه الانيق الراشدين والاطفال على حساب مضمونه اللغوي والفكري .وظهرت كتابات في موضوعات جليلة كالوطن والفداء بمعالجات سطحية واخطاء فادحة في توجيه الطفل وجدانياً ومعرفياً . وامتلأت كتب الاطفال بالاخطاء اللغوية وبركاكات في الاسلوب والتفكير لاحدّ لها...

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية لم يواكب الباحثون والدارسون والنقاد هذه الحركة السريعة في الطباعة والنشر والتاليف.. فليس في الادب العربي - بجدّ علمي واطلاعي -حتى الآن دراسات نقدية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تطبيقية تشفي الغليل . اما الدراسات الأدبية في الموضوع- إذا استثنينا بحوث المؤتمرات التي نشطت في السنوات الاخيرة - فإنها مستازال قليلة بالقياس إلى مافي المكتبة العربية الحديثة من مؤلفات للأطفال .

في ظلّ هذه الظروف، وامام هذا المشهد الثقافي المؤسف، ولحبي الشديد للأطفال، وإشفاقي عليهم مما يتعرّضون له من تربية ثقافية من جهة، ولإيماني بالمستقبل العربي الذي لاينهض إلا من خلالهم بما نؤسسه في بنيانهم الروحي والعقلي والوجداني والنفسي من صحّة .. سجّلت هذه الرسالة، ونهضت لها عبر السنوات المتاحة للبحث تقميشاً وجمعاً لكل كتاب او بحث او نشرة او مجلة استطيع الوصول إليها عن ادب الأطفال "بالإضافة إلى انغماس شبه كامل في قضايا هذا الأدب كما وصّحت.

هذا الجانب الشخصي والوجداني من الموضوع ...

اما الجانب الأكاديمي منه، فهو انّني لم اجد في معظم المراجع والدراسات العربية التي اطّلعت عليها - على اهميّتها وفائدتها - ان احداً قد عالج موضوع ادب الأطفال من وجهة نظر نقدية. لقد غلبت على هذه الدراسات وجهة النظر التربوية، بالرغم من ان بعضها قد تناول فنيّة الكتابة للأطفال ومايّنبغي ان تكون عليه القصة وبناؤها، والشعر وإيقاعه ... الخ ولا يمكنني في هذا المجال ان اغفل جهود من سبقني في درس ادب الأطفال من الباحثين العرب واخصّ بالذكر الأستاذ احمد نجيب اول من الّف في هذا الموضوع بالعربية، اذ صدر كتابه "فن الكتابة للأطفال" (عن دار الكاتب العربي، مصر) عام ١٩٦٨. وله عدد من المؤلّفات في الموضوع. ويتناول كتابه المذكور "بعض الإعتبارات التربوية والسيكلوجية" في الكتابة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للأطفال متحدثاً عن مراحل النمو عند الأطفال وعلاقتها بخصائصهم النفسية، وعن مراحل النمو اللغوي لديهم، وبعض السمات المميزة للغة العربية، وأضواء على أسلوب الكتابة، وموقف الأطفال من الأعمال الأدبية والفنية، ودور القصة في بناء شخصية الطفل. كما يبحث في "بعض الاعتبارات الفنية العامة" فيتناول القواعد الأساسية لكتابة القصة والدراما والشعر، ويبحث في "بعض الاعتبارات الفنية الخاصة" من حيث أهمية دور الوسيط بين الأدب والأطفال : الكتاب، الصحف، الإذاعة والتلفاز، المسرح، السينما... وهذا الكتاب يعتبر بحق مرشداً أولياً لمن يريد أن يلمّ إلماماً سريعاً بأدب الأطفال، إذ تتداخل فيه المسائل التربوية بالفنية بالنفسية بالإخراجية بالإنتاجية. وإذا كان المؤلف يسأل بعض الأسئلة التي طرحتها في باب النظرية، فإن إجاباته عنها تختلف عن إجابات هذا البحث بشكل واضح، ناهيك عن أنها إجابات سريعة لا أجدها تلبي حاجة المهتم هذه الأيام بعد مضي نيف وعشرين عاماً على صدور الكتاب - .

أما الباحث الآخر الذي لا بد من الإشارة الى جهده فهو الدكتور علي الحديدي في كتابه : "في أدب الأطفال" وقد صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٧٢، ويمكن أن نعتبر هذا الكتاب مرجعاً مكملاً لأحمد نجيب في بحث مسائل أدب الأطفال، إذ يزيد عليه في الجانب التاريخي لأدب الأطفال، وفي بحث "فن حكاية القصة للأطفال"، ويمضي بتفصيل أكبر في الأجناس الأدبية ومقاييسها في أدب الأطفال، بكلام أكثره أُرسله المؤلف إرسالاً من ذات فكره ورأيه.

وثمة باحثون آخرون لا بد من الإشارة إلى جهودهم السابقة لهذا البحث وهم : الدكتور هادي نعمان الهيتي (١٩٧٧)، وعبد الله أبو

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هيف(١٩٨٣)، وعبد الرزاق جعفر (١٩٨٥) وعبد العزيز المقالح في كتابه "الوجه الضائع"، بالاضافة الى عدد من أوراق المؤتمرات.

ومع تقديرنا البالغ لهذه الجهود إلاّ أنّ النظرة التربوية تغلب عليها. ولذلك نستطيع أن نقول بشيء من الطمأنينة إن دراسات ادب الاطفال في اللغة العربية تخلو تماماً من نظرية نقدية تؤسّس للنقد التطبيقي وتفتح الطريق أمامه. واعتقد أنّ غياب مثل هذه النظرية كان أحد الأسباب في تخلّف نقد ادب الاطفال العربي.

تحاول هذه الدراسة أن تقدّم للمهتمين بادب الاطفال، كتّاباً ونُقّاداً، عدداً من المحاور هي:

* صلة أدب الأطفال الحديث بالقديم (الأدب الجاهلي، والإسلامي، والعباسي). ذلك ان هذا المحور يحاول ان يؤكد ان ادب الاطفال لاينبغي أن ينبتّ عن ادب الكبار انبتاتاً كاملاً، فإنه لن يغير الأطفال- بل سيمتّعهم ويفيدهم ويصلهم بتراثهم - ان يتعرضوا لنصوص أُلّفَت للكبار، على ان يتمّ ذلك باختيار دقيق واع.

* صلة ادب الاطفال - من حيث هو جنس ادبي - بفلسفة المجتمع الذي ينتمي إليه هذا الادب. ذلك أنّ الادب لا يُنبتُ في فراغ من فلسفة، ولابُدّ له من أن ينطلق من قاعدة فكريّة يعبّر عنها، وإلا صار لوناً من اللهو والعبث (العبث لا بالمعنى الفلسفي للكلمة) وقد ظهرت الحاجة إلى هذا المحور بعد الاطلاع الطويل على الإنتاج الفعلي في أدب الاطفال العرب المترجَم والموضوع، حيث تبدّت الغربة الثقافية، والتفكك القيَمي، والضياع التدريجي للهوية.. وحيث أغرق الأطفال العرب بمواد ثقافية تروّج لقيم الاستهلاك، والفردية، والحرية السائبة، والبورجوازية المترفّعة.. وتجوهلت في هذه المواد فلسفة المجتمع العربي ورؤاه المستقبلية ومشروعه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحضاري ... فكان هذا المحور ليحذر من الاستهتار بالبُعد الفلسفي ، وليبيّن كيف تؤسّس الأمم ادبَ اطفالها على فلسفتها بعد ان يمتلك كُتّابها رؤية واضحة لها .

* صلة ادب الاطفال بالتربية وعلم النفس، من حيث ان هذا الادب خطاب لمتلقّين لهم حاجاتهم العقليه والنفسيه والجسدية والروحية والانفعالية . وان جمهور هذا الادب له خصوصيّة النمائية ، ولذلك كان على خطابهم ان يختلف عن خطاب الراشدين سواء ماكان متعلّقاً بموضوعات الاهتمامات، او بلغة الخطاب، اوباسلوبه . فقد درج كثير من ادباء الأطفال على مخاطبة الاطفال بلغة الراشدين ومصطلحاتهم ، غير متبصّرين بخصائص تطوّر لغة الطفل ، او على مخاطبة ' الاطفال بإسفاف لغوي وتبسيطي يسخّف الطفل ، ويتعامل معه على انه كائن مُعَوّق او غبي..

* تقديم مقترح لنظرية في ادب الأطفال، تطمح أن تسد ثغرة مسؤولة الى حد بعيد عن غياب نقد منهجي لأدب الأطفال ، وتعثّر المتوافر منه ، واتّصافه بالانطباعية من جهة ، وانطلاقه من التربية ونظريّاتها وعلم النفس التربوي ونظريات التعلم ، من جهة ثانية . وقد حاولت هذه النظرية أن تجيب عن الأسئلة التالية : من ، ماذا ، لمه ، كيف. اذ تقترح الباحثة هذه الأسئلة ليكون جماع إجاباتها هي النظرية . وتهدف (مَنْ) إلى البحث في خصائص اديب الأطفال ومكوّناته ، أي البحث في المُبْدِع . و(ماذا) تهدف إلى البحث في المادة الإبداعية ومصادرها ، وتبحث (لمه) في العمليّة الإبداعية ونظرياتها ، اما (كيف) فتبحث في فنيّة الكتابة وبعض قضاياها الخاصة بادب الاطفال .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* والمحور الاخير هو محور النقد التطبيقي حيث جرت محاولة لدرس ديوان شعر للاطفال للشاعر سليمان العيسى، في محاولة لنقد تطبيقي يجرّب بعض المقولات النظرية التي يمكن ان تنطبق على هذا الشعر.

* * *

اما منهج الدراسة فينطلق من تصوّر فكريّ لما ينبغي ان يلمّ به ويتحرّك في حدوده أديب الاطفال وناقد ادب الاطفال. ولذلك بُني البحث في تمهيد وثلاثة ابواب، وكان ذلك على النحو التالي:

١ - التمهيد، وتناول مصطلح "ادب الاطفال" وفصّله في مفهومين: الطفولة، والادب، في محاولة لتحديد منطلق وإطار للدراسة حتى يتشتت البحث، ولاتتداخل معالمه. وتحددت الطفولة بالعمر من الولادة إلى الثانية عشرة، او مابعدها بقليل. وتحدد ادب الاطفال في مفهومه الموسوعي الذي يشمل كل مايكتب للاطفال ماكان منه مقروءاً أو مسموعاً أو مرئياً مسموعاً.. للانتفاع بنتائج البحث - باعتبار الكتابة والإنتاج التلفازي والإذاعي والمسرحي اعمالاً فنية إبداعية - إلى اقصى مدى ممكن في كل مجال من مجالات ثقافة الاطفال. كما تناول التمهيد حدود ادب الاطفال اي ما الذي ندعوه ادباً للاطفال ولمه. وذلك بالاعتماد على مبدأين:

- القصدية في الكتابة للاطفال.
- ملاءمة الأدب للاطفال سواء اكتب لهم ام كتب للكبار.

٢ - اما الباب الاول فيتصل بالاطر التي تشكّل الخلفية النظرية الضرورية لأدب الاطفال. ويتألف هذا الباب من ثلاثة فصول.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتناول الفصل الأول الإطار التاريخي لأدب الأطفال العرب، لأن جميع الموسوعات والمصادر الغربية وسواها تركز في استعراضها التاريخي على ما انجزه الغرب، ولايذكرون العرب من قريب أو بعيد... ولأن هذا الإطار التاريخي يشكّل خلفيّة استنادية لأديب الأطفال ولهذا البحث ايضاً في طرحه للتراث ولأدب الكبار مصدراً من مصادر مادة أدب الأطفال. وقد استعرض هذا الفصل بأدلة نقلية وأخرى استنباطية عقليّة ما الذي قرأه الطفل العربي وسمعه وتأثّر به وكوّن حياته الثقافية، من العصر الجاهلي وإلى العصر العباسي، وقد فصّلت الباحثة في العصر الجاهلي لغموض هذا العصر وقلة ماعرف عنه، وأوجزت وتخيّرت فيما يتصل بالعصر العباسي وذلك خشية الاطال والتفصيل، فيما حق الايجاز.

وتناول الفصل الثاني من الباب الأوّل الإطار الفلسفي الاجتماعي متوقفاً عند القيم باعتبارها فيصل فلسفة اي مجتمع، مستعرضاً بعض تعريفاتها لاستخلاص خصائصها : الإنسانية والذاتية وتأثرها بالخبرات، ونسبيتها، وتوجيهها لسلوك الأفراد، وأنها غاية لاوسيلة. وتوقف الفصل عند انواع القيم ومصادرها، وطرح ضرورة أن يكون لكل مجتمع فلسفة، وأن هذه الفلسفة هي التي على اديب الأطفال ان ينطلق منها.. ولذلك استعرض الفصل جانباً من جهود المدرسة الاشتراكية، والمدرسة الرأسمالية، والمدرسة الصهيونية في نقل فلسفاتها إلى أطفالها من خلال ادبهم.. وبالنسبة للمدرسة العربية بيّنت الباحثة الصعوبات التي تعيق قيام فلسفة اجتماعية واضحة للمجتمع العربي المعاصر، فهي فلسفة شديدة الاضطراب بسبب العوامل السياسية والاقتصادية وطبيعة المرحلة التي يمرّ فيها المجتمع العربي. وتقترح مجموعة من القيم لتكون أساساً لرؤية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلسفية /اجتماعية ناهضة ، كما تقترح سمات لنظام قيم عربي - كما يفضل ظهوره في ادب الاطفال .

وبحث الفصل الثالث الإطار النفسي/التربوي حيث تناول اهم مايتصل من هذا الإطار بادب الاطفال ومنه :

- لغة الاطفال، واستعرضت الباحثة النظريات المتعلقة بهذا الموضوع مقترحة نظرة تكاملية الى هذه النظريات للاستفادة من حسناتها وتجنّب مثالبها ونواقصها او عيوبها . كما تناولت الباحثة تطوّر اللغة عند الطفل في مراحله المختلفة ، والقاموس اللغوي للطفل العربي واهمية اطلاع اديب الاطفال عليه .
- النمو الانفعالي (الوجداني) للاطفال ، حيث توقفت عند اهم هذه الانفعالات: الغضب، الخوف، الغيرة .
- النمو النفسحركي للاطفال ، حيث درست الباحثة اللعب فقط، وصلته بادب الاطفال :التمثيل، ورسوم كتب الاطفال، والتفاعل مع الوسائط التكنولوجية المتطورة التي تحمل ادب الاطفال، بالرقص وسواه .

٣ . اما الباب الثاني فقد تناول النظرية ، ويتالف هذا الباب من تمهيد واربعة فصول .

تناول التمهيد مفهوم " النظرية " ثم اسئلة تؤدي إلى تحديدها

وتناول الفصل الاول السؤال (من) ، حيث مضى يرسم السمات الشخصية للاديب من حيث هو مبدع اولا ، ومبدع للاطفال ثانيا ، مستعرضا وجهتي النظر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأولى: وجهة النظر النفسية، حيث تناولت بعض الدراسات المهمة في الموضوع (ماييز، جيلفورد، مصطفى سويف، عز الدين اسماعيل) واقترحت بعض الخصائص للمبدع منها: القدرة على بذل النشاط والاستمرار في العمل، الذكاء الجمالي، الخيال الابتكاري، الحكم الجمالي، الأصالة، الطلاقة، المرونة، القدرة على التقويم، التجربة الخصبة، لقاء تجربتي الماضي والحاضر، الخصائص الفراسية.

الثانية: وجهة النظر الاجتماعية؛ وهذه تطرح الالتزام كشرطٍ لازمٍ للفنان أو المبدع وتطرح الباحثة التزام أديب الأطفال العربي في ظلال مرحلة تغلي بالأحداث وظروف بالغة المرارة والتعقيد. وتقترح لهذا الأديب - جزءاً من التزامه - موقفاً من الدوائر الثلاث التالية:

- الدائرة الإنسانية والهموم العامة بغض النظر عن الثقافة، واللون، والجنس، والدين، والعنصر... والاهتمام بالقضايا الإنسانية التي تهدّد الإنسان ومستقبل البشرية.... وهذا يُعين في إنتاج أدب إنساني لايتقوقع في محليّته او خصوميّته الضيقة.
- الدائرة القوميّة، حيث الالتزام بقضايا الأمة العربية ومسالة الوحدة العربية والمشروع الحضاري للأمة...
- الدائرة الوطنية (أو الاقليمية المحلية)، حيث الاهتمام بالوسط المحيط بالطفل وبيئته القريبة والمؤثرات الطبيعية والاجتماعية والثقافية المباشرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما ان الباحثة تقترح بالإضافة إلى موقف من الدوائر السابقة، موقفاً من الإنسان العربي وهمومه عامة مما يتصل بالديمقراطية والحريات العامة، ومما يتصل بموضوع المرأة والرجل ومسألة الجنسوية التي صارت - في رأي الباحثة - مسألة ملحّة تحتاج الى حل من اجل نهوض اجتماعي سويّ، وتخليص ادب الأطفال من المواقف الفكرية والتطبيقية المتحيزة من المرأة.

كما انها تقترح موقفاً من التراث والمعاصرة، محدّدة ما التراث، ومقترحة موقفاً نقدياً واعياً منه، ومعاصرة تقدمية حقيقية تعتنق الحداثة موقفاً فلسفياً: يتعامل مع مشكلات العصر وحاجاته بانفتاح ووعي... وكل ذلك من اجل ان يتجنّب الأطفال موقفاً تعصبياً من التراث، او موقفاً رافضاً تماماً له...

ثم تناول الفصل ثقافة اديب الأطفال وما ينبغي ان يكون عليه.

اما الفصل الثاني من الباب الثاني فكان جواباً للسؤال (لمه ؟) اي اسباب الكتابة للأطفال، اي وظيفة الفن وطبيعة العملية الإبداعية.

واستعرضت الباحثة في هذا الفصل اهم النظريات النقدية التي رات انها تتصل بادب الأطفال بسبب. ومن هذه النظريات والدراسات والمواقف كان مايلي :-

الفن والاخلاق، الفن والتعليم، الفن والوعظ، الفن متعة ومنفعة، الفن تطهير، الفن تاثير، الفن تعبيروانفعال، الفن محاكاة، الفن عدوى، الفن ترفيه، الفن لعب، الفن خبرة، الفن ضرورة، الفن تغيير (ثورة)، الفن خلق، الفن إعادة صياغة الواقع، ثم ختمت الفصل بمحاولة لتطويع جماع هذه الآراء والنظريات لنظرية في ادب الأطفال تاخذ من كل واحدة شيئاً، حتى تكاملت صورة"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مالهذه النظرية، مقترحة المنهج التكاملي القادر وحده -في راي الباحثة- على هذه العملية الشاقة.

وخلال ذلك لم تقتصر الباحثة على اراء الغربين في هذه النظريات بل حاولت الوقوف عند آراء بعض النقاد والفلاسفة العرب من القدماء والمحدثين.

اما الفصل الثالث من الباب الثاني فكان للجواب عن السؤال (ماذا) اي عن المادة الإبداعية التي تقدم للأطفال. واقتصرت الباحثة على مصادر ادب الأطفال ومحاذير الكتابة للأطفال. اما المصادر فاقترحت: الخبرة، والتراث الشعبي، والتراث العربي المكتوب، (وهنا اقترحت مشروعاً للاستفادة من التراث المكتوب كما هو - يقوم على الاختيار الدقيق)،والتراث العالمي، والإبداع الذاتي.

اما الفصل الرابع من الباب الثاني فكان للجواب عن السؤال (كيف؟) حيث تناولت الباحثة القضايا الفنية التالية:

* اللغة
* الأسلوب: واقترحت الاستفادة من اسلوبيات: القرآن الكريم، واسلوبيات الأدب الشعبي واشكاله التعبيرية، واسلوبية السحر (باعتبار التداخل مابين السحر والفن)
* الخيال

اما الباب الثالث فكان في النقد التطبيقي. وكان ذلك على "ديوان الأطفال" للشاعر سليمان العيسى، حيث تناولت الباحثة السبب الذي جعل الشاعر يكتب للأطفال كما اعلنه في غير مرجع وموقع. وناقشت الباحثة الشاعر في آرائه واسلوبه المعلن في الكتابة للأطفال. وتوقفت عند المحاور التالية:

- الخطاب القومي، وكيف عبّر عنه في صورة الوطن الجميل المهفهف، وفي حديثه المباشر عن الوحدة (من خلال الشعارات).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الخطاب الفردي، حيث بينت الباحثة ان الشخصية المحورية في الديوان كانت شخصية الشاعر نفسه، والشاعر عموماً (وهو صورة مجسّدة للشاعر نفسه)، كما بينت الباحثة صورة (انا) الطفل التي يبرزها الشاعر ويركّز عليها ويباركها ويشجعها ويقيم بعض شعره حولها. وتناولت هذه الذاتية من مرجعيّتها الرومانسية وملتها بالإلهام والخوارق وقدرة الشاعر العجيبة على اجتراح الاعاجيب.

- الخطاب البورجوازي، وبيّنت الباحثة كيف ان الشاعر برغم نشاته الكفاحية ومعاناته النضالية، إلا انه وقع في فخّ الاهتمامات البورجوازية وكانه يخاطب في هذا الديوان ابناء طبقة بعينها دون اخرى، في حين انه يتوجّه نظرياً لكل اطفال العرب.

اما اللغة فقد تناولتها الباحثة من حيث الفاظها ودلالات هذه الالفاظ، ومن حيث تراكيب الشاعر ومجازاته التي تشكل مشكلة حقيقية في فهم شعره وتذوقه، وهي مسالة يعلن الشاعر انه لايوليها اهتمامه، لأن الشعر للأطفال عنده للحفظ والنشيد واكتساب الإيقاع، لا للفهم والتفكير.

وحذّرت الباحثة من ان هذه الاحكام النقدية ليست مطلقة على جميع شعر الشاعر للأطفال بل هي محصورة في نطاق هذا الديوان فحسب.

* * *

اما مصادر الدراسة فقد كانت متنوّعة تنوعاً شديداً بحسب موضوع كل فصل من الفصول.. فقد حاولت الباحثة ان توظّف ثقافتها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العامة بالإضافة إلى ثقافتها في الادب والفن وادب الاطفال، منطلقة من الاعتقاد ان على الاديب والناقد ان يكتب بجماع نفسه وروحه وثقافته. وقد جاءت هذه المراجع على انواع:

١ - الموسوعات العالمية؛ وهذه كانت باللغة الانجليزية. ومنها موسوعات بريطانية وامريكية وسوفياتيه ويهودية. ولم تجد في اي موسوعة عربية - مع الاسف - شيئا يتصل بادب الاطفال.

٢ - الدراسات النقدية في الادب والفن، مترجمة ومن اتجاهات شتى (كولنجوود، فيشر، ستولنيتز، لالو، ا. ريتشاردز، ويليك. هيربرت ريد، بيلنسكي..)، وموضوعة (عز الدين اسماعيل، زكريا ابراهيم، مصطفى سويف، محسن الموسوي، إحسان عباس، حسين مروة، جابر عصفور، نبيلة ابراهيم، ادونيس، سهير القلماوي، جورج طرابيشي، عبد الله رضوان)....

٣ - دراسات في ادب الاطفال: بالانجليزية (جين يولين، ماكنتوش، جيتس) ومترجمة (جون إيكن)، وموضوعة بالعربية. (احمد نجيب، علي الحديدي، احمد ابو عرقوب، احمد المصلح، هيفاء شرايحة، هادي نعمان الهيتي، عبد الله ابو هيف، احمد ابو سعد، سمر روحي الفيصل، حسن الباش، عبد التواب يوسف ...)

٤ - بحوث مؤتمرات وندوات ادب الاطفال (سيد عويس، عبد التواب يوسف، زليخه ابو ريشة، بحوث الندوة العالمية لكتاب الطفل القاهرة، ندوة ادب الاطفال في الاردن الواقع والتطلعات، بحوث ندوات الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية ....)

٥ - دراسات في الفكر والفكر القومي: سعد الدين إبراهيم، حسن الإبراهيم، بحوث دراسات الوحدة العربية، بحوث منتدى الفكر العربي، محمد ربيع، حسن حنفي ....).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦ - دراسات وكتب تراثية: (القرآن الكريم، ابن هشام، الجاحظ، ابن المقفع، ابن طباطبا، حازم القرطاجني، الأصفهاني، ابن الجوزي، ابن سلام الجمحي، البغدادي، القيرواني، المسعودي، ابن قتيبة).

٧ - دراسات أدبية ودينية وتاريخية متنوعة: (ناصر الدين الأسد، شوقي ضيف، احمد امين، صبحي الصالح، ليلى سعد الدين، فوزي العنتيل، فدوى مالطي دوجلاس، كوهين).

٨ - دراسات لغوية: بالعربية (ميشال زكريا، إبراهيم السامرائي، جورج كلاس) وبالإنجليزية (بار ادون، فرانسيس....).

٩ - دراسات تربوية ونفسية: بالعربية مترجمة وموضوعه (عبد الملك الناشف، مصطفى فهمي، جابر عبد الحميد جابر، فؤاد البهي السيد، نورمان جروتلند، ليندا ويليامز...)
وبالإنجليزية (مايروجيروم، داث، هت، هارلوك).

١٠- كتب للأطفال: موضوعة ومترجمة (سليمان العيسى، كتب من الإنتاج الأردني، كتب من الإنتاج اللبناني، كتب من الإنتاج العراقي، كتب كامل الكيلاني، حكايات الاخوين غريم، لافونتين.....)

١١- كتب للأطفال بالانجليزية:

* * *

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد،

فإن الباحثة ترجو انها حاولت مخلصة أن توضح بهذه الدراسة المتواضعة وجهة نظرها في أدب الأطفال، وأن تقدم إضافة يسيرة برغم اخطائها -التي سببها الانصياع للشرط الإنساني- إضافة ضئيلة جداً في مجال ادب الأطفال.

زليخة أبو ريشة

عمّان

١٩٨٩/١/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمهيد

يعتبر تحديد المفاهيم خطوة أولى وأساسيّة في أي بحث. فعلى ضوء هذه الخطوة نتلمس طريقنا من غير خَبْطٍ في ظلماتِ المصطلح، أو تيهِ الغموضِ والاضطراب. إن تحديد المقصود من المفاهيم الأساسية التي ترد في عنوان البحث بصورة خاصة، يحدّد البحث، ويحصره، ولا يُبقيه فضفاضاً يسهل النفاذ إليه أو الضياع فيه، وهذا ما فعلناه في المقدّمة عندما حدّدنا آفاق البحث ومراميه. ويبقى علينا أن نقف عند مصطلح "أدب الأطفال" الذي هو عمود هذا البحث.

في المصطلح:

مصطلح "أدب الأطفال" مصطلح حديث نسبياً لحداثة هذا الحقل المعرفي من الاهتمام. وإذا كنّا لا نعلم على وجه الدقة أول استخدام مكتوب لهذا المصطلح، فانه من المنطقي الاعتقاد أنّه لم يشع في الاستخدام إلاّ بعد ظهور كتب خاصة بالأطفال في الغرب. وهو ما سنفصّله فيما بعد. فبعد أن بدأ الغرب حركته المهمّة في الكتابة للأطفال- دون أن نغفل أهمية الانجازات المتفرقة التي تمّت في الحضارات الاخرى في هذا المجال(١)، والتي لم تؤد إلى تأسيس اتجاه في الكتابة أو التأليف للأطفال- لا نشك أنّ المصطلح صار يستخدم على نحو: أدب الاطفال، الكتابة للأطفال، التأليف للأطفال، كتب الأطفال، تدريس الأدب للأطفال.. إلى أن ظهرت إلى الوجود

---

(١) من ذلك القصص المصورة للأطفال في الحضارة الفرعونية، وفي الحضارة الهندية القديمة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكتابات النقدية حول ما يكتب للأطفال، وظهرت تلك المجلات المتخصصة بأدب الأطفال التي اخذت في نشر مقالات نقدية حول هذا الأدب، ومن أمثلة ذلك مجلة "البوق"(١) التي تأسست في الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٢٤(٢). كما أن الكتابات التي انشئت حول دور الأدب واهداف تدريسه في المدارس ساهمت في بلورة المصطلح. ومن أمثلة هذه الكتابات المبكرة في تحديدها الواضح ما قدمه ج.ف هوسك(٣) لأهداف تدريس الأدب قبل خمسة وستين عاماً.

واذا كنا لسنا بصدد أن نحدد زمان ظهور هذا المصطلح في العالم تحديداً دقيقاً لما يحتاجه من كلفة في البحث، ومؤونة تخرج بنا عن غايتنا الآن، إلا أننا نستطيع أن نطمئن إلى أن الأمر نفسه ينطبق على استخدام المصطلح في الأدب العربي- الذي هو مدى بحثنا. وهو ما سيتضح بصورة أكثر جلاءً عند الحديث عن تاريخية أدب الاطفال العربي الحديث.

---

(١) Horn Book Magazine.

(٢) انظر: New Standard Encyclopedia, Chicago, Vol 7, p. 312

(٣) J.F. Hosic حيث قال هوسك ان من اهداف تدريس الأدب للطلاب: "التوسيع والتعميق والاغناء لحياة الطالب الخيالية، واثارة الاعجاب بالأفراد العظام في الأدب سواء كانوا مؤلفين او شخصيات كتب عنهم، واثارة الاستمتاع بالقراءة للوصول الى مستويات متقدمة اعلى، ولاطلاع الطالب على معرفة واسعة في مجالات الادب ومحتواه" انظر

Lonsdale, J., Benard and Mackintosh, Helen k., Children Experience Literature, Random Huose, New York, 1973, p.5

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاذا خلصنا الى المصطلح وجدنا انه يتالف من مفهومين كبيرين هما :

- الادب
- الطفولة

فاذا اجتمعا معا، كونا مفهوما جديدا ليس ضمنا للمفهومين معا وانما تعديلا لكليهما. فما طبيعة هذا الادب؟ وما هي حدوده ؟ ومن هم الاطفال الذين يستقبلونه ويتلقونه ؟؟(١)

وقبل ان نبدا في تحديد المفاهيم، لا بد ان نشير إلى ان مفهوم "ادب الاطفال" من المفاهيم الخلافية -كشان عدد كبير من المسائل والمفاهيم في مجال الانسانيات- فما من إتفاق او إجماع او شبه إجماع على حدوده كاديب وكطفوله. كما ان من المهم ان نشير إلى ان المصطلح يتخذ لنفسه اشكالا متعددة. او باصح التعبير يظهر في الكتابات والاستخدامات في صور متعددة، فتارة " هو ادب الاطفال"، او ادب الطفل، او "ادب الصغار"، او" ادب الأولاد"، او" ادب الاحداث" فاي هذه التسميات افضل؟

---

(١) نتحوط من استخدام " يقراونه " لان الاطفال قد يستمعون الى ما يلقى عليهم من ادب (قصص، حكايات، اشعار، مسرح،...الخ).

(٢) انظر : Meyer, William & Dusex, Jerome B., Child Psychology A Developmental Perspective, D.C. Health and Company, Lexington Massachusetts, Toronto, 1979 .

(٢) مثل المجلس العربي للطفولة والتنمية.

(٣) مثل المجلس العالمي لكتب الصغار والمجالس الوطنية المنبثقة عنه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من الصغار؟(١)

يقف هذا المفهوم وجهاً لوجه في مقابل مفهوم " الكبار"، فمن ليس كبيراً فهو صغير بالضرورة، فمن الكبار إذن؟ هل هم البالغون (مراهقين وراشدين) ؟ ام الراشدون فقط؟

في لسان العرب "" الصَّغَرُ: ضد الكِبَر.. والاصغارُ من الحنين: خلافُ الإكبار... ويقولُ صبيٌّ من صبيان العرب إذ نُهيَ عن اللعب: انا من الصَّغَرة اي من الصِّغار"(٢).

وفي لسان العرب ايضاً "كَبُرَ بالضم، يكبُرُ اي عَظُم فهو كبير. إبن سيده: الكِبَرُ نقيضُ الصِغَر، كبر كبراً وكُبراً فهو كبير وكبار وكُبّار، بالتشديد، إذا افرط، الأنثى بالهاء، والجمع كبارٌ وكبّارون.. والصبي بالحجاز إذا جاء من عند معلّمه قال: جئتُ من عند كبيري... والاكبار... وذلك ان المرأة اول ما تحيض، فقد خرجت من حدّ الصغر الى حدّ الكبر، فقيل لها: اكبرتْ، اي حاضتْ، فدخلتْ في حدّ الكبر الموجب عليها الأمرَ والنهيَ (٣)... والكبرُ في السنّ. وكبرَ الرجلُ والدّابةُ يكبَرُ كبراً ومكبِراً بكسر الباء فهو كبير: طعن في السنّ... والكبرُ: مصدر الكبير في السنّ من الناس والدواب".

ونفهم من لسان العرب- وهو هاهنا نموذج للفهم التراثي العربي للمصطلح- انّ الكبير هو الطاعن في السنّ، وانّ الكبير ايضاً من غادر الطفولة بالبلوغ. فتخرج المراهقة عندئذ من الحساب.

---

(١) Young People

(٢) اللسان: صغر،

(٣) الم يكن اولى ان نقول: " فدخلتْ في حدّ الكبرَ الموجب عليها حمل المسؤولية، او حدّ الكبر الذي يعني حدّ التمييز"؟؟ بدل أن يجعل المرأة موضعاً لتلقّي الأمر والنهي؟؟.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتستعمل المؤسسة الحديثة مصطلح "الصغار" احيانا في محاولة لتوسيع دائرة اهتمامها، كما تستعمله مرادفا لمصطلح "الأطفال"، مثال ذلك:" المجلس العالمي لكتب الصغار"(١) حيث جاء في نظامه الداخلي الجمع بين الكلمتين" الأطفال"(٢)و"الصغار"(٣)مرة. ومرات باستخدام" الصغير" فقط، ومرة باستخدام" الأطفال" وحدها عندما اضيفت الى كلمة " ادب"(٤).

ومع ان معظم الموسوعات في العالم التي تبحث في الموضوع تفضل استخدام مصطلح" ادب الأطفال"(٥)(الموسوعة البريطانية الجديدة (٦) والموسوعة السوفياتية الكبيرة (٧)، والموسوعة النموذجية الجديدة (٨). وموسوعة كتاب العالم (٩)، وموسوعة المكتبة وعلم

---

(١) The International Board of Books for Young People (Ibby) ومقر سكرتاريته في جنيف سويسرا.

(٢) Children.

(٣) Young People.

(٤) انظر النظام الداخلي للمجلس العالمي لكتب الصغار:١.

(٥) Children Literature.

(٦) انظر: The New Encyclopedia Britannica, Encyclopedia Britanica, Inc, William Binton, Publisher, 1943-1974, Chicago London...etc. Volume 4, pp 227-242.

(٧) انظر: Great Soviet Encyclopedia, Volume 25, pp. 241-247

(٨) انظر: New Standard Encyclopedia, Chicago, Vol.7, pp.312-321

(٩) انظر: The World Book Encyclopedia, World Book-Childcraft International, Inc. 1981, U.S.A. Vol.12, pp.316-342.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعلومات(١)، والموسوعة البريطانية للأطفال(٢)، وموسوعة المجلس(٣)، والموسوعة العالمية(٤)، وموسوعة فنك وواجنولز الجديدة(٥)، والموسوعة اليهودية(٦) وموسوعة "كتاب المعرفة الجديد"(٧)، وموسوعة الشعب الأميركي(٨)، الا ان موسوعة كولومبيا(٩) استخدمت " أدب الاحداث" في حين ان موسوعة اخرى

---

(١) انظر: Encyclopedia of Library and Information Sience.

(٢) انظر:- Children's Britannica. Children Britannica Internat ional, Ltd, London, 3d edition, 1973, vol.3, pp.136-155.

(٣) انظر:
Chamber's Encycolpedia, Pergamon Press, London,
Vol .3, pp. 398-400
وتبحث هذه الموسوعة في كتب الأطفال (Children Books) وفي المقالة اشارة الى الصغار(young people).

(٤) انظر: Encyclopedia Internationl, Grolier, New York, 1972 vol. 11, pp 21-25.

(٥) Funk & Wagnalls New Encyclopedia, Funk & Wagnalls, Inc New york, vol. 5,pp. 456-463

(٦) Encyclopedia Judaica, Jerusalem, 1971,vol.5, pp.428-459.

(٧) The New Book of knowledge, grolier Incorporated,1983, Vol. 3, pp:236-248d.

(٨) The Americam people Encyclopedia, grolier incorporated, New york, vol.4, pp.534 -540.

(٩) The Colombia Encyclopedia, Colombia university press, 1963-1964, 3rd edition, U.S.A., vol.3., pp.1105-1106

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تناولت" ادب الاطفال" تحت عنوان:" كتب للقراء الصغار" حملت في عنوانها مصطلح الصغار هي" الموسوعة البريطانية للصغار-البنين والبنات"(١).

ويجري في هذه الموسوعات الخلط بين الاطفال والصغار والاحداث وادب المراهقين دون تشدد في تحديد الطفولة بمرحلة عمرية قاطعه.

وكذلك الأمر في المراجع الأجنبية مع ان الشائع هو مصطلح" ادب الأطفال". والأمر على هذا النحو في المراجع العربية كما سنرى.

ومما يجعلنا نميل الى مصطلح" ادب الاطفال" بالجمع دون المفرد-شيوع المصطلح في الكتابات والدراسات في الشرق والغرب، وبالرغم من ان الدراسات في علم النفس، تسمي الفرع المتصل بالمرحلة الممتدة من الميلاد حتى المراهقة " علم نفس الطفولة" الا اننا لا يمكن ان نعتبر البلوغ فيصلا بين مرحلتين، وان الطفل ينتقل فجاة - في استقباله للمواد الثقافية - من أنواع ومستويات إلى انواع ومستويات اكثر تعقيدا بمجرد حدوث تطورات جسدية ترافقها تطورات نفسيه. بل نستطيع ان نتبين من استعراضنا السريع لمضمون ما تناولته المقالات الموسوعية في الموسوعات التي ذكرناها بانهم قد بحثوا-وهم يدرسون ادب الاطفال- في ادب المراهقة ايضا.

ومع ان ادب الأطفال لا يمكن ان ينفصل عن علم نفس الطفولة كما سيتضح لنا فيما بعد- فإننا سنطمئن إلى أن مصطلح "ادب الاطفال" في العالم يشمل: الصغار والاحداث والاولاد، ما لم تشر الدراسة المعنية إلى غير ذلك.

---

(١) Britannica Junior Encyclopedia,For Boys and girls, William Benton, Publisher, university of Chicago, 1971, Vol. 4, pp.249-264 E.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما الطفولة ؟

ليس مطلوباً منا في هذا المجال أن نبحث في تحديد مفهوم الطفولة على إطلاقه ، فهو مجال الدراسات النفسية والتربوية (١) ، ولكن المطلوب ان نحدّد من هم الأطفال الذين يخاطبهم هذا الأدب الذي نحن بصدده . هل نحددهم بالعمر الزمني؟أم بالعمر العقلي؟ أم بالعمر القرائي؟ أم بالمرحلة الدراسيه ؟.

ويبدو لكل أساس من هذه الأسس مزاياه .. لكنها وحدها تبدو غير كافية ؛ فالعمر الزمني لا يصلح وحده للتقسيم بسبب ما يتفاوت فيه الأفراد من مقدرات عقلية وقرائية ومن نضج. وكذلك لا تصلح المرحلة الدراسية ، لتفاوت المقدرات القرائية والقدرات العقلية الأخرى. وليس من السهل تحديد العمر العقلي عند كل طفل قارىء لمعرفة ما يناسبه من مواد هذا الأدب الموّجه إليه . ومع ذلك لا بد لنا مبدئياً من أن نستخدم معياراً في تحديد الطفولة .

يحدد الباحثون النفسيون الطفولة بانها المرحلة من العمر التي تبدأ من الولادة وتنتهي بالمراهقة ؛ فإذا إستخدمنا المعيار الزمني كان سقفها ١٢-١٤ سنه (١). أما المؤسسات المعنية بالطفولة فقد تحددها بالثانية عشرة (٢) او تمدها قليلاً حتى تشمل سنوات المراهقة (٣).

---

(١) من الغريب أن جميع الدراسات النفسية والتربوية التي رجعنا اليها باللغتين العربية والانجليزية في مجال الطفولة وعلم النفس التربوي لم تأبه أن تحدد مفهوم الطفولة إذ يبدو أن الباحثين قد إعتمدوا على أن المفهوم مبذول شائع، ومن أمثلة هذه الدراسات:فؤاد ابو حطب وآمال صادق، علم النفس التربوي، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٠، جابر عبد الحميد جابر ، علم النفس التربوي، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو التحديد الزمني افضل هذه التحديدات لانها تجعل كاتب الاطفال يواجه معضلة الفروق الفردية الواسعة والضيقة التي يتمتع بها الاطفال والبشر عموما.

مفهوم ادب الاطفال وحدوده:

بعد تحديد الفئة التي يستهدفها هذا الأدب- اذ من المؤكد اننا لا نتحدث عن ادب يصدر عن الاطفال، فذلك مجاله الدراسات التربوية- لا بد من ان نحاول الوقوف على مفهوم " ادب الاطفال" ورسم حدوده. فما هو هذا الادب؟

هنا اختلف الباحثون اختلافا واسعا، وكان الاختلاف في مسالتين اثنتين:

الاولى: بين قصدية الكتابة للاطفال ومقروئية الادب (ايا كان)، من الاطفال. وبعبارة اخرى: هل ادب الاطفال هو فقط ما يعد خصيصا للأطفال؟ ام انه ايضا ذاك الذي يناسبهم من ادب الكبار؟ اي ذاك الذي يستطيعون قراءته وفهمه (او استقباله اذا كان مادة مسموعة او مرئية).

والثانيه: هي حدود ادب الاطفال، بمعنى هل ادب الاطفال هو المقابل "الصغير" لأدب "الكبار"؟ اي هل هو الاجناس الأدبية (القصة، الرواية، الشعر، المسرح، المقالة) فقط؟ ام تدخل فيه كتب الاطفال العلمية والمعرفية والموسوعات والمواد الثقافية التي تنقل إلى الاطفال عبر الوسائط السمعية البصرية (الأفلام، البرامج التلفازية،

= ١٩٨٢، واجا شابا ولي، النمو الطبيعي للطفل (ترجمة وهيب سمعان) مكتبة الانجلو المصريه، القاهره، ١٩٥٧، ومصطفى فهمي، سيكلوجية الطفولة والمراهقة، مكتبة مصر، د.ت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البرامج الاذاعية، الاشرطة المسجلة، الصحف والمجلات، الكتب، الملصقات، الشرائح، برامج الحاسوب...الخ)؟؟ ففي الموسوعة البريطانية للصغار مثلاً ان ادب الاطفال هو المادة المكتوبة والرسوم المصاحبة المعدة خصيصاً ويبدو ان سبب الاختلاف هو ان" ادب الاطفال" طفل متنازع عليه في الدراسات الاكاديمية في ثلاثة فروع من الدراسات الإنسانية هي : التربية، العلوم المكتبية، والاداب وكل فريق من هؤلاء يدرس الموضوع من وجهة نظره، متاثراً بطبيعة هذه النظرة (١).

---

(١) يمثل راي التربويين : هادي نعمان الهيتي، ادب الاطفال؛ فلسفته، فنونه، وسائطه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦، وكذلك زليخة ابو ريشة، ادب الاطفال في الاردن في مواجهة الصهيونية (١٩٦٧-١٩٨٥) من بحوث المؤتمر الثقافي الوطني الثاني (١٩٨٥)، الجامعة الاردنيه، عمان، ١٩٨٦: وادب الأطفال العرب والإنحراف، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٩٤، ١٩٨٦: ٩٦. ويمثل نظرة المكتبيين: هيفاء شرايحه، ادب الاطفال ومكتباتهم، المطبعة الوطنية ومكتبتها، عمان، ١٩٧٨: ٩ وما بعدها. وكذلك محمد العمروسي المطوي، الطفل في الأدب العربي، مؤتمر الادباء العاشر ومهرجان الشعر الثاني عشر (بحوث ومقالات وقصائد)، وزارة الاعلام والثقافة، الجمهورية الجزائرية، ١٩٧٥: ٦٦٣.

ويمثل نظرة الأدباء : علي الحديدي، في ادب الاطفال، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٨٢، واحمد ابو عرقوب، مباشرات في ادب الاطفال، مطبعة المؤسسة الصحفية الاردنية، عمان، ١٩٨٢: ٢٤-٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونحن في هذا البحث لانستطيع أن نتجاهل جدارة القيم التي تشتمل عليها كل نظرة من هذه النظرات، فالنظرة التربوية تهتم بالطفل (المتلقي-الجمهور) وتستعين بصورة أساسية بالدراسات التربوية والنفسية التي تتناول الطفولة لتجد صداها في أدب الاطفال، وتقيم معاييرها على نتائج هذه الدراسات.

والنظرة المكتبية تهتم بالوسيلة (الوسيطه) التي تحمل الرسالة التربوية أو المعرفية أو التهذيبية أو سواها.. فلذلك ينصرف اهتمامها بصورة أساسية أيضاً إلى تنوع الوسائل والموضوعات وإتقانها من حيث الإخراج والإنتاج وسوى ذلك.

أما النظرة الادبية فتدخل إجمالاً في العمق الفني(١)، وتتعامل مع أدب الاطفال على أنه أجناس أدبية ينبغي أن تتوافر فيها عناصر البناء الفني. وليس مما ينبثق عن النظرة الأدبية أن يعمد الناقد- وخصوصاً الناقد- إلى البحث في القيمة التربوية للعمل الأدبي، أو في تنوع موضوعات الكتاب أو المدى الذي لبّى فيه هذا الأدب حاجات الاطفال وغير ذلك.

ومن أجل ذلك فاننا نميل إلى أن تكمل كلّ نظرة أختيها، وأن نستنبط منهجاً تكاملياً (٢) ينظر من خلاله الى أدب الاطفال نظرة واسعة لما يمليه منطق التكامل المشار اليه.

---

(١) لا يعني ذلك ان نغفل التفاوت المعروف بين المدارس الادبية، والفروق بين المدرسة الاجتماعية واهتمامها بالموضوع، والمدرسة النفسية واهتمامها بالتحليل النفسي، والمدرسة الجمالية واهتمامها بفنية العمل الادبي..

(٢) من الذين جمعوا بين النظرة التربوية والنظرة الادبية احمد نجيب في كتابه "<u>فن الكتابة للاطفال</u>" (دار الكتاب العربي، =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اما عن القصدية في الكتابة للاطفال، فيتحمس بعض المهتمين(١)ويرون انها المعيار الذي يفصل بين ما هو ادب للاطفال وادب للكبار، وربما سبب ذلك ان ادب الاطفال في العالم لم يتاسس كفرع من فروع المعرفة، الا عندما اهتم البالغون بالاطفال، وقصدو قصدا* ان يكتبوا لهم، غير ان الاستعراض التاريخي لادب الاطفال في تراث العرب وتراث الانسانية سيلهمنا معرفة مقدار ما يلحقه هذا المعيار من حيف بادب الاطفال لانه سيخرج من إطاره كل ذلك الادب الرفيع وسواه الذي تادب عليه الاطفال عبر العصور. والذي يعتقد انه صيغ* اصلا* لمتعة الراشدين أو فائدتهم(٢).

كما انه سيحرم ادب الاطفال في اي وقت من اي نتاج مناسب لهم من ادب الراشدين او الكبار. ولا شك ان إنشاء معايير لنقد ادب الاطفال في ضوء مناسبة هذا الادب لجمهور الاطفال سيعين في فرز هذا الادب، وإخراج الكثير مما ينسب إليه، ومما كتب منه للاطفال اصلا*، وإدخال مواد اخرى ما تزال خارجه إنما اعدت للكبار اصلا*، كذلك.

= القاهره، ١٩٦٨) وهو صاحب اول دراسة ظهرت في كتاب في ادب الاطفال في العصر الحديث.

(١) امثال: احمد ابو عرقوب، محاضرات في ادب الاطفال، واحمد المصلح، ادب الاطفال في الاردن، دائرة الثقافة والفنون عمان، ١٩٨٣: ٢٠ وما بعدها، وهادي نعمان الهيتي، ادب الاطفال: ١١ وما بعدها. وعلي الحديدي، في ادب الاطفال: ٦٥ وما بعدها.

(٢) لا نود الدخول في بحث عن غاية الادب، الذي فصّلت فيه القول المدارس الفنية هل الادب للمتعة ام للتعبير ام للتغيير ام للمنفعة...الخ. ونرجيء الحديث الى الفصل الثاني من الباب الثاني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في ضوء ما تقدّم ، وفي ضوء توجّه نحو منهج تكاملي يؤالف بين النظرات الثلاث، وينظر الى ادب الاطفال من خلاله نظرة واسعة -كما ذكرنا من قبل-يتعين علينا امران:

الاول: ان نعتبر ان ادب الاطفال هو كل مادة ثقافية تلعد للطفل، او تقدم إليه مما يناسبه من ادب الراشدين، سواء اكانت هذه المادة نصاً لغوياً (قصة ، رواية ، قصيدة ، انشودة ، مسرحية ،او تمثيلية ، مادة تعليمية ، مقالة ، خاطرة ...الخ) او نصاً مرئياً (كتاباً مصوراً ، مجلة ، جريدة ، ملصقات، شرائح..الخ) او نصاً مسموعاً (برنامجاً إذاعياً ، شريطاً مسجلاً) او نصاً مسموعاً مرئياً (فيلماً سينمائياً ، برنامجاً تلفازياً ، مسرحاً...الخ) فذلك كله يصب في نظرية الفن ولا يتغير عنها.. والحديث في الفن ليس ثانياً عن الحديث في الادب، مع ان لكل جنس من الأجناس الفنية خصوصيته .

الثاني: ان يتزود منهج الناقد ادبَ الاطفال بالرحابة التي يتيحها التكامل بين وجهات النظر الثلاث، فلا يكتفي بأن ينقد النص اللغوي من زاوية فنية فحسب، بل يقف على المضمون التربوي والتهذيبي والتعليمي، وعلى أسلوب التنفيذ والتقديم ، وقيمة ذلك بالنسبة للأدب وللطفل ولمكتبة الطفل، وينظر إلى النص نظرة واسعة ايضاً ، فليس هو المادة اللغوية فحسب. إن صور الكتاب المصوّر جزء مهم واساسي من النص المقدم للأطفال.. وكذلك مستوى تصوير الفيلم والبرنامج التلفازي.. وكذلك مسائل الإخراج والإنتاج وسواها...

وصحيح ان هذا يلقي عبئاً كبيراً على نقاد ادب الاطفال لانه يعني السيطرة على ادوات النقد في المجالات الثلاثة المذكورة آنفاً، ولكن هذا العبء مسألة لا ينفرد بها هؤلاء النقاد وحدهم . بل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يشاركون فيه معدّي أدب الاطفال من قصاصين وشعراء، وروائيين وكتاب تعليميين ومعدي برامج ومخرجين... وسواهم. ذلك أن أدب الأطفال ميدان أصعب الفنون، والكتابة لهم (للاطفال) من أصعب المهمات.. وهذا ما سنحاول توضيحه في الفصول القادمة.

إن تحمسنا لهذا المفهوم الواسع لأدب الاطفال له - بالاضافة إلى ما ذكرناه - ما يبرره: وهو مفهوم يطرح بعض ذوي الرأي مصطلح "ثقافة الطفل" بديلاً له (١) غير أن هذا المصطلح - الأخير - ليس في رأينا بديلاً شافياً ل" أدب الاطفال" إذ أن لمفهوم " الثقافة " دلالات انثروبولوجية (٢) غير مقصودة أصلاً في المصطلح المذكور.

ومن المبرّرات التي تغرينا بمصطلح" أدب الاطفال" دون غيره، حداثة هذا الفرع من الفنون، وحداثة الاهتمام به من جهة. ولأن الخلفيات النظرية التربوية والمكتبية والفنية ضرورة ماسة لكل مشتغل في هذا الميدان، وتشكّل متطلباً أساسياً ومعرفة قبلية حتمية ينبغي توافرها لديه، وإلا سقط العمل المعدّ للأطفال سقوطاً ذريعاً.

---

(١) انظر: هادي نعمان الهيتي، ثقافة الاطفال، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٨.

(٢) يعرف العالم الانثروبولجي الانجليزي ادوارد تايلر الثقافة بأنها: "ذلك المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفنون والأخلاق والتقاليد والقوانين وجميع المقومات والعادات الاخرى التي يكتسبها الانسان باعتباره عضواً في المجتمع" (عن هادي نعمان الهيتي، ثقافة الاطفال:٢٤).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونستطيع في الترافع عن هذا المصطلح (ادب الاطفال) ان نتخيّل مكتبة للاطفال يجهل اميناها الجانب التربوي من الموضوع، او لا يوليه اهتمامه الكافي، ولا يلم إلماما مناسبا بالجانب الفني.. فاية مواد ثقافية (كتب، مجلات، أفلام، أشرطه مسجله... وغيرها) سيقتني في مكتبته؟ كما نستطيع ان نتصور ما الذي سيقدمه ناقد" او كاتب" للاطفال يجهل نتائج الدراسات والبحوث حول مقروئية (١) الصور، وحول الأميّة البصرية، وحول النقص الذي تعاني منه مكتبة الطفل في مجال تلبية فروع المعرفة، وتلبية حاجات الأطفال، وغير ذلك.. ! فاغلب ما هدانا إليه الدرس في مجال نقد ادب الاطفال وخبر تنافيه ان من الكتّاب من تنقصهم المعرفة بنتائج الدراسات في مجال لغة الطفل، او خياله، او حاجاته؛ او طرق حل مشكلاته او طرق تفكيره، او طرق تعلّمه... وغير ذلك.

ثم إن البحث في مجال التهيئة للعنصر النظري والمعاييري في مجال ادب الأطفال يعتبر مساهمة في إعداد كوادر من الكتاب، والفنيين والمعنيين الآخرين، على غرار إعداد المبدعين في برامج الكتابة الإبداعية التي تتولى تنفيذها الآن بعض الجامعات في الغرب..

من أجل ذلك كله، ولأسباب عملية وغائية نبيلة -لأنها تضع الطفل في بؤرة اهتمامنا وروحنا- سنأخذ على عاتقنا في هذا البحث ان نحمل هذا العبء الكبير -عبء مفهوم واسع- ليكون الإطار النظري منه مناسبا لكل إبداع في مجال ادب الأطفال، بغض النظر عن جنسه او وسيطته.

---

(١) readability وبعضهم يترجمها "الانقرائية" (انظر: زليخة ابو ريشه، الانقرائية في ادب الاطفال، مجلة المعلم/الطالب، معهد التربيه، الاونروا/اليونسكو، عمان، ١٩٨١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم' هذا الفصل؟

التأسيس التاريخي ضرورة لمن يود" أن يبحث في ارض شبه بكر كأرض ادب الاطفال.

وهذا ما فعلته تقريبا' كل موسوعة ،او دراسة جادة تناولت موضوع ادب الاطفال. ذلك أن التتبّع التاريخي ليس ضرورة حتمية لرصد تطور الموضوع، لمن يعنيه هذا التطور، فحسب. بل يمكنه أن يكون مشعفا' في فهم الحاضر بصورة افضل، واقتراح صور لتعديله وتطويره في ضوء تجارب الماضي النافعة بعد انتقائها وتنقيتها وتعديلها بما يناسب روح العصر وحاجاته ومشكلاته.

ولذلك، فإن هذا المدخل التاريخي الذي نحن بصدده سيحاول ان يكون لا مخلصا' للحقيقة التاريخية -بمقدار ما تسعف الوسيلة والشرط الانساني في الوصول اليها -فحسب، بل مخلصا' للحاضر في محاولة لإثارة' جوانبه بتجارب الماضين لاستلهام المفيد من هذه التجُارب في بناء الحاضر وترميمه ، حيثما ينفع الترميم. ذلك أن منهجا' يقيم توازنا' بين الحديث والقديم بما لا يخل" بروح التقدّم ، ولا ينحاز انحيازا' اعمى لاحدهما هو منهج يصون روح المعاصرة ، ويعمل بهديها. ومنهج يحتاج ان يأخذ به ويرعاه كل" من يتأرجح بين ذوبان في الآخرين او تكلّس حول الذات. وهي حال ليست ببعيدة عن الواقع الثقافي العربي الذي يتداول ادب الأطفال مثل كرة اللعب، ويلقي عليه ظلال اغترابه أو تعصّبه ، بلا ادنى عناية بمخاطر ذلك- وهذا ما سنفصله فيما بعد.

وأول ما يمليه المدخل التاريخي ان نقف على ادب الاطفال في التراث العربي. فقد عُنيت' المراجع الغربية ان تتتبّع تاريخيّة الموضوع في الحضارة الغربية ، وقد تتبّعها بعضهم في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحضارات الاخرى. بل إن الموسوعة اليهودية (١) لم تتناول من من تاريخية الموضوع الا ما زعمت انه ادب يهودي، وبدات منذ عهد التوراة تضفي الصبغة العبرية على كل إنتاج ادبي درسته، ذاكرة" انه "في الوقت الذي كان ما كُتب للاطفال -حتى العصر الحديث- قيلا" جدا"، لم يكن من شك ان بعض الادب التوراتي العبري وما قبله كان مقروءا" من الصغار بصورة واسعة، وكان جزءا" من منهاج التربية اليهودية "(٢). وتتعقب هذه الموسوعة في التراث العربي -فيما يبدو- لتجد ان كاتبا" اسمه إسحق بن سهولة (!)(٣) (القرن السادس الهجري/ الثالث عشر الميلادي) قد كتب مقامة سبت عقول القراء الصغار. دون ان تشير هذه الموسوعة الى ان هذا الكاتب عربي او غيرذلك، او إلى القطر الذي كان يعيش فيه . وكذلك تذكر الموسوعة "يعقوب بن حبيب"(٤) (١٥١٦م) الذي جمع من التلمود مجموعة من الاساطير وقدمها للاطفال(٥).

إن واحدا" من المراجع الغربية التي اشرنا إليها في الفقرة السابقة لم يقف على إنجاز الحضارة العربية الاسلامية في هذا المجال. وهو تجاهل مريب لا يتم على مستوى تاريخ ادب الاطفال فحسب،

---

(١) Encylopedia Judiom

(٢) Encyclopedia Judica V. 5, p.430

(٣) Isaacibn Sahula

(٤) هو غير يعقوب بن حبيب الكندي ابو حاتم الإباضي (+ ١٥٥هـ) من كبار الثوار في افريقيا، وقد بحثنا في معاجم الاعلام فلم نجد عن هذين المذكورين ويبدو انهما من اليهود العرب المغمورين.

(٥) المصدر نفسه : ٤٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بل نجده مزدهراً في مجال دراسات النقد والادب في العالم الذي يعرف فيها الغربيون وتلاميذهم جلّ عنايتهم للبدء من الحضارة اليونانية ، مروراً بالعصور الوسيطة ، فعصر النهضة ، فالثورة الصناعية ، فالعصر الحديث.. متجاهلين بذلك إنجاز الحضارات الاخرى كحضارات الشرق الاقصى (الصين واليابان) والاوسط (الهند) والادنى (الحضارة العربية) ، والحضارة المصرية ، والحضارات الافريقية ، وحضارات امريكا اللاتينية . ويتجاهلون بصورة خاصة الحضارة العربية الاسلامية التي كانت حضارة العالم على مدى ستة قرون على الاقل ، والتي تفاعلت فيما مضى قبلها وفعلت فيما جاء بعدها ، على السواء .

ادب الاطفال في التراث العربي

هل كان ثمّة ادب للاطفال في التراث العربي؟ وإذا كان .. فهل اعد هذا الادب خصيصاً للاطفال ؟ ام كان خليطاً من هذا ومن ادب الكبار؟ وما طبيعة هذا الادب؟ وما فنونه؟ ومن كان قد ابدعه ؟ وكيف ابدعه ؟ وما سماته في المراحل التاريخية المتعاقبة ؟

في الاداب القديمة والحديثة عموماً يتساير ويتوازى ادبان ، او تياران متدفّقان من الإبداع ؛ احدهما شعبي فيه مخزون الذاكرة الشعبية وإبداعاتها العفوية والفطرية وهمومها وتطلّعاتها غير المنمقة . وفيه ينطلق الوجدان الجمعي والعقل اللاواعي للجماعة .. ومن هذا الادب : الامثال ، والحكايات ، والشعر الشعبي والزجل ، والسير الشعبية ... وغير ذلك . وهذا التيار تحمله الذاكرة ، وتتناقله الشفاة ، ولذلك يسمّى ايضاً "التراث الشفهي". وهو ادب لا ينتسب الى احد بعينه ، بل هو حصيلة جهود كل العصور ، وكل الشعوب التي تداولته .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اما النوع الثاني من الادب فادب منقّح وسنسميه بالادب الرسمي(١) لانه ينطق عن العقل الواعي. وهو حصيلة العلم والتفكير الواعي والجهد القصدي. ومانقوه معروفون او هو ادب ينسب إلى اصحابه، وتتناقله بعد بداية عصر التدوين -الأوراق والمؤلفات والمدونات.

العصر الجاهلي:

مثل سائر الآداب، فإن أدب الأطفال في العصر الجاهلي كان على نوعين :

- ادب شفهي في غالبه، يضم تحت جناحيه، الادب الشعبي (اغاني الترقيص، الأمثال)، وغير يسير من الادب الرسمي أو الذاتي.
- ادب مكتوب في قليله يضمّ فيما يضم : المعلّقات بعض دواوين القبائل (ديوان الهذليين مثلاً)، وقصائد متفرّقات من شعر شعراء.. وسوى ذلك مما وثقّه الدكتور ناصر الدين الاسد في كتابه "مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية".

أما ما يمكن ان نعتبره ادباً شعبياً للاطفال في العصر الجاهلي فهو نوعان ايضاً : ادب شعبي للكبار كان الاطفال يشاركونهم الاستماع اليه والاستمتاع به، كسائر الشعوب في الحضارات الاخرى. ذلك انّ الرواة القصّاصين كانوا يتجوّلون في المدائن والامصار يحملون معهم حكاياتهم. وقد كان الاطفال العرب يستمعون مع من يستمع من الكبار إلى هذا التراث الشفهي يلقى عليهم. وكان عالمهم الثقافي يتشكل بمفردات الخرافة والاسطورة والحكاية وقصص العرب وايامهم وامثالهم التي تلخّص تجاربهم ونظراتهم الفلسفية السريعة في الحياة والإنسان.

---

(١) يسميه بعضهم بالادب الذاتي (انظر : نبيلة ابراهيم، اشكال التعبير في الادب الشعبي، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨١: ٣)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

امّا المكوّن الثاني من مكوّنات الادب الشفهي الذي كان يتلقّاه الاطفال في العصر الجاهلي فهو الادب الرسمي او الذاتي او الفني(١)، وهو ادب الطبقة المفكرة او القارئة الكاتبة، وكان يضم:

- الخطابة (وسجع الكهّان)
- الشعر والغناء.
- قصص العرب (بما فيها ايامهم واساطيرهم وقصص حيوانهم، واحاديث الهوى)

إننا من اجل ان نتوصّل الى ان ادب الكبار بنوعيه الشفهي والمكتوب كان مكوناً اساسياً من مكوّنات ادب الاطفال في العصر الجاهلي. -اعتمدنا على ادلة عقلية استنباطية- عندما تغيب الادلة المريحة المباشرة، ذلك ان احداً من الباحثين لا يخفى عليه صعوبة البحث في العصر الجاهلي بسبب قلة ما وصلنا منه من جهة، وضياع الكثير عنه من جهة ثانية.

وأول هذه الادلة ان مجتمعاً كان الراشدون يحتفون فيه زمناً عندما ينبغ لهم صبي شاعر. فتصنع القبيلة الاطعمة وتجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الاعراس، وتأتيها القبائل

(١) لنميّزه عن الادب الشفهي الذي يصدر دون طويل تدبّر او طلب للتعبير الفنّي المؤثر. وقد عرّف الدكتور شوقي ضيف النثر الفني بقوله إنه "الذي يقصد به صاحبه إلى التأثير في نفوس =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تهنئها (١)، لم يكن الأطفال في هذا المجتمع -وخصوصاً الصبيان- معزولين عن الكبار. فمن أين سيقرزم الشعر شاعر كطرفة وله من العمر سبع سنين؟(٢) اننا نستطيع أن نتصوّر المجتمع الجاهلي -وهو مجتمع قبائلي يشارك الصغار فيه الكبار مجالسهم-مجتمعاً منفتحاً على الطفولة -يخالطها وتخالطه-، حريصاً على تقديم نماذج أدبه إليهم. فالطفولة في المجتمعات البدوية والريفية قصيرة الأمد، والأطفال فيه من الصبيان رجال صغار، ومن البنات نسوة صغيرات .. ولذلك كانت أبواب الثقافة الراشدة تلفتح لهم على مصراعيها، ويستمعون إلى الشعر يتلوه كبار الشعراء والشاعرات، والخطباء يخطبون، والجلساء يتحاورون ويتنادمون بلغة مبينة وفصاحة عالية وإيقاع جزل.

وثاني هذه الأدلة أنهم كانوا يدفعون بأطفالهم مادون الحلم إلى مجالس العلم والكتّاب، لأن عدداً من النصوص التي اطّلعنا

= السامعين والذي يحتفل فيه من اجل ذلك بالصياغة وجمال الأداء" (شوقي ضيف، النثر الفني، دار المعارف، القاهرة :٣٩٨)

(١) انظر : ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٢ : ١٠٨، حيث يعتمد المؤلف على هذه الأدلة في إثبات فرضية توافر الكتابة في العصر الجاهلي.

(٢) انظر : ابن رشيق القيرواني (٤٦٣هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ١٩٣٤. ١:٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليها كانت تستخدم الفاظا مثل: إيفع، يافع (١) ، غلام، (٢)غلمان، بالإضافة إلى لفظة "الصبيان" (٣) التي لا تحدد عمرا بل مرحلة وجنسا، وكلها لا تخرج عن مرحلة الطفولة التي ندرسها. ومن امثلته ان عديّ بن زيد قد "طرحه ابوه حين إيفع في الكتّاب حتى إذا حذق الخط العربي ارسله إلى كتّاب الفارسية فصار افصح الناس"(٤).

---

(١) "قال ابن الاثير : ايفع الغلام فهو يافع اذا شارف الاحتلام. وقال : من قال يافع ثنّى وجمع، ومن قال يفعه لم يثنّ ولم يجمع. وفي حديث عمر : قيل له : إنّ هنا غلاما يفاعا لم يحتلم، قال ابن الاثير : هكذا روي ويريد به اليافع" (اللسان : يفع).

(٢) "والغلام : معروف . ابن سيده : الغلام الطارّ الشارب، وقيل : هو من حين يولد الى ان يشيب" (اللسان :غلم)

(٣) "يقال : رايته في صباه اي في صغره ... والصبيّ : من لدن يولد الى ان يفطم، والجمع اصبية وصبوة وصبية وصبوان وصبوان وصبيان، قلبوا الواو فيها ياء للكسرة التي قبلها، ولم يعتدّوا بالساكن حاجزا حصينا لضعفه بالسكون، .. والصبيّ ..الغلام، والجمع صبية وصبيان... وفي الحديث : انه راى حسنا يلعب مع صبوة في السكّة... والجارية :صبيّة... ابن شميل : يقال للجارية صبيّة وصبيّ، وصبايا للجماعة، والصبيان : للغلمان" (اللسان :صبا).

(٤) الاغاني، (دار الكتب) ٢ : ١٠١-١٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإن هذه الكتاتيب كانت تعلّم بالإضافة إلى القراءة والكتابة نموصاً يقراها صبيتها. وماذا يمكن ان تكون مادة قراءتهم وكتابتهم؟ إن معرفتنا بمكانة الشعر لدى عرب الجاهلية يشجعنا على الظنّ والترجيح أن من الشعر كانت نموص القراءة والكتابة لأطفال العرب عندما يعلّمهم معلّموهم في بيوتهم او كتاتيبهم. وقد روي عن عمر بن الخطاب قوله :" كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم اصحّ منه "(١)، وقال ابن سلاّم :" وكان الشعر في الجاهلية ديوان علمهم ومنتهى حكمهم، به ياخذون، واليه يصيرون"(٢). وكان عمرو بن العلاء قد اشار الى انه "ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقلّه، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم شعر كثير"(٣). وكان اليعقوبي قد تحدّث في تاريخه عن العرب والشعر فقال:" ولم يكن لهم شيء يرجعون اليه من احكامهم وافعالهم الا الشعر.. فيه كانوا يختصمون، وبه يتمثّلون، وبه يتفاضلون، وبه يتقاسمون، وبه يتناضلون، وبه يمدحون ويقعابون"(٤). وقال الجاحظ (٥):"... فكلّ امة تعتمد في استبقاء مآثرها، وتحسين مناقبها، على ضرب من الضروب، وشكل من الاشكال. وكانت العرب في

---

(١) ابن سلاّم الجمحي، طبقات فحول الشعراء:١٠

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تاريخ اليعقوبي (مطبعة بريل) ٣٠٤:١ (انظر : محمد سليم الحوت، الميثولوجيا عند العرب، بيروت، ١٩٥٥، ٢٤٠).

(٥) الجاحظ، الحيوان، (تحقيق عبد السلام هارون) مصر، ١٩٣٨. ٧٢-٧١:١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفّى، وكان ذلك هو ديوانها".

واذا ما وقفنا عند قولتهم إن الشعر ديوان علم العرب، ومنتهى حكمهم، وعلمنا أن ذلك يعني أن شعراءهم كانوا من أعلم اهل زمانهم ومن أعرفهم بالانساب ومثالب القبائل ومناقبها، وأيامها ووقائعها، وانتصاراتها ومآثرها، أدركنا موقع الشعر لديهم، واهميّة أن ينقلوا ما يرون انه أخطر تراثهم وإنجازهم الى اطفالهم، وهو ما يحرص كل مجتمع من المجتمعات البشرية -فيما نظن- على فعله.

وإذا ما اعوزتنا النصوص الجاهلية التي تنصّ على هذه الفكرة، فإن العصر الإسلامي وما بعده ينبئنا انّ غلمان الكتّاب كانوا يتداولون الأشعار والأنساب وسير الملوك وأخبارها، والحروب والمكايد. وكانوا قد وكلوا بحفظها وقراءتها، كما كان شأن غلمان معاوية بن ابي سفيان(١). وإن حسّان بن ثابت قد أمر الحارث بن معاذ ان يكتب ابياتاً له مكوكاً، وان يلقيها الى غلمان الكتّاب(٢). ويبدو انه طلب ذلك لتشيع أبياته. فكان الكتاتيب بغلمانها لم تكن فقط للتعليم، بل لإعادة النسخ وللرواية، أي للنشر والتوزيع بلغة اليوم.

وقد بلغ هذه النتيجة الدكتور ناصر الدين الأسد بأدلته العقلية الاستنباطية وسواها عندما قال: "ونحن نرى من كل هذا، ومن كثير غيره، أن القوم، في القرن الأول الهجري، لم يكونوا يكتفون

---

(١) انظر: المسعودي، مروج الذهب (تحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، ط٢، ١٩٤٨، ٣: ٤٠-٤١.

(٢) البغدادي، خزانة الأدب، المطبعة السلفية، مصر، ٤: ١٩٥٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

برواية الشعر الجاهلي وإنشاده في المجالس والمحافل، وإنما كانوا كذلك يعلّمونه الصبيان تعليماً "(١)، فإذا كان ذلك شانهم في الإسلام، فما بالهم لا يعلّمونه صبيانهم في جاهليتهم حيث شان الشعر ما نعلم!!

واما الدليل العقلي الاستنباطي الثابت فهو المتّصل بالرواية. والرواية هي النشاط الشفهي الذي يتم به نقل العلم من شعر وخبر واقاصيص ومعارف من إنسان إلى إنسان او اكثر، ولكن الرواية -التي تطوّر مفهومها من المدلول الحسيّ المادي لرواية الماء اي حمله ونقله - كانت قد تخصّصت اولاً بالشعر. فالرواية كانت تعني قديماً رواية الشعر اي حمل شعر الشاعر ونقله وإذاعته، ثم انتقلت إلى طور آخر لتحمل مفهوماً آخر هو الرواية العلمية (٢). نقول ذلك لما لرواية الشعر في الجاهلية من اهمية بالنسبة لأدب الأطفال ستتضح في إشراك الأطفال في رواية الشعر، اي الاستماع إليه اولاً، ثم حفظه، وربما كتابته وتقييده، ثم روايته ونشره.

وقد اتخذت الرواية الجاهلية للشعر مسالك عدّة من بينها :

الشعراء الرواة، وهؤلاء كانوا -فيما يبدو- طائفتين، الاولى هي الشعراء الذين كانوا "يروون فيما يروون -شعر شاعر بعينه، فيحفظون هذا الشعر، ويتتلمذون للشاعر، ويحتذون فيما ينظمون شعره، واعين مقلّدين في بدء أمرهم، ثم تصبح ملكة الشعر طبيعة وفطرة يصدرون عنها صدوراً فنياً، وبذلك تكتمل لدينا سلسلة من الشعراء. الرواة يكون لهم من الخصائص الفنية التي تجمع بينهم ما يتيح لنا ان نسميهم "مدرسة شعرية"، كما سمّاها الاستاذ الدكتور

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي : ٢٠٤.

(٢) مصادر الشعر الجاهلي : ١٨٧- وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طه حسين"(١). وقد عدّ النقاد الأقدمون طبقة هؤلاء الشعراء فحولاً، وعرّفوا الفحول بانهم الشعراء الرواة (٢).

والطائفة الثانية هي التي كان شعراؤها يروون شعراً لمن سبقهم، ولبعض من عاصرهم من الشعراء، دون أن يخصّوا "شاعراً" بعينه يتتلمذون له، وإنما يردون مناهل شتّى يستقون منها ما شاء لهم الفن الشعري أن يستقوا، ثم يصدرون وقد اكتملت لهم شخصيتهم الفنية المستقلة" (٣) -وهذه الطائفة لا يعنينا أمرها في هذه الدراسة.

ومن أشهر المدارس الشعرية، التي هي من الطائفة الأولى من الشعراء الرواة، المدارس التي تتسلسل بصلة الرحم في عدد كبير من افرادها أو في بعضهم من مثل مدرسة زهير بن ابي سلمى التي تبدأ بـ:

أوس بن حجر (ظئر زهير)
زهير بن ابي سلمى (ولد زوج أوس)
كعب بن زهير (ولد زهير)
الحطيئة
هدبة بن خشرم

---

(١) المرجع نفسه :٢٢٢.
(٢) الجاحظ، البيان والتبيين. ٢:٩، والعمدة ١ : ٧٣ (انظر الاسد :٢٢٢).
(٣) مصادر الشعر الجاهلي:٢٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جميل بن معمر

كثيّر عزّة

ومن مثل مدرسة :

المرقّش الاكبر

المرقّش الاصغر (ابن اخي الاكبر)

طرفة (ابن اخي الاصغر)

ومن مثل مدرسة :

المهلهل

امرىء القيس (ابن اخت المهلهل)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتشكّل هذه المدارس التي تتجلّى فيها رابطة الدم أو الرحم اهمية خاصة في تقديم الدليل العقلي الاستنباطي الثالث من ادلتنا على ادب الأطفال في العصر الجاهلي. فإنّ صلة الرحم تعني انّ تقدّم للطفل في الاسرة نموذجاً يحتذى، هو الشاعر الذي سيصبح معلماً لهذا الطفل الذي سيتحوّل بدوره إلى تلميذ ومريد ومن ثمّ حافظ وراوية. وهذا يتطلّب أن يسمع هذا الطفل- الذي حفظ الشعر ورواه ثم نبغت شاعريته فيما بعد -إلى عدد كبير من النصوص الشعرية، ونصوص أخرى متناثرة خلال ذلك، من أخبار العرب، وانسابهم وقصصهم وأمثالهم وسوى ذلك ..

ومع انّ تقصّينا لتراجم بعض شعراء هذه المدارس لم يكن يسعفنا تفصيلاً بما يعزّز مانذهب إليه، إلاّ إننا نستطيع أن نطمئن إلى انّ مدرسة الرواية الشعريّة في العصر الجاهلي كانت في بعض ادوارها مدرسة لأدب الأطفال. وإذا كانت النصوص والأخبار التي وصلتنا تفنّ أن تمنحنا تفصيلات عن تربية أطفال جاهليين بالشعر وسواه من علوم العرب، فإنّ نموماً نطمئن استئناساً إلى أن بداية هذا الاهتمام بنقل الخبرة الشعرية لايمكن أن تنبثق فجأة في صدر الإسلام او عصر بني اميّة لأنّ اهتمام العربي بالشعر أقدم من الإسلام، ولأن جذوره القوية العنيدة تضرب عميقاً في الجاهلية -كما ذكرنا من قبل-

* * *

مكوّنات ادب الأطفال الجاهلي:

إنه من المناسب قبل ختم هذا الفصل أن نقف قليلاً، بما يضيء موضوعنا عن ادب الأطفال العرب، عند كل مكوّن من مكوّنات هذا الأدب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الجاهلية. فقد كنّا افترضنا انّ الطفل الجاهلي لم يكن بعيداً عن مجالس الراشدين يستمع إلى فنون القول ويتربى عليها، فينبغ لهم صبيان شعراء يحتفلون بهم زمناً. فإذا كان الشعر مادة تربيتهم غير الرسمية، فإن فنوناً اخرى لابدّ انّها قد عرضت للأطفال في مجالس الكبار واسواقهم، إلا أن البدهي ان لاتقتصر تلك المجالس على الشعر. وسنعرض بإيجاز شديد إلى هذه المكوّنات لتكوين صورة عن ادب الأطفال الجاهلي يمكن الاطمئنان إلى انها قريبة من الحقيقة، او يمكن ترجيحها.

الخطابة:

كانت الخطابة في الجاهليّة مزدهرة (١). ذلك ان كل شيء عندهم كان يؤهل لهذا الازدهار-كما يرى الدكتور شوقي ضيف(٢) إذ لم يكن ينقصهم شيء من الحريّة، وكثرت المنازعات والخصومات بينهم، والدعوة إلى الحرب مرّة، وإلى السلم مرة اخرى. وقد اتخذوا مجالسهم في مضارب خيامهم، ومن أسواقهم ومن مساحات الأمراء ووفاداتهم عليهم، ميادين لإظهار براعتهم وتفننهم في المقال، وحوك الكلام. واسعفتهم في ذلك ملكاتهم البيانية، ومافطروا عليه من خلابة ولسن وبيان وفصاحة وحضور بديهة".

واستخدموا الخطابة في اغراض مختلفة: المنافرة، والمفاخرة

---

(١) على غير ماذهب إليه الدكتور طه حسين في كتابه الشهير "في الادب الجاهلي".

(٢) شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالأحساب والأنساب والمآثر والمناقب(١)، وهي منافرات استخدموها في الحض على القتال وبعث الموجدة في نفوس قبائلهم ودفعها إلى نيران الحرب، وتراميهم في أوراها كأنهم الفراش"(٢)كما كانوا يخطبون في وفادتهم على الأمراء، وفي الأسواق الكبرى التي كان الحابل يختلط فيها بالنابل، والكبير بالصغير، والنساء بالرجال طلباً للتجارة والمقايضة وسماع الشعر، ولقاء الوفود....وغيرذلك.

لقد شهد العصر الجاهلي نهضة خطابية ذكر شيئاً كثيراً عنها الجاحظ في البيان والتبين، وساق أثباتاً طويلة بأسماء خطبائهم ومواقفهم موردا فقراً من أقوالهم وخطبهم(٣) وقد بعثهم على إحسان هذا الفن حاجاتهم إليه في حياتهم في عدد من المواقف والمواطن(٤).

---

(١) كمنافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل إلى هرم بن قطبة الفزاري (انظر شوقي ضيف، العصر الجاهلي:٤١٠)

(٢) المرجع نفسه : ٤١١.

(٣) البيان والتبيين١ :١١٦، ٣٥٨ -٣٦٠، ٤٠٨؛ ٢ :٧ إذا لم يصح ما أثر عن هؤلاء الخطباء من خطب "فإن من المحقق أنهم خطبوا كثيراً في أقوامهم وقبائلهم وإلا ما اشتهروا بالبراعة في هذا اللون من ألوان اللسن والبيان"

(٤) المرجع نفسه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سجع الكهّان

والكهّان "طائفة تزعم انها تطلع على الغيب، وتعرف ماياتي به الغيب بما يلقّى إليها توابعها من الجن" "(١)والواحد من هذه الطائفة "كاهن"، والتابع "الرّئي" ". وهؤلاء كانوا يخدمون بيوت اصنامهم واوثانهم، فاكتسبوا بذلك قداسة دينية. وكان الجاهليّون يلجاون إليهم في كلّ شؤونهم، وفي خصوماتهم ومنافراتهم يطلبونهم حكّاما، ويستشيرونهم، ويصدرون عن آرائهم في كثير من شؤونهم كوفاء زوجة، او قتل رجل، او ناقة (٢)، او قعود عن نصرة احلاف(٣) او نهوض الحرب. وقد كانوا يعتقدون انّه يوحى إلى كهّانهم ممّا كان يزيد من نفوذهم في قبائلهم والقبائل المجاورة. وكان إلى جانب الكهّان كاهنات من اشهرهن الشّعثاء والزرقاء بنت زهير(٤).

وكانت اسجاعهم تستخدم الحلية البديعيّة "السجع" و"كانوا" يعمدون إلى الفاظ غامضة مبهمة حتى يتركوا فسحة لدى السامعين كي يؤوّل كلّ منهم مايسمعه حسب فهمه وظروفه. ومن ثم دخل الرمز في كثير من اقوالهم، إذ يؤمنون إلى مايريدون إيماء، وقلمّا صرّحوا او وضّحوا"(٥). وكانوا يكثرون "من الاقسام والايمان بالكواكب والنجوم والرياح والسحب والليل الداجي والصبح المنير والاشجار والبحار وكثير من الطير"(٦).

---

(١) العصر الجاهلي: ٤٢٠.

(٢) انظر: الاغاني (دار الكتب) ١١:١١٨.

(٣) انظر: الاغاني (دار الكتب) ١١:١٤٠.

(٤) الاغاني (دار الكتب)١٣:٨١ (عن شوقي ضيف ٤٢١)

(٥) العصر الجاهلي: ٤٢٣.

(٦) المرجع نفسه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونستطيع ان نطمئن إلى ان الأطفال في هذا العصر كانوا يتعرضون إلى هذا المكوّن الثقافي بمقدار او بآخر، لانه يمسّ حياتهم الروحيّة وعقائدهم، تلك التي يمارسون طقوسها في حياتهم اليومية.

الشعر والغناء

لا نجد مزيداً نقوله عن اهميّة الشعر وشيوعه في الحياة الجاهلية بعد الذي اشرنا إليه هنا وهناك في تضاعيف هذا الفصل. وعن احتمالات قوية مرجّحة لتدارس الأطفال الشعر من جهة واستماعهم إليه في محافل اهليهم من جهة ثانية، وإنشائهم على منواله مايقارب الشعر من جهة ثالثة.

وكل ماينطبق على الشعر ينطبق على الغناء

اغاني ترقيص الأطفال(١)

تعتبر اغاني ترقيص الأطفال جزءاً من الغناء الشعبي (الفولكلوري) العام "المجهول النشأة الذي جرى على السنة العامّة من الناس في الأزمنة القديمة، ثم توورث جيلاً بعد جيل"(٢)على مدى قرون. ويتميز هذا الضرب من الغناء بانه "اشكال بسيطة او مقطوعات قصيرة نشأت عن مجرّد الترنّم اللحني او الدندنة، فكانت، وبخاصة ما اتصل منها باغاني المهد همهمات هادئة تسير وفق نغمة رتيبة يصحبها غالباً تحريك الطفل او بعض اجزاء جسمه كالذراعين مثلاً،

---

(١) اصطلح على تسميتها باغاني الترقيص إتباعاً.

(٢) احمد ابو سعد، اغاني ترقيص الأطفال، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣: ١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واهتزاز الأم نفسها، او من تحمل الطفل، هزّات خفيفة تناسب إيقاع الهمهمة الذي تحدثه بفمها"(١).

وقد ورد في القاموس الاساسي للفولكلور تحت مادة Iullaby(٢) انّها "مجرّد صوت او تكرار لنغم ناعم رتيب مصحوب بهزّات لطيفة حنون للطفل بين الذراعين، او في السرير، او في العربة كان نساء القبائل الهنديّة يدندنّ به ليسكتن اطفالهنّ، او يحملنهم على النوم، كما ورد في هذه المادة ايضاً ان هذه الدنانات تسمع بالانجليزية والبولندية والرومانية والفرنسية والإيطالية، كنما كانت عند اللاتين في روما القديمة وعند اليونانيين الاثينين القدماء(٣).

ومن اغاني الاطفال مايتصل بتنويم الطفل وسمّوها (اغاني المهد)، ومنها مايتصل بالملاعبة والمداعبة والتدليل(٤).وهذه الإشارات إلى اغاني الترقيم في تراث الشعوب الاخرى تعيننا في فهم واقع اغاني الترقيص عند العرب في الجاهلية ومابعدها، عندما تعوزنا النصوص والاخبار ونطلبها ولانجد منها مايشفي الغليل.ذلك ان ماوصل الينا من شعر الجاهلية - وهو اهمّ فنونهم لديهم واكثر مانالها منهم من عناية كما وضحنا من قبل - قليل، فما بال هذه الاغاني الشعبية المرتجلة احياناً المنقولة المحفوظة الهينّة الشان في مقاييس قيم القبيلة؟

---

(١) المرجع نفسه :٢٠ (عن احمد مرسي، الاغنية الشعبية :٥٠)

(٢) انظر :Standatrd Dictionary of Folklore:653

(٣) المرجع نفسه.

(٤) احمد ابو سعد:٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد حفظت لنا معاجم اللغة بعض فنون ترقيص الأطفال عند العرب من خلال ألفاظ دالّة (١) :

فالتنزيه : رفعُ الولد إلى فوق.

والبابأة : إرقاصه ومناغاته وهزّه بين الذراعين وقول مرقّصه : بابي انتْ

والهَدْهَدة : تحريكه في المهد لينام.

والتّرقيص : رفع الولد وخفضه في حركة ذات إيقاع.

والتزفين : ضرب من الحركة مع صوت.

ويمكن أن نعتبر أغاني الترقيص أول مكوّن ثقافي يتعرّض له الأطفال عموماً يتلقونه على أيدي ومن فم أول أديب أطفال في العالم ونعني الأم (٢). وهذا المكوّن ينقسم بحسب معانيه إلى قسمين: أغاني خاصة بالذكور وأخرى بالإناث(٣)

أما أغاني الذكور فأهم المعاني التي تضمنتها النصوص التي وملتنا بث الذكر حب المرقّصة أو المرقص وإظهار التعلق به وتغذيته (٤)، والدعاء له، ومايحب الأهل أن يحمل طفلهم من أوصاف عندما يكبر، ومايحبون له من مكانة اجتماعية، ومثل ذلك مانلسب

---

(١) انظر: لسان العرب (بابا، هدهد، رقص، زفن)

(٢) انظر: زليخة ابو ريشة، أدب الأطفال والانحراف، مجلّة المستقبل العربي، العدد ٩٤ السنة التاسعة كانون الأول ١٩٨٦ : ٩٨.

(٣) أغاني ترقيص الأطفال: ٤٩.

(٤) المرجع نفسه : ٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى العاص ابن وائل قوله وهو يرقّص ولده عمراً (عمرو بن العاص) في طفولته :

ظنّي بعمرو, ان يفوق حُلُما
وأن يسود جُمحا وسهُما
ويُنشق الخصمُ الألدّ رُغما
وأن يقودَ الجيشَ مجثراً دهُما
يلثمُهم احشاء الأعادي لهما

كما نسبوا الى عبد المطلب بن هاشم ترقيص ابنه العباسي بن عبد المطلب وهو رضيع قوله (١)

ظنّي بعبّاس, حبيبي إن كبُر
ان يمنعَ القومَ إذا ضاعَ الدّبُر
وينزعَ السّحْل إذا اليوم اقمطرّ
ويسقيَ الحاجَ اذا الحاجُ كُثُرْ
وينحر الكوماء في اليوم, الخمر
ويفصلُ الخطّة في اليوم المُبَرّ
ويكسوَ الرّيطَ اليماني والأزُرْ
ويكشفَ الكُرْبةَ إذا ما الخطبةُ هر
اكملَ من عبد كُلال, وحُجُر

---

(١) انباءنجباء الابناء :٥١:٥٢، وانساب الأشراف ١:٨٩ (أغاني ترقيص ٧٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اما اغاني ترقيص البنات فتميل إلى ذكر جمالهن" والتمني لهن" ان يكن" جميلات، كما تذكر لهن خطبتهن" وزواجهن".

وإذا كنا لن نجري بحثاً في القيمة الفنية والمضمونية لهذا اللون من ادب الاطفال الجاهلي، فذلك يخرج بنا عن الإطار التاريخي، إلا اننا سنكتفي بالإشارة إلى ان" اغاني الترقيص (ومعظمها من بحر الرجز) قد حملت الكثير من القيم الاجتماعية التي كانت سائدة كالقيم الجمالية، وبعض المعتقدات السائدة، والعادات والتقاليد (١)، وموقف المجتمع من المرأة، والتعبير عن الفكر الذكوري الجنسوي (٢)، وعن النظام العائلي الذي كان مزيجاً من النظامين الأبوي والأمي" (٣).

ومع ان اغاني الترقيص تبدو فناً خالصاً للأطفال، وانها الفن الوحيد الذي نطمئن إلى انه انشيء خصيصاً لهم في الجاهلية، الا" ان" هذا الفن قد استخدم احياناً، لا لترقيص الأطفال فحسب، بل لأغراض اخرى مثل إغاظة بعض الراشدين (الزوج، الزوجة...) وجعلهم يسمعون كلاماً غير مباشر فيه ذم وإساءة (٤).

---

(١) انظر: احمد ابو سعد :١٠٧ -١٣٢.

(٢) انظر: المرجع نفسه :٧٣ -٨٣، ٩١-١٠٤، ١٠٨، ١١٣، ١١٤، ١٢١، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦.

(٣) المرجع السابق :١٢٤.

(٤) انظر :المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأمثال:

هي تعبير العامة عن تجاربها وخبراتها بكلام أكثره غير معقول(١)، أي أنه صادر عن قائله عند حادثة بعينها بعفوية ودون صنعة، ولا يعني ذلك أن ليس في الأمثال الكلام البليغ والجميل. وتدلنا الأمثال "على حياة العرب الاجتماعية...فنظرة الى مجموعة الأمثال التي قيلت في المرأة تدلُّ على انحطاط منزلتها في نظرهم، والتي قيلت في الحياة الاقتصادية تدلُّ على فقر البلاد وإجدابها"(٢)ومنها السخيف القبيح الفاحش اللفظ أو المتناقض: "سمّن كلبك يأكلك" ومنها ماكان عن تجربة صادقة ونظر هادئ، حكيم"(٣) مثل:" اخو الظلماء أعشى بليل" و"التمرة الى التمرة تمر" و"بئس العوض من جُمَل قيده"....

وتحمل الأمثال - كما اغاني الترقيص -قيم العامة والخاصة - بحسب صدورها - كما تحمل تقاليد القوم وعاداتهم وطباعهم وطرائق معيشتهم" فالأمة الزراعية لها أمثال مشتقة من زراعتها، والتجارية لهاُ أمثال مشتقة من تجارتها..وهكذا. وإنك لتستطيع أن تطبق ذلك على العرب باستعراضك أمثالهم، فقد أكثروا من الأمثال المتعلقة

---

(١) انظر: أحمد أمين، فجر الإسلام، مكتبة النهضة، مصر، ط٨، ١٩٦١: ٦٠ ويعرّف فريدريك زايلر في مقدمة كتابه "علم الأمثال الألمانية" الذي نشره عام ١٩٢٢ المثل الشعبي بانه "القول الجاري" على ألسنة الشعب، الذي يتميّز بطابع تعليمي، وشكل ادبي مكتمل يسمو على أشكال التعبير المألوفة (انظر نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨١: ٩٧).

(٢) فجر الإسلام :٦٤.

(٣) المرجع نفسه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالإبل وشؤونها فقالوا: "استنوق الجمل"(١) "وإنما يجزي الفتى ليس الجمل" و"الغدة كغدة البعير؟". وهكذا امثالهم في اللبن والجزور. وإن إستعرضنا امثال قريش راينا فيها مايدل على انهم قبيلة تجارية كقولهم "لا في العير ولا في النفير" ونحو ذلك"(٢).

ومع ان تمييز الأمثال الجاهلية من الإسلامية يحتاج إلى جهد محقق جديد لإعادة ترتيبها بحسب تاريخها لا على حروف الهجاء كما هو حال معظم مجموعات الأمثال. إلا ان الدارس المحقق يستطيع ان يستخلص شيئا مما قيل في حوادث تاريخية جاهلية (كجزاء سنمار، ومواعيد عرقوب، والمعيدي) او مايحمل قيمة جاهلية "انصر اخاك ظالما او مظلوما"، ان قائله جاهلي(٣).

وبصورة عامة نستطيع -لان الأمثال جهد العامة وصوتهم(٤) - ان نطمئن اطمئنانا استدلاليا عقليا إلى ان الأطفال الجاهليين قد تعرفوا بصورة منهجية متواترة لأدب الأمثال، مثلما يتعرض لذلك اطفال اي شعب من الشعوب. ولو اننا لانتوقع ان الأمثال يمكن ان

---

(١) يحمل هذا المثل في تفاعيله موقفا ذكوريا جنسويا من المراة، مشيرا إلى الصورة النمطية لكل من الذكر والانثى بحيث يتهدد اقتراب احدهما من الآخر في صورته او دوره اتهام صراح بالخروج على شروط الذكورة او الأنوثة، وهي نظرة تقليدية تصر عليها الأمم المتخلفة.

(٢) المرجع السابق: ٦١.

(٣) المرجع السابق: ٦٢.

(٤) المرجع السابق: ٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تكون في متناول فهم الأطفال لما تشكله من دلالة رمزية تجريدية، لخفاء الحادثة في العبارة، ودلالة المثل على اي حادثة مشابهة لقصته. ولكن بعض الأمثال قريب التناول غير مستغلق على الفهم. ومن ميزة الأمثال - وهي ميزة تناسب الأطفال- قصر العبارة، ومافيها من إيقاع لفظي وموسيقي في احيان كثيرة:" ترى الفتيان كالنخل، ومايدريك ما الدخل"و"لافي العير ولا في النفير"و"أم الصقر مقلات نزور"،.....وغير ذلك.

القصص:

القصص من اكثر الاجناس الادبية إمتاعا* للأطفال وللناس عموما* في المجتمعات المتقدمة وفي طور بدائيتهم وفي المجتمعات البسيطة والثقافة المحدودة، بصورة خاصة لما في هذا الجنس من عنصر تشويق يثيره الحدث ولانه بعض تعبيرات المخيلة البشرية عن نشاطها وحيويتها، من جهة، او بعض تعبيرات الذاكرة التسجيلية عن الواقع واحداثه من جهة ثانية. فمن المؤكد ان شغفهم بالقصص كان شديدا* "وساعدتهم على ذلك اوقات فراغهم الواسعة في الصحراء، فكانوا حين يشرخي الليل سدوله يجتمعون للسمر، ومايبدا احدهم في مضرب من مضارب خيامهم بقوله: كان وكان، حتى يرهف الجميع باسماعهم إليه .وقد يشترك بعضهم معه في الحديث، وشباب الحي وشيوخه ونساؤه وفتياته المخدرات وراء الاخبية، كل هؤلاء يتابعون الحديث في شوق ولهفة"(١).

وقصص العرب إما ان تلعنى بمايهم العربي من ايامه وحروبه (هذه ايام العرب)، وإما بما يهمه من عواطفه (فهذه احاديث الهوى) وإما بما يعنيه من بيئته وحيوانه (فهذه قصص الحيوان) وإما بما يعنيه من تفسير الكون وماوراء الطبيعة (فهذه اساطيره).

---

(١) العصر الجاهلي:٣٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو لنا أن اكثر انواع القصص قرباً من مزاج الأطفال من بين ماذكرنا تلك التي تتوافر فيها عناصر التشويق بدرجة عالية كالأساطير وقصص الحيوان والقصص الخرافية...

* * *

أما أيام العرب فهي حروبهم فيما بينهم، أو حروب القبائل كيوم داحس والغبراء (١) التي استمرت اربعين عاماً وأكلت الأخضر واليابس... وهي حروب بعض العرب مع أمم أخرى كيوم ذي قار (٢) الذي انتصر فيه بنو شيبان على الفرس. وكانت هذه القصص موضوعهم في سمرهم في الجاهلية والاسلام (٣). وأيام العرب أخبار تتضمّن قيم الغزو وجوانب متعدّدة من الحياة الاقتصادية للعربي في الجاهلية، كما تتضمّن قيماً ومفاهيم كثيرة من قيم هذا المجتمع ومفاهيمه :كالفروسية والجوار وسواهما. وكل ذلك مما نرجح أن الأطفال قد تعرّضوا إليه وتأدّبوا عليه واكتسبوه ليعيدوا إنتاجه عند الرشد.

* * *

اما أحاديث الهوى فنوع من قصص الحب عند العرب، كقصة المتجرّدة مع المنخّل اليشكري (٤)، وقصة المرقش الأكبر وصاحبته أسماء بنت عوف.

---

(١) انظر: الأغاني ١٨:٦٤٧٩.

(٢) انظر: الأغاني (تحقيق عبدالكريم العزباوي وعبد العزيز مطر وإشراف محمد أبو الفضل ابراهيم) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة) ٢٤:٥١ -٨١.

(٣) انظر نتفاً من هذه القصة في: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، دار احياء العلوم، بيروت، ط ١، ١٩٨٤ :٢٦٠.

(٤) انظر: فجر الإسلام:٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان يشيع في قصص الهوى تفصيلات من مثل تعرّف أحد العاشقين على الآخر عن طريق الخاتم (وهذه مسألة كانت معروفة عند أمم العرب، مما يشي بتسرّب "عناصر من حكايات العشق المماثلة عند الأمم الأجنبية" (١).

وليس مايمنع أن تلقي هذه القصص على مسامع الأطفال في مجتمع جاهلي منفتح على التجربة الإنسانية بأبعادها الحسّية والمجرّدة. فإن أغاني الترقيص لم تتحرّج في الجاهلية -وحتى يومنا هذا- أن تذكر الأعضاء التناسلية فرحاً بالذكورة (٢).

ونجد في ذلك - كما وجد غيرنا (٣) دليلاً على أنّ الحكم الأخلاقي في مسائل الجنس والعشق كان واسعاً متسامحاً، فلم يخفون هذه المسائل من الأطفال إذاً؟ خصوصاً إذا تذكّرنا أنّ الأطفال في المجتمعات المتخلفة والبدائية هم رجال (أو نساء) صغار.

* * *

أمّا قصص الحيوان، فإنه تنسب إلى الجاهلية قصص كانت شائعة فيها كقصّة النعامة التي ذهبت تطلب قرنَيْن فرجعت بلا أذنين، وقصة الغراب الذي ذهب يتعلّم مشية القطاة فلم يتعلّمها، ونسي مشيته، وقصة الهدهد وقنزعته (٤) ..و غير ذلك مما لانستبعد وجوده في مجتمع الجاهلية حتى لو لم تثبت صحة نسبة هذه القصص إلى هذا العصر. وبعض خرافاتهم عن الحيوانات كانت تلتقي بخرافات الأمم

---

(١) العصر الجاهلي ٤٠٢.

(٢) احمد ابو سعد: ١١٧.

(٣) العصر الجاهلي: ٤٠٢.

(٤) انظر: فجر الإسلام: ٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأخرى(١) كخرافة الحيّة والفأس. وقيمة هذه القصص - مع شكّنا بأنها حافظت على الأصل الجاهلي أنها "تلعطينا جانباً من روح القصص الجاهلي"(٢) وهذه القصص من احب انواع القصص إلى الأطفال في مرحلة معينة من مراحل نموّهم العقلي.

* * *

أما قصص الملوك(٣) ؛ فإن تاريخ الطبري والسيرة النبويّة لابن هشام والأغاني لأبي الفرج كتب تحتوي على كثير من قصص ملوكهم من المناذرة والغساسنة ومن سبقوهم او عاصروهم من ملوك حمير. كما انّ هذه القصص تجاوزت ملوكهم إلى ملوك الأمم من حولهم وشجعانهم، مثل ماجاء في السيرة النبويّة من انّ النضر بن الحارث كان من شياطين قريش، وانه كان ينصب للرسول صلى الله عليه وسلّم العداوة. وكان قد تعلّم في الحيرة احاديث ملوك الفرس واحاديث رستم واسفنديار " فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلّم

---

(١) العصر الجاهلي :٤٠٢ ويرى الدكتور شوقي ضيف ان اصل قصص الحيوان هندي، وانّها تسرّبت من الهنود إلى الأمم الأخرى كما في قصص إيسوب اليوناني. ولكن جبرا ابراهيم جبرا يرى ان منبع قصص إيسوب كان من بلاد الرافدين، أي كان عربياً (انظر: حكايات لافونتين، (ترجمة جبرا ابراهيم جبرا)، دار ثقافة الأطفال، بغداد، ١٩٨٧).

(٢) المرجع نفسه :٤٠٣.

(٣) ومما يلحق بقصص الملوك قصص الكهّان والسادة وهي قصص "استمدت منه كتب التاريخ والشعر والأدب معيناً لاينضب من الأخبار" (العصر الجاهلي:٤٠٠).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مجلساً ، فذكّر فيه بالله ، وحذّر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله خلفه في مجلسه إذا قام ، ثم قال: أنا والله يامعشر قريش أحسنُ حديثاً منه ، فهلمّ إليّ ، فأنا أحدّثكم أحسنَ من حديثه ، ثم يحدّثهم عن ملوك فارس ورستم وإسفنديار"(١)

وإذا كان بعض هذه القصص التي اثبتتها المصادر العربية كالتي ذكرنا "لاتتفق في شيء ووثائق التاريخ الروماني الصحيحة"(٢) وغيرها ، فإنّ ذلك لايؤخّر ولايقدّم شيئاً في حقيقة أن القصص التي كانت متداولة وأمثالها كانت مكوّناً ثقافياً مهماً للمجتمع الجاهلي ومن ثمّ أطفاله .

* * *

أما أساطير العرب فتتصل اتّصالاً وثيقاً بعبادتهم وأوثانهم (٣) وأصنامهم (٣) وأنصابهم (٤) وآلهتهم (العزى، هبل، الغرانيق، اللات، منأة ...) (٥) وكجومهم (٦)، ومايقدّسون من حيوان، وإنسان

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ،طبعة الحلبي، مصر ، ١:٣٢١، وانظر أيضاً العصر الجاهلي:٤٠٠.

(٢) الأوثان جمع وثن وهو ما اتخذ من دون الله إلهاً ومامنع من الحجر.

(٣) جمع صنم وهو المصنوع من خشب أو معدن.

(٤) هي حجارة "كانت حول الكعبة تنصب فيهلّ عليها ، ويذبح لغير الله ، والنّصب كل مانصب فعُبِد من دون الله "(محمود سليم الحوت:٣٨.

(٥) أنظر : المرجع نفسه : ٦٤ -٧٨.

(٦) انظر: المرجع السابق : ٧٩-١٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونبات(١)، وبمعتقداتهم(٢)، وبما يؤمنون به من جن وملائكة (٣)، ومايعبدون من ظواهر الطبيعة (٤).

وتدور بعض أساطيرهم على حوادث العرب العاربة والعرب البائدة (عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم والعمالقة) وحوادث قحطان وعدنان(٥). ومن أساطيرهم ماوصل إلينا عن قصر الخورنق وبانيه سنمار(٦)، وعن قصر غمدان (٧)، وعن عوج بن عناق(٨)، وعن جن سليمان، ووادي عبقر، والغيلان والسعالي والشياطين والتوابع والقرناء، وعن بعض الكهان (شق وسطيح)، وعن السحر(٩). وقد دخلت أساطير الجاهلية في كتب الأساطير والعجائب التي ألفت في العصر

---

(١) انظر: المرجع السابق : ١٠٣-١١١.

(٢) انظر: المرجع السابق : ١١١-١١٤.

(٣) انظر: المرجع السابق : ١١٤.

(٤) انظر: المرجع السابق : ١١٥-١٢٠.

(٥) انظر: المرجع السابق : ١٧١.

(٦) انظر: المرجع السابق : ١٨٩.

(٧) انظر: المرجع السابق : ١٨٧.

(٨) انظر: المرجع السابق : ١٨٢.

(٩) انظر: المرجع السابق: ٢٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العباسي"(١). وزعموا أن الجن والعفاريت والشياطين تتحول في أي صورة تشاء إلا" الغول التي لها صورة امراة ورجلا حمار. وذكروا ان الجن" كانت تتراءى لهم في صورة الثيران والكلاب والنعام والنسور(٢)كما ذكروا أن أهم منازلها أرض وبار وصحراء الدهناء ويبرين(٣).

ومثل بقية القصص التي بلغنا أن العصر الجاهلي قد عرفها، لم يصلنا من هذه القصص شيء مدوّن في ذلك العصر، ومع ذلك فإننا نزعم أن هذه القصص المنتحلة في كثير من تفصيلاتها تصور لنا مادة قصصهم وروحه وطبيعته وكثيراً من ملامحه، لكن لا بصورة دقيقة، وإنما بصورة عامة"(٤)كما ذهب إلى ذلك الدكتور شوقي ضيف.

* * *

والخلاصة أن الأطفال في الجاهلية كانوا يتعرّضون عبر وسائط كتابية محدودة، ووسائط شفهية متعددة المناسبات والظروف إلى ادب خاصٌ بالأطفال (اغاني الترقيص) وادب يشترك فيه الكبار والصغار (الحكايات والأساطير والقصص)، وادب خاص بالكبار (الشعر، الخطابة، سجع الكهّان، الأمثال.. وغير ذلك).

---

(١) العصر الجاهلي :٤٠٣. العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة د.ت

(٢) انظر المرجع نفسه.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان. بيروت د.ت

(٤) العصر الجاهلي:٤٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العصور الإسلامية ، والأموية ، والعباسية

أما أدب الأطفال في العصور التالية فليس لنا أن نطيل عندها حتى لا نخرج على غاية بحثنا . ولكن هذه الأجناس -إذا جاز لنا التعبير - التي عرفها العصر الجاهلي وتقدمت بها الثقافة الجاهلية إلى أبنائها وأطفالها ، قد استمر عدد منها حتى استقر عصر التدوين . فإلى أغاني الترقيص - التي ظلت مستمرة كفن حتى يومنا هذا - وإلى استمرار القصص الشعبي وما فيه من حديث عن أيام العرب وأحاديث الهوى ، وقصص الملوك ، والأمم الأخرى وسواها .. إلى استمرار الأمثال .. فإن أدباً جديداً مع قدوم الإسلام قد بزغ هو أدب "القرآن الكريم".

القرآن الكريم

والقرآن الكريم كتاب نزل منجماً لهداية الناس أجمعين دون تفضيل ، يدخل في ذلك الكبار والصغار والنساء والرجال . وليس من قبيل التعسف أن نعتبر نصوص القرآن الكريم نصوصاً تدخل في أدب الأطفال ، فمثلما رأينا من قبل على وجه من الاقتناع العقلي بالأدلة الاستنباطية المنطقية التي سقنا ، وبعض الشواهد ذات الدلالة الواضحة على أن الشعر الجاهلي -وهو ديوان العرب- كان مكوناً مهماً من مكونات ثقافة الطفل الجاهلي -والطفل المسلم أيضاً كما سنرى- فإننا نمضي إلى القول أن القرآن الكريم كان أهم مكون ثقافي للطفل العربي في عصر صدر الإسلام . وليس ذلك بمستغرب لأن أي حركة ثقافية جديدة أي عقيدة جديدة إنما تحرص أشد الحرص على تثبيت مبادئها ، والتخطيط لبقائها وامتدادها من خلال حرصها على تعليم الأطفال هذه العقيدة أن لا تهمل الأطفال .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عرف التاريخ الإسلامي إسلام علي بن ابي طالب وهو طفل لم يتجاوز التاسعة من عمره.. ولهذا دلالته الكبيرة على ان الخطاب الاسلامي الذي كان يؤدّيه الرسول صلى الله عليه وسلم إنما كان يتوجّه للأطفال كما للكبار على حد سواء.. كما انّ الإسلام قد اهتم ان يضع معالم للتربية الإسلامية بان يبدأ الأطفال بتعلم الصلاة وهم ابناء سبع، وان يُضربوا على تركها اذا بلغوا الحلم.. ولا يكون تعليم الصلاة دون تعلم القرآن الذي ينبغي ان يسبق الثاني الأول منهما.. وهذا يعني ان يتم ذلك قبل سن السابعة، وهو ما درجت عليه الثقافة العربية الإسلامية من تدريس الأطفال القرآن الكريم والانتهاء من ذلك عند هذه السن على مدى قرون متتالية -حتى عهد قريب إلى ان غزت المدرسة الحديثة نظامنا التربوي.

ومن وجهة اخرى فإن الأطفال -كما في العصر الجاهلي- لم يكونوا مبعدين عن عالم الكبار، فقد كانوا يخالطونهم في مجالسهم وفي عباداتهم. ونحن نعلم انّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان يصبر على مداعبة حفيديه له (الحسن والحسين) في اثناء صلاته، وانه كان يصبر عليهما اذا علواه في سجوده، حتى إذا نزلا عنه قام. ودلالة هذه الحادثة وامثالها ان الاطفال كانوا يستمعون إلى القرآن الكريم وهو يتلى في الصلاة، وخارجها ايضا.

إننا ننظر إلى اهتمام الإسلام بتقرئ الأطفال قرآنهم في سن مبكرة انّه يورّث الأطفال إيقاع لغتهم وموسيقاها وجرسها.. كما يورّثهم إيقاع العقيدة التي تتاسس على الإيمان بالله وتوحيده، مع ان ذلك اعلى درجة من درجات التجريد، الا انه في المراحل الاولى -بصورة خاصة- (ونعني السور المكّية) كان يتم من خلال صور حسية: موسيقية سمعية او بصرية. ولنستمع الى الدكتور صبحي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصالح يقول عن السور المكية في مرحلتها الاولى(١) :"إن آياتها جميعاً قصار، وانها شديدة الإيجاز، وان القسم فيها بمشاهد الكون كثير، وان صيغ الإنشاء فيها من امر ونهي واستفهام وتمنٍ ورجاء تتخلل مقاطعها وتزيدها حرارة، وان الفاظها رشيقة منتقاة يسري التنغيم في احرفها المهموسة تارة، المجهورة تارة اخرى. وان فواصلها الموزونة المقفاة -بايقاعها العجيب- تنساب احياناً وتتموج، وتلهث احياناً وتتهدج، وتقصف احياناً وتدمر، وتصرخ احياناً وتزمجر، وان تجسيم المعنويات، وتشخيص الجوامد، وخلع الحركة والحياة والحوار على الاشياء الصامتة، قد احالت مشاهدها لوحات فنية غنية بالاصباغ الحية".

ولننظر في سورة العاديات وما فيها من صور موسيقية وحركة وتقطيع:

"والعاديات ضبحاً * فالموريات قدحاً * فالمغيرات صبحاً * فاثرن به نقعاً * فوسطن به جمعاً * إن الإنسان لربه لكنود * وإنه على ذلك لشهيد * وإنه لحب الخير لشديد * افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور * وحصل ما في الصدور * إن ربهم بهم يومئذٍ لخبير" (العاديات مكية).

ولننظر سورة القارعة وما فيها من إيقاع وصور حسية سمعية وبصرية ولمسية "القارعة * ما القارعة * وما ادراك ما القارعة * يوم يكون الناس كالفراش المبثوث * وتكون الجبال كالعهن المنفوش * فاما من ثقلت موازينه * فهو في عيشة راضية * واما من خفت موازينه * فامه هاوية * وما ادراك ما هيه * نار حامية *" (القارعة مكية).

---

(١) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ط٢، ١٩٦٢: ٢١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه الخصائص :قصر الجمل، قصر النص المقروء، الايقاع الداخلي(النفسي والبيني) الايقاع الخارجي (السجع، الوزن) التصوير الحسي، استخدام مفردات البيئة (١) هي من اهم ما ينبغي ان يراعى في انشاء ادب للاطفال كما سنرى ذلك في الفصل الخاص بفنيّة الكتابة للاطفال. واذا كانت هذه النصوص تشكل للاجيال الجديدة صعوبة في الفهم بسبب مزاحمة العامية وتطور اللغة العربية وبعدها عن منابعها الاولى. فإن الطفل العربي في صدر الإسلام ليس له ان يواجه مثل هذه الصعوبة، فليست قضية الفهم على وجه العموم قضية مطروحة. وحتى النقلة الثورية في الدلالة اللغوية وتطوير اللغة التي احدثها الإسلام، كان يصاحبها سلوك إسلامي وممارسة إسلامية للمصطلح الجديد واللغة الجديدة كانا يساعدان على كشف الغامض كما في مفردات كالصلاة والحج والزكاة التي حملت في الاسلام معاني جديدة لم تكن معروفة من قبل.

ويأتي في مكونات ثقافة الطفل العربي بعد القرآن الكريم نصاً، شروحه، وتفسيراته التي دارت حول قصص الغابرين. كما يأتي بعد ذلك الحديث الشريف، واخبار الفتوح.

كليلة ودمنة

إذا جاز لنا ان نقفز قفزة واسعة عن العصر الاموي بما حفل به من ثقافة ومستجدات وبدايات ترجمة وتدوين وتاسيس لمهنة معلّم البنين في الدّور والقصور، فإن كليلة ودمنة من اهم ما ينبغي ان نقف عنده من مكوّنات ادب الاطفال في العصر العباسي من كتب.

---

(١) مفردات هنا ليست بمعنى كلمات، وانما هي بمعنى مكونات البيئة وموجوداتها وعناصرها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسواء أكان ابن المقفع(١) هو مؤلّف (٢) كتاب "كليلة ودمنة" وادعى انه ترجمه عن الفهلوية، أم كان مترجماً فحسب(٣). فإن هذا الكتاب الموضوع على ألسنة البهائم غير الناطقة يهدف إلى أن "يتسارع إلى قراءته واقتنائه أهل الهزل من الشبان، فيستميل قلوبهم، لأن هذا هو الغرض بالنوادر من الحيوانات"(٤)، كما يهدف إلى "إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الالوان والاصباغ ليكون أنساً لقلوب الملوك، ويكون حرصهم أشد للنزهة في تلك الصور" (٥)، كما يهدف الى أن ينتفع به الملوك والسوقة "فيكثر بذلك انتساخه ولا يبطل على مرور الأيام، بل ينتفع بذلك المصور والناسخ ابداً"(٦). كما يهدف أن يقدمه للفيلسوف ليقف على اسرار معاني الكتاب الباطنة (٧).

---

(١) ولد حوالي ١٠٦هـ/٧٢٤م من أبوين فارسيين - ويقال من أب عربي وأم فارسية - واسم أبيه -فيما يروى- دازويه.

(٢) يرى اصحاب هذا الرأي ان اغلب اصول الكتاب كانت حكايات تتداولة في البصرة التي كانت تسمى "ارض الهند" فصاغها ابن المقفع مستنداً الى حصيل واسع من فابولات الجاهليين والنبط والاغريق والهنود وغيرهم (ليلى سعد الدين، كليلة ودمنة في الادب العربي: دراسة مقارنة، مكتبة الرسالة، عمان، د.ت: ١٦٢) والفابولات هي القصة على لسان الحيوان (انظر ليلى سعد الدين: ١٤٩).

(٣) انظر المرجع نفسه: ١٦٢-١٧٧.

(٤) ابن المقفع، كليلة ودمنة.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومع أن ابن المقفع لم يذكر الأطفال فئة مستهدفة لكتابه، إلا أنه من المتعذر أن نميل إلى الظن أن الأطفال في العصر العباسي لم يقرأوا هذا الكتاب، ولم يتأثروا به -فهو كتاب- وإن كانت أغراضه بعيدة الغور في نقد الواقع السياسي - يتناول في الظاهر قصص الحيوان. وهل نحتاج إلى أدلة وتثبت على ميل الأطفال إلى هذا النوع من القصص؟ ثم إن هذه القصص ذات هدف تعليمي(١). كما أن أسلوب ابن المقفع الموصوف بالسهل الممتنع وما عُرف عنه من جمل قصيرة، وخلو من الغريب الموحش المبتذل(٢)، وشخصياته الحية المتوقدة القادرة على أن تفعل كل شيء، والعاجزة على أن تفعل أي شيء، فينشأ الصراع(٣).. كل ذلك يقدم سبباً آخر ليكون كتابه في طليعة الكتب التي قرأها الأطفال العرب في العصر العباسي، على وجه من الترجيح الشديد.

وقد اخترنا هذا الكتاب لأنه به يعد ابن المقفع خالق الفابولا (قصص الحيوان). في الأدب العربي القديم(٤).

ومن المفيد أن نشير إلى أن عدداً من أدباء العصر العباسي قد اقتفوا أثر ابن المقفع في كليلة ودمنة، فانشاوا على غراره(٥).

---

(١) ليلى سعد الدين :٢٦٣.

(٢) المرجع نفسه : ٢٦٧.

(٣) المرجع السابق: ٢٦٣.

(٤) المرجع السابق: ٢٦٣.

(٥) من هؤلاء: الفضل بن نوبخت الفارسي وسهل بن هارون الذي صنف كتاباً للمامون سماه "ثعلة وغفراء".

كليلة ودمنة في الأدب العربي، دراسة ومقارنة، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، د.ت، ص ٢٦٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما صاغه احدهم (١) شعراء وحاكاه في ذلك شعراء آخرون (٢). وهذا يعني ان فرص اطلاع الاطفال على هذا الفن في العصر العباسي كانت متعددة، بما يحمل هذا الفن من إغراء وإثارة لهم بصورة خاصة.

نجلاء الجاحظ : (١٥٩-٢٥٥هـ)

وهو مؤلف يقف مثل "كليلة ودمنة" على مستويين، مستوى قريب التناول، ماخوذ على ظاهره انه حكايات وطرف وافاكيه.. ومستوى بعيد الغور يكشف عن الحياة الاجتماعية في صدر الدولة العباسية، وعن كثير من عادات العامة والخاصة واحوالهم وصفاتهم (٣)، مثلما راى الدكتور ابراهيم السامرائي عندما قال: "وقد ياخذك ان البخلاء كتاب ظرف وادب ومتعة، ولكنك ترجع عن هذا الراي الغطير لتقر ان فيه من علم الاجتماع الكثير من الفكر النيّر والعلم الجديد" (٤).

والجاحظ في مقدمته يقول: "ولك في هذا الكتاب ثلاثة اشياء: تبيّن حجة طريفة، او تعرف حيلة لطيفة، او استفادة نادرة عجيبة، وانت في ضحك منه إذا شئت، وفي لهو اذا مللت الجد" (٥). وهو يلمح

---

(١) هو ابان بن عبد الحميد اللاحقي.

(٢) مثل: علي بن داوود وبشر بن المعتمد (انظر: عالم الحكايات الشعبية: ٦٧).

(٣) الجاحظ، البخلاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٩، ١:١٤ (من مقدمة المحققين).

(٤) ابراهيم السامرائي، من معجم الجاحظ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٨٢: ٩.

(٥) البخلاء: ١:٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى انه يريد من كتاب الإضحاك هذا نفعاً لقارئه، وانه لا يريد تسليته لمجرد التسلية "ومتى أريد بالمزح النفع، وبالضحك الشيء الذي له جعل الضحك، صار المزح جداً، والضحك وقاراً" (١) وهو بذلك يعلن عن غاية تعليمية خفية، مما يعين في اعتباره احتمالاً مفتوحاً في أدب الطفل العربي. هذا، بالاضافة الى أن الفكاهة (شَرَك) ثقافي يسهل على القراء الوقوع فيه أو الانجذاب اليه، وخصوصاً الأطفال. ذلك ان الفكاهة ترتبط "بشعور الارتياح الذي يحس به المرء لحظة التخلص الوقتي من كثير من القيود التي تفرضها البيئة الطبيعية والاجتماعية على الانسان" (٢) كما قال "روزنتال" في دراسة عن "الفكاهة في صدر الاسلام"، فمن كالاطفال يميل إلى الحرية ؟؟!.

ثم ان تحليل قصص البخلاء على المنهج البنيوي (٣) يكشف عن نمطية منهجية في التاليف يمكن أن ينطبق عليها تعريف حكاية البخلاء بانها "وحدة سردية مستقلة بذاتها، تجسم فعلاً او حادثاً ما يبين أن شخصاً او اشخاصاً او جماعة او طبقة من الناس سواء لهم الصفة التاريخية أم لا، يتصفون بصفة البخل. ولقد تم وضع الحكايات بناءً على معايير أدبية محضة، وليست في حاجة إلى أن تتطابق دائماً مع كل التقسيمات او العلامات التي وردت بالنص" (٤). وهذا التعريف يعني أن قصص البخلاء تمتلك نسقية بسيطة غير مركبة او هيكلاً بسيطاً يكتسي بالتفصيلات، وهي خصائص مهمة في الكتابة للأطفال كما سنرى.

---

(١) المصدر نفسه : ٣٠.

(٢) فدوى مالطي دوجلاس، بناء النص التراثي، دراسات في الأدب والتراجم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥: ٣٦.

(٣) المرجع نفسه : ١٩-٢٩.

(٤) المرجع السابق: ٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما ان" الكتابة الفكاهية تميل إلى الانضغاط والاقتصاد في اللفظ، وهي مسألة لاحظها فرويد في دراسته عن" الفكاهات وعلاقتها باللاشعور"(١). وهذه خاصية (الاقتصاد والايجاز) تناسب الأطفال.

إن نظرة جديدة إلى الفكاهة على انها نوع من انواع اللعب، يساعد في تقديم "البخلاء" للاطفال في العصر العباسي وما بعده.. وهي نظرة نستطيع ان نستشفها من كلام روزنتال في معرض حديثه عن الحرية التي يمارسها المرء في الفكاهة:" فما يقوم به المهرّج من تشويهات ومساخر مضحكة توعز للمشاهد بحرية معينة من الحركات التقليدية المحافظة التي يخضع لها الجسد البشري عادة، ومن ثم" فهي تبهجه وتفرحه، كما أن الفكاهة التي تكمن في التورية والقافية وكافة (!!) الانواع الاخرى من الفكاهات اللفظية ترجع أصولها إلى حقيقة ان" التعبير اللغوي الانساني يتحرّك في محيط قنوات ضيقة تماما"، وعادة ما تكون منطقية، واي انحراف عن هذه القنوات يكون الاحساس به حادا"، على انه بمثابة انفراج وتحرّر من القيود المحافظة، وبالتالي يكون فكاهيا""(٢).

إن الفكاهيّة في البخلاء مدرسة تهذيبية تعليمية" قائمة على السخرية من إحدى الخلال الناقصة. ونعني"البخل". وهي مدرسة تنسجم مع تحليل "بيرجسون" للعوامل التي تمنع الفكاهة ومنها العامل السيكولوجي الذي" يتمثّل في عدم وجود تعاطف معيّن مع الموضوع"(٣)ذلك" ان التعاطف الشديد مع الشخصية يجعل من الصعب بالنسبة لنا ان نضحك على مصائبها"(٤).

---

(١) المرجع السابق:٣٣.

(٢) المرجع السابق:٣٦.

(٣) المرجع السابق:٤٠.

(٤) المرجع السابق:٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وليس من دليل لدينا على أن البخل كان خلّة يتفاخر بها أبناء عصر الجاحظ، وهذا يعني توافر العامل النفسي لاستقبال هذه الحكايات استقبالاً حسناً والاستمتاع بها، وتناقلها، والاحتفاء بها.

الف ليلة وليلة:

إن الراي ان الاصل المترجم لالف ليلة وليلة انما كان عن" هزار افسان" الكتاب الفارسي، لا يغيّر شيئاً من حقيقة ان العصر العباسي قد عرف هذا القصص الشعبي الذي ظلّ يتنامى ويتغيّر ويزداد وينقص بحكم ثقافة الراوي وتغيّر الظروف والامكنة والازمنة. ثم انّ المدخل الدرامي المؤثر لهذا القصص الشعبي، وهو محاولة شهرزاد دفع الموت المؤكّد عنها باختلاق قصص ممتعة للملك شهريار استمرّت هذا العدد من الليالي يخلق حول القصص ظرفاً مغرياً للقراءة والاستماع. ولا شكّ انّ المتعة المشتركة التي كان يجنيها الكبار والصغار من المستمعين إلى رواة الف ليلة وليلة تشكّل عنصراً فنياً مهماً يلبّي الميل الفطري لدى الانسان للتسلية وحبه الفطري للفن القصصي.

ثم إنّ تأسيس قصص الف ليلة وليلة على جني "العبرة" في كل قصة -حتى تلك التي تخلو من العبر- يشير إلى الإطار التهذيبي الاخلاقي(١) الذي كان رواة هذا القصص يعلنونه في أوّل القصص وآخرها: "لو كتب ذلك بالإبر على آماق البصر لكان عبرةً لمن اعتبر"، وسبب ذلك ما ذكرته الدكتورة سهير القلماوي: إحساس غامض في نفس القاص" من إن القصص يجب أن يكون كله لغرض او لغاية "(٢).

---

(١) سهير القلماوي، الف ليله وليله، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦: ١٩٩.

(٢) المرجع نفسه:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه الغرضيّة او الغائيّة التهذيبية تبدو متطلّبا حسنا تطلبه العامة -دون تمحيص دائما- وبعفوية احيانا كثيرة، فيما تقدّم لصغارها من الوان القصص. يضاف إلى ذلك انّ الليالي(١) تحفل بالموضوعات الاخلاقية وموقف القاص من الخير والشرّ والغدر والوفاء وسوى ذلك.. وقد تغلّبت" نزعة الخير تغلبا قويا على قصص الليالي"(٢). واستلزم ذلك ان يكون الشرير نموذجا مثاليا للشرّ، والطيّب نموذجا مثاليا للخير(٣).

واستخدمت الليالي الجن والعفاريت والحيوان لتبليغ رسالتها المتصلة بتسلية العامة او تقديم العظة إليهم. وهي موضوعات يحبّها الاطفال ويميلون الى الاستماع إليها- لما سنراه مما يتعلّق بنموّهم العقلي في المراحل العمرية المختلفة.

ومن المفيد ان نذكر أن الف ليلة وليلة ظلّت تشكّل منذ وجدت في الثقافة العربية حضورا ادبيا شعبيا مستمرا. يتربى عليها الاطفال حتى الآن وجدانا وذائقة ومخيلة، لما يجد القاص او الراوي فيها من حريّة في التحوير والتغيير بما يتلاءم وروح العصر وقيمه، وبما يتلاءم والبيئة المكانية ومفرداتها، بحيث لا يشعر الطفل في أي عصر حكي له هذا القصص بغربة شديدة. وهذه خاصيّة تتميّز بها الحكاية الشعبية التي يظلّ يرويها مؤلّف نقلا عن مؤلف آخر.

والتي تظل تسمع وتروى بإضافات او دون إضافات او تغييرات يدخلها الراوي الجديد عليها(٤).

---

(١) كلمة يختصر بها الباحثون العنوان الطويل ل"الف ليلة وليلة".

(٢) المرجع السابق:١٨٨.

(٣) المرجع السابق.

(٤) عالم الحكايات الشعبية:١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخاتمة القول ان ما ذكرناه عن مكوّنات ادب الاطفال القديم ليس في غالبه الاّ على سبيل الاختيار لا الحصر. وليست تلك المكوّنات التي تكوّن ادب الكبار وثقافتهم فحسب، بل حاولنا ان نتلمس ما كان منها مناسباً -بطريقة ما- للاطفال سواء من جهة الموضوع اوجهة الإيقاع او جهة اللغة او جهة الخيال...

وقد فضّلنا القول في العصر الجاهلي لأنّه اصل الدراسة التاريخية من جهة، ولأنه من العصور بل اكثرها التي يقلّ عنه الخبر اليقين والمعلومات الوفيرة. واوجزنا في العصر الإسلامي (صدر الاسلام والاموي) تجنباً للتكرار والإطالة، وتخيرنا اهمّ ما يلفت في العصر العباسي من إنتاج ادبي نرجّح تعرّض الاطفال له واطلاعهم عليه. مدركين ان صورة ادب الاطفال في هذا العصر لا تتمّ دون الوقوف على كتب اللغة الميسّرة (مثل: الالفاظ الكتابية، وفقه اللغة) وعلى الادب التعليمي، وعلى درة الفن القصصي في هذا العصر ونعني"المقامات" ولذلك نكتفي بالاشارة اليها فقط في هذه الخلاصة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لمَ هذا الفصل ؟

لما كانت هذه الرسالة خطاباً للمهتمين بأدب الاطفال من أبناء العربية ، فإنه بدا من غير الصواب تجنب الإطار الفلسفي الاجتماعي الذي يؤطر الكتابة للاطفال ويحيطها بسياج محدّد كانما هو الاهداف العلياللأمة ، وفلسفتها ، ومنهج رؤياها لله والكون والإنسان. اذ لا يمكن أن يكتب أديب او أن يعدّ معدّ" برنامجاً" او ان يخرج مخرج" مسرحية للأطفال وهو جاهل بفلسفة الثقافة التي يتحرك الاطفال في إطارها ، فإذا كان العالَم الاشتراكي حريصاً على تنشئة اطفاله عبر نظامه التربوي الرسمي(١) ونظامه التربوي الموازي (٢) ، بما يقدّم إليهم من فلسفة اشتراكية ماركسية ، فإنّ العالم الراسمالي بدوره حريص على تنشئة اجياله بما يغذيهم به من قيم الفكر الراسمالي والفلسفة البراجماتية النفعيّة . بل إن الطفل اليهودي في فلسطين المحتلة يتعرّض بشكل منهجي للفكر الصهيوني الذي يحدّد رؤياه للحق التاريخي فيما يسمونه "ارض الميعاد" ، وعلاقته بالكون والإنسان والعربي على وجه الخصوص - وهو ما سنفصل فيه القول بعد قليل.

ولذلك يبدو غريباً ومريباً أنْ لا يتزوّد كاتب الاطفال العربي تزوداً كافياً بفلسفة امته ، ليعيد إنتاجها فيما يقدّم للأطفال من ادب، واذا كان هذا يبدو حكماً اخلاقياً ، فإننا لا

---

(١) Formal Education.

(٢) التربية الموازية هي التربية التي يتعرض لها الأطفال والكبار عبر وسائط التربية غير الرسمية كالمساجد والنوادي ووسائط الإعلام وسواها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نستطيع ان ندعي ان اهتمامنا بالطفل وادبه اهتمام غير اخلاقي، ذلك انه ينبع من أصل الإحساس بالمسؤولية تجاه بناء المستقبل بلبنات منتخبة .

وفي معرض تنويهنا باهمية الإطار الفلسفي الاجتماعي في ادب اطفال اي امة من الامم لا نغفل المعضلة التي تواجه الكاتب العربي: اي فلسفة يعتنق حتى ينتج؟ هل هي الفلسفة الاسلامية ؟ هل هي القومية العروبية ؟ هل هي الاشتراكية القومية ؟ وتبدو المسالة اكثر تعقيداً وصعوبة في ظلال التجزئة العربية ، وفي تلك الاقطار التي لم تابه -لسبب او لآخر- ان تحدد فلسفتها ، فواجه ادباء الأطفال فيها مغضلة الاختيار ، ناهيك عن اولئك الذين يهربون من المسالة بما يعبرون عنه من قلق وضياع هوية .

المفاهيم

ما الفلسفة ؟

لا نقصد بالفلسفة تلك المناهج الفكرية او المدارس الفلسفية التي عرفتها البشرية كالسفسطائية والابيقورية والارسطية والمثالية والافلوطينية الجديدة ، والكانتية ، والوضعية ، والوجودية ، والبراجماتية والماركسية والتجريبية ، والصوفية وسواها ... فحسب.. بل ذلك الوقوف الحائر المدهوش الذي يورثه الإنسان تجاه الكون (الله ..والطبيعة .. والإنسان) في محاولة لتفسيره .. إنها مجمل الملامح الثقافية للتجربة الروحية للأمة في تفاعلها مع العالم (المادة) وفي تحديد اختياراتها . ولذلك لا نجد فيصلاً حاداً بين فلسفة الأمة العربية كمنتجة للدين الإسلامي، وبين هويتها التي اكتسبت بعض ملامحها وصنعت بعضها الآخر ، وانتجت بعضها الثالث من تفاعلها الدؤوب مع الشعوب التي اتصلت بها بسبب. ولا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يبدو رسم ملامح هذه الفلسفة مسألة سهلة، وهو أمر استنكفت عنه وزارات التربية والتعليم العربية منطلقة من أن فلسفة الأمة تحصيل حاصل ولا تحتاج إلى تحديد، فإذا نهضت إحداها لتحديدها ووضعت لذلك قانونا (كالذي وضعته وزارة التربية والتعليم الأردنيه -رقم ١٦) ثار جدل حول : هل هذا هو فلسفة الأمة العربية ؟أم هو جئزازات ونتف لا يربطها رابط؟

ويبدو لنا أن "القيم لب" أي فلسفة مجتمع.. القيم بمعناها المطلق غير الموصوف بصفة نسبية (كالقيم الدينية، أو القيم الجمالية، أو القيم الاجتماعية....). وهي مسألة تتجلى باضطراب عظيم في أدب الأطفال حيث يرى الكتّاب - وكذلك المربون - أن أدب الأطفال مجال مطلق لتمثل القيم (١).

ما القيم؟

يُختلف تعريف القيم باختلاف الفلسفة المعنية. وقد عبر الفيلسوف الإسلامي عن القيم -حيث لم يعرف القيمة بهذا المعنى المجرد الا" حديثا" -"بالمثل العليا"، مضيفا إليها بعدا ارستقراطيا طبقيا، أو تحليقا مكانيا، أو بُعدا أخرويا باعتبار أن "الدنيا" لعالم الشهادة، وأن "العليا" أو الآخرة أو الاخرى لعالم الغيب. والأولى للنقيصة والدنيّة، والثانية لكل ما هو جليل وجميل وكامل... ولذلك يبدو أن المفكّر الإسلامي لم يقف من القيم (أو المثل) موقفا حياديا، بل ألزمها أن ترتبط

---

(١) عبد الله أبو هيف، <u>أدب الأطفال :نظريا وتطبيقا</u>، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٣ : ٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالأعلى، وهذه نظرة مثالية لأنها تتلقى الحقيقة من وراء الغيب، ومن عالم (مثال) كامل.

ومن التعريفات السائدة للقيم ما يلي :

١. تعريف عبد الملك الناشف:

"القيمة معنى وموقف وموضع التزام انساني او رغبة انسانية، يختارها الفرد بذاته للتفاعل مع نفسه ومع البيئة الكلية التي يعيش فيها، ويتمسك بها.

وهي تتالف من اتحاد مكونين هما: المكون العقلي، والمكون الوجداني. غير ان توافر هذين المكونين لا يكفي وحده، إذ انهما لا يشكلان سوى قيمة جزئية او القيمة الكامنة، فالقيمة لا تكتمل لاغراض وظيفية وإنجازية، الا بانضمام عنصر ثالث هو الممارسة او السلوك الذي ينبغي ان يتسق مع القيمة الكامنة، بحيث يتلاحم مع الالتزام العقلي والوجداني .... والقيمة موضع اهتمام الفرد، او رغبته، او طلبه، وجوديا او اخلاقيا، او جماليا. فهي مصدر نفع من الناحية الوجودية، ومصدر خير من الناحية الاخلاقية، ومصدر متعة من الناحية الجمالية"(١).

---

(١) عبد الملك الناشف، القيم وقابليتها للتعليم والتعلم، مجلة المعلم/الطالب، معهد التربية، الاونروا/اليونسكو، عمان، العدد ١٩٨١/١: ١٣ وانظر ايضا: عبد الملك الناشف، القيم وطرائق تعليمها وتعلمها، دائرة التربية والتعليم، معهد التربيه، الاونروا/اليونسكو، (رمز المادة EIP/13)، عمان، ١٩٨١: ٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى الأستاذ عبد الملك الناشف أن القيم ترتبط بمعايير ثلاثة تتحكم بمناهجها وعملياتها وهي: الاختيار والتقدير والفعل.(١) "ويتضمن الاختيار انتقاء القيمة من أبدال مختلفه، بحرية كاملة، بحيث ينظر الفرد في عواقب انتقاء كل بديل، ويتحمل مسؤولية انتقائه بكاملها. وهذا يعني ان الانعكاس اللاإرادي لا يشكل اختياراً يرتبط بالقيم. أما التقدير، فينعكس في التعلق بالقيمة والاعتزاز بها، والشعور بالسعادة لاختيارها، والرغبة في إعلانها على الملأ، وأما الفعل، فيشمل ممارستها الفعلية، أو الممارسة على نحو يتسق مع القيمة المنتقاة، على أن تكرر الممارسة بصورة مستمرة في أوضاع مختلفة، كلما سنحت الفرصة لذلك"(٢). ونعرض فيما يلي شكلاً توضيحياً يبيّن سلم الدرجات المؤدية الى القيم من اعداد الاستاذ عبد الملك الناشف اقتباساً من سايمون واولدز(٣).

٢. ومن التعريفات المطروحة تعريف سمر روحي الفيصل (باحث في ادب الاطفال):

"إن القيم دوافع محركة لسلوك الفرد محددة له، ولها دور فعال في تكامل شخصيته، وذلك ان اتساق نظام القيم لدى الفرد يعني انه شخصية سليمة، بينما تؤدي الصراعات في نظامه القيمي إلى اضطرابات عصابية. ومن جهة اخرى فإن الفرد عضو في المجتمع، ولكي يتمكن من

---

(١) انظر: القيم وقابليتها للتعليم والتعلم، مجلة المعلم/الطالب:١٤.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه:١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحياة في هذا المجتمع فان عليه ان يتبنّى نظام القيم السائد فيه . وهذا لا يعني انه لا يجوز للفرد ان يتحدى ذلك النظام ، اذ المصلح الناجح عادة ، هو فرد يشارك في معظم قيم جماعته ، وعن طريق هذه المشاركة يمكنه الإتصال بهم لكي يبشر بقيم غير تقليدية او ثورية لها دورها في عمليات التغيير الاجتماعي" (١)

٣. وتعريف عبد الثواب يوسف (كاتب أطفال) :

"والقيمة هي كل صفة ذات اهمية ، لاعتبارات نفسية او اجتماعية او ، اخلاقية او جمالية ، وتتسم بسمة الجماعية في الاستخدام . . والقيم - عادة . . . موجهات السلوك او العمل ، ومعنى ذلك ان مجموعة القيم التي يعتنقها شخص من الاشخاص هي التي تحركه نحو العمل ، وتدفعه الى السلوك بطريقة خاصه ، ويتخذها مرجعه في الحكم على سلوكه بانه مرغوب فيه ، او غير مرغوب عنه ، ولا شك ان اثر ذلك يعود على المجتمع خيراً او شراً ، طبقاً لنمط السلوك وكيفيته والمرجع القيمي له . . . وتنبع القيم من التفاعل الاجتماعي ، ووفق تصرفات افراده التي تحمل عناصر ثقافته الخاصة . وهذا الذي يشيع بين الناس في مجتمع من المجتمعات ويحكم تصرفاتهم ، ويعدونه مرجع الحكم عندهم هو بعينه الذي نسميه "قيمة" . والقيم ذات ثبات واستمرار ، غير ان ذلك نسبي وليس مطلقاً ، كما انه قد يحدث انحراف عن مسار القيم السائدة بدرجات متفاوتة ، اذ تعتبر القيم هدفاً يسعى الأفراد إلى تحقيقه في

---

(١) سمر روحي الفيصل ، مشكلات قصص الاطفال في سوريه ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٨١ : ٩ ، عن : خلف نصار محيسن الهيثي ، القيم السائدة في صحافة الاطفال العراقيه ، وزارة الثقافة والفنون ، بغداد ، ١٩٧٨ : ٧-٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنفسهم، وفيمن حولهم، وهي تنشأ وترتبط بالحاجات الأساسية للإنسان. وقد يعبر عنها بشكل مباشر، وقد تكون ضمنية تختفي في طيات السلوك والتصرفات(١).

ويرى عبد التواب يوسف أيضاً أن القيم السائدة في مجتمع من المجتمعات هي معيار يحركه نحو أهدافه، وهي المقياس الذي يزن له بكل دقة أموره واتجاهاته"(٢).

٤. تعريف الدكتورة عواطف عبد الجليل (٣) :

من القيم ما هو منبثق من الدوافع الحيوية كتعلق الرضيع بأمه. ومنها ما هو منبثق من التفاعل بين دوافع الطفل الطبيعية الموروثة وعوامل البيئة الخارجية المادية والمعنوية والاجتماعية (٤).

---

(١) عبد التواب يوسف، مدى تأثير القيم العربية الإسلامية على برامج الأطفال بدول الخليج العربي، ندوة "ماذا يريد التربويون من الإعلاميين"، مكتب التربية العربي لدول الخليج، المملكة العربية السعودية: ٣٢٧-٣٢٨. وانظر أيضاً: عبد التواب يوسف، الطفولة والقيم، من بحوث الحلقة الدراسية عن "القيم التربوية في ثقافة الطفل"، (١٩٨٥/١١/٣٠-١٩٨٥/١٢/٤)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥: ١.

(٢) المرجع نفسه: ٣٢٨.

(٣) نائبة رئيس تحرير جريدة الجمهورية، القاهرة.

(٤) عواطف عبد الجليل، المعرفة عند الطفل، من بحوث الحلقة الدراسية عن "القيم التربوية في ثقافة الطفل" (١٩٨٥/١١/٣٠-١٩٨٥/١٢/٤)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥: ٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥. تعريف الدكتور حسن شحاتة (١):

"القيم مجموعة من المعايير التي تحقق الاطمئنان للحاجات الانسانية، ويحكم عليها الناس بانها حسنة، ويكافحون لتقديمها الى الاجيال القادمة، ويحرصون على الإبقاء عليها" (٢). كما انها " قوة محركة لسلوك الفرد وعمله، وهي توجه اداء الطفل وجهة دون الاخرى. والقيم يتشربها الفرد من الحياة الاجتماعية، بيد انها تبدو كما لو كانت شخصية وملكاً للفرد نفسه. وتكون مرجعاً للفرد في الحكم على الجمال والقبح والشر والخير" (٣)

٦. تعريف رالف بيري (٤):

"تعرف القيمة بالقياس إلى الجدوى" اما الجدوى فهي" سلسلة من الاحداث يتحكم فيها توقع نتيجتها" ويقال" إن الشيء يكون موضوع جدوى عندما يؤدي توقعه إلى القيام بافعال تنتظر تحقيقه او عدم تحقيقه" (٥).

---

(١) استاذ في كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة.

(٢) حسن شحاتة، القيم التربوية في قصص الأطفال، من بحوث الحلقة الدراسيه عن "القيم التربوية في ثقافة الطفل" (١٩٨٥/١١/٣٠-١٩٨٥/١٢/٤)، الهيئة المصرية العامه للكتاب، القاهره، ١٩٨٥: ١٥؛

(٣) حسن شحاتة :١٧.

(٤) فيلسوف امريكي. وهو تلميذ هنري جيمس فيلسوف البراجماتيه الشهير.

(٥) رالف بيري، آفاق القيمة، (ترجمة د. عبد المحسن عاطف سلام، مراجعة د. محمد علي العريان، تقديم د.زكي نجيب محمود) مكتبة النهضة المصرية، القاهرة: ١٩٦٨:١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى بيري أن ماهو خير وحق وما هو شر وظلم ينتميان إلى ميدان البحث نفسه أي القيم، مميزاً بين ما هو قيم إيجابية وما هو قيم سلبية.(١)

٧. تعريف راشي وهارمين وسيمون:(٢)

تمثل القيم طريقة في الحياة بل هي التي توجهها.

وهي "تلك الأشياء التي تصنع الفروق في انماط المعيشة والحياة."

٨. تعريف هاتشنسون:(٣)

هي مفهوم مكافىء لمعنى الاهتمام. إنها شيء أو موضوع يسعى اليه الفرد بجدية لما يمثله هذا الشيء من قيمة لديه. وتتصف القيمة بخاصيتين هما:

أ. انتظامها في بناء الفرد المعرفي.

ب. تغليفها ببطانة وجدانية تنتهي بالفرد الى تقديس كل ما هو موضع قيمة (٤).

٩. تعريف كرتشفيلد:

القيمة معتقد يتعلق بما هو جدير بالرغبة. وهذا المعتقد يملي على الفرد مجموعة من الاتجاهات التي تتجسد فيها هذه القيمة (٥).

---

(١) انظر المرجع السابق:١٦.

(٢) Louis E.; & Harmin, Merrill; & Simon, Sidney B., Values And Teaching, Charles E. Merril Publication Co. Columbus, Ohio, Raths, U.S. 1966, p. 17.

(٣) Hutchinon

(٤) محي الدين احمد حسين، القيم الخاصة لدى المبدعين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١: ٣٢.

(٥) المرجع نفسه: ٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠. تعريف مظفر شريف:

لا تكمن القيم في الأشياء ولكن الفرد يضفيها على كل ما هو موضوع للاهتمام. وتشكل القيمة الاجتماعية مجموعة من الاتجاهات لدى الفرد. وهي تقوم مقام الدوافع والمنبهات والاتجاهات بحكم انها حالة من الاستعداد النفسي(١).

ان التعريفات السابقة تيسر لنا ان نستنتج :

- "ان القيم إنسانية.
- ان القيم ذاتية.
- انها تتاثر بخبرات الفرد السابقه.
- انها نسبيه.
- انها توجه سلوك الأفراد.
- انها غاية وليست وسيله." (٢)

---

(١) انظر: دونالد شطي ونايفة قطامي، أساليب توضيح القيم (1VTI/12)، معهد التربية، الأونروا/ اليونسكو، عمان ١٩٨٨: ٣.

(٢) المرجع نفسه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنواع القيم ومصادرها:

إنّ مدرسية المعالجة او تعليميّتها لاينبغي ان تصرفنا عن بحث هذا الجانب المهمّ من الموضوع، ذلك أن بعض ادباء الاطفال ينصرفون في حياتهم الادبية إلى إنتاج ادب للأطفال لا يرى الحياة الاّ من خلال حفنة قليلة ضئيلة من القيم، تلك التي تدور حول الوطن او حول الدين-مهملين- دون وعي في أحيان كثيرة-الانواع الاخرى من القيم التي يلبّي تعليمها للأطفال حاجات اساسية لديهم.

وللقيم تصنيفات عدة، كل بحسبه (١). فاذا كانت النظرة اخلاقية كانت القيم على نوعين: قيماً خير وقيم شر، او قيماً إيجابية وقيماً سلبية، فيما يقبلها المجتمع وقيماً يرفضها (٢). واذا كانت النظرة إلى طبيعة القيم كان التصنيف: قيماً معنوية، وقيماً مادية، أما اذا كان الاهتمام بموضوعات القيم فمنها: الاجتماعي، والاقتصادي، والجمالي، والاخلاقي، والقانوني، والسياسيّ والثقافيّ والتاريخيّ والعلمي والايدلوجي والديني.

---

(١) صنفوا القيم على عدة اسس منها: أساس المحتوى، أساس المقصد، اساس العمومية او الشيوع والانتشار، اساس الوضوح، قيم خاصة بالعمل، قيم شخصيه، قيم اجتماعيه (انظر: حامد زهران، علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٢: ١٥٧.

(٢) سيد عويس، القيم الاجتماعية التي يجب ان نغرسها في نفوس الاطفال، من بحوث الحلقة الدراسية عن "القيم التربوية في ثقافة الطفل" (٣٠/١١-٤/١٢/١٩٨٥) مركز تنمية الكتاب العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: ١-٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقيم الاجتماعيّة هي-كما عرّفها الدكتور سيّد عويس- "الأشياء (١) التي تكون ذات قيمة معنية عند جماعة من الناس، مجتمعين او موزعين. وتنبت القيم الاجتماعية، عادة، عن طريق الراي الجمعي لهذه الجماعة، اي أن هذه القيم لا يمكن أن تفرض من الخارج على الجماعة فرضاً، ولكنها تتولّد من الظروف المعاشية التي تحياها وتكون مقبولة ومعترفاً بها عندها" (٢)

ومن المؤكّد اننا لا ندعو إلى تقديس القيم الاجتماعية، ذلك أن أي مجتمع من المجتمعات بحاجة إلى تطوير قيمه وأساليب تمثيل هذه القيم، حتى تلبي حاجات جديدة وظروفاً جديدة تلقي بعبئها من خلال نموّ المجتمع وتطوّره وتفاعله مع الحضارات والشعوب الاخرى، على هذا المجتمع، فلا يوجد مناص من التحرّك والتململ لتلبيتها وإشباعها وملاءمتها.

ويجد اديب الأطفال نفسه في مواجهة القيم في معضلة حقيقيّة..فما هو السلبي وما الإيجابي؟ وكيف يزاوج بين قيم العلم وقيم الدين؟ ماذا يأخذ؟ وماذا يترك؟ وكيف يزاوج بين القيم الخاصة او المحلية أو ذات الخصوصيّة الثقافية وبين القيم الإنسانية العامة؟ أين حدود الانفتاح الثقافي والاغتراب الثقافي؟ وأين الهوية الثقافية والازدواجية الثقافية؟؟

لقد حاولت الثقافات المختلفة الإجابة عن هذه الأسئلة. وفي هذه الرسالة نجد ضرورة لتخيّر المدرسة الاشتراكية، والمدرسة الرأسمالية، والمدرسة الصهيونية، والمدرسة العربية.. لاستطلاع كيف

---

(١) نتحفّظ على وصف القيم بالأشياء، لأن في الشيئية مادية، والقيمة فكرة مجردة لها تجلٍ معنوي أو مادي.. بحسب.

(٢) المرجع نفسه: ١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حاولت كل واحدة منها الإجابة ، فليس بالإمكان -هاهنا- ان نطلع على اجتهادات المدرسة الشرقية (الصينية ، اليابانية). اما إجتهادات العالم الثالث فإنها مقاربة -مشكلات ومعضلات لاجتهاداتنا في هذه المنطقة من العالم .

المدرسة الاشتراكية :

إن كتابة كبار الشعراء والكتّاب الروس للأطفال منذ القرن التاسع عشر حتى الآن (امثال بوشكين ، وليوتولستوي ، وتشيخوف ، وغوركي ومایاكوفسكي ، ورسول حمزاتوف ، وغوغول ، وتورجينيف ، وغمارشين ، وغارين ، واليكسي تولستوي ، وشولوكوف ، واوستروفسكي ، . . .) (١) يعني ان" الشعراء والكتّاب السوفيات قد قدّموا ثقافة خاصة للطفل السوفياتي تبدأ من "التعبير عن الهوية "-كما فعل ليوتولستوي في سلسلته الأولى (The Four Russian Readers-Books 1-4 (٢)-، وتمر بمقاومة التيار التجاري في ادب الأطفال ، وتنتهي بما ترتب على هؤلاء الكتّاب الذين عاصروا الثورة الشيوعية من واجبات جديدة في المجتمع الاشتراكي الجديد ، حيث نفذوا توصيات لينين حول ان" الهدف الكلي للتدريب ، والتربية ، والتعليم الموجهة إلى شباب اليوم ينبغي ان يُعنى بتثريبهم الأخلاق والمبادئ الشيوعية "(٣). وقد دُعي الكتّاب السوفيات لإيجاد اشكال جديدة من التعبير للموضوعات الجديدة ، منطلقين من المدرسة الواقعية في الأدب(٤).

---

(١) انظر : Great Soviet Encyclopedia, Vol. 25,p.32.

(٢) انظر المصدر نفسه .

(٣) المصدر السابق ، وانظر ايضاً : فورين ،بلد الطلائع ، دار التقدم ، موسكو ، د.ت:٨٥.

(٤) المصدر السابق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الذين جاهدوا لبلورة ايدولوجية وفنية لأدب الأطفال السوفيات كان مكسيم غوركي وكروبسكايا. وقد مضى أدب الأطفال بعد ذلك في توضيح مشكلات الحياة المعاصرة وصراع الطبقات(١). كما انه عكس-مثلما عكس ادب الراشدين- المراحل المختلفة للتاريخ السوفياتي(الثورة البلشفية، الحرب الأهلية، إعادة البناء الاقتصادي، انجاز الخطة الخمسية الأولى، التصنيع، التعاونيات الزراعيه،...).

وظهر فرع جديد من فروع الأدب في الاتحاد السوفياتي اسمه "أدب الطلائع"، وهو الأدب الذي يُعنى بتربية النشء على فلسفة المجتمع الشيوعي بكل تفصيلاتها المناسبة وضجيج شعاراتها(٢)، حيث يستخدم هذا الأدب وسائط شتّى من المطبوعات والوسائط السمعية والبصرية مثل "برافدا الطلائع"(٣) و"زوركا الطلائع"(٤)، وستوديو الطلائع التلفازي"(٥) وحوالي اربعين مجلة توزع حوالي ١٧ سبعة عشر مليون نسخة(٦)، والمجلة السينمائية "بيونيريا"(٧). وغير ذلك كثير.

---

(١) المصدر السابق: ٣٢-٣٣.

(٢) انظر: بلد الطلائع.

(٣) المرجع نفسه: ٧٧.

(٤) هي جريدة اذاعية للطلائع والتلاميذ (المرجع السابق: ٧٩).

(٥) المرجع السابق: ٨٠.

(٦) المرجع السابق: ٨٢.

(٧) المرجع السابق: ٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المدرسة الرأسمالية:

على نقيض المدرسة الاشتراكية التامة التوجيه في أدب الأطفال تبدو هذه المدرسة ممجّدة للحرية الفردية، ومندفعة لتكريس قيم الاستهلاك ومعيدة لإنتاج قيم الحضارة الغربية النفعية البراجماتية. بل لا تتورّع أن تدسّ في كتب الأطفال وموادهم الثقافية قيم العنف(١) والتعصب والتمييز العنصري، وذلك جنباً إلى جنب قيم التفكير والبحث العلمي وتطوير البيئة والتفاعل الحضاري والإبداع.. وغير ذلك.

إن هذه المدرسة تسمح بإنتاج كتب فيها رسوم "قطط صغيرة حول اعناقها شريط من الحرير، أو كلاب صغيرة بيضاء أو ارانب نظيفة اشبه باللعب"(٢)مما يجعلها تغدو في حقيقة الأمر سلعاً وأدوات"أكثر منها كائنات واقعية، ولا ينقصها سوى أن توضع في مغلف بلاستيك وتعرض في واجهات المحلات في السوق. فمن سمات هذا النوع من الرسم انه يرتبط مباشرة بنمط الحياة الاستهلاكية. حتى الأطفال احياناً تراهم في هذه الرسوم سعداء سعادة تامة، واصحاء لآخر درجة يلبسون ملابس مرفهة وظريفة"(٣).

---

(١) انظر:زليخة ابو ريشة، أدب الأطفال العرب، والانحراف، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد ٩٤، شهر ١٢/١٩٨٦:١٢٠.

(٢) هذا راي محسي الدين اللباد انظر:،الاتجاهات الجديدة في ثقافة الأطفال، النادي الثقافي العربي، اسبوع ثقافة الأطفال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٨:١٨.

(٣) المرجع نفسه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وادب الاطفال في هذه المدرسة يدخل المنافسة (١) التجارية ببساطة تامة ، وهي التي تشكّل روح الفلسفة الاقتصادية لراسمالية الغرب، كما ان تاثيرات المؤسسة الراسمالية ما تزال جارية عليه ، وهو يحاول جاهدا الخلاص للاستقلال النسبي عنها ، ومن هذه المؤسسة : الكنيسة (٢).

ولأن الايدولوجية الغربية غير خطابية فإن الحديث عنها شبه غائب في الموسوعات التي تناولت الحديث عن ادب الاطفال. فالخطاب السياسي لا وجود له ، ويمكن تلمّس الاهتمام ببناء اطفال تلبّي حاجاتهم النفسية والجسدية والعقلية والمعرفية وسواها... فالايدولوجية متروك امر تحديدها ونقلها للكتّاب ولأدباء الاطفال. كما ان إنتاج ادب الاطفال متروك للقطاع الخاص.

---

(١) تقول مونيكا سميز (رئيسة قسم برامج الاطفال، BBC في بريطانيا) " ونظرا لما هناك من منافسة في بريطانيا في مجال الإنتاج التلفزيوني نجد انه ليس لمنتجي برامج الاطفال مجهود معين يستاثرون به ، كما انه ليس هناك اي تصميم على تقديم برامج للاطفال من تلك التي يعتقد الآباء والمعلمون انها صالحة لهم " (برامج الاطفال في الراديو والتلفزيون (حلقه دراسية) ، اتحاد إذاعات الدول العربية ، مؤسسة روز اليوسف، القاهرة ، ١٩٧٢: ١٦٧.

(٢) انظر : The Nwe Encyclopadia Britannica, vol. 4, p. 230

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المدرسة الصهيونية:

أصدر البروفيسور الاسرائيلي"ادير كوهن" كتاباً احدث صدىً في أوساط دولة العدو الاسرائيلي أسماه" وجه قبيح في المرآة: انعكاس النزاع العربي-اليهودي على الادب العبري للأطفال"(١)يتناول في هذا الكتاب بصورة رئيسة تركيز الفكرة الصهيونية في ادب الاطفال العبري على ملامح سلبية للعربي في تعامله او اتصاله (بالمواطنين) اليهود. كما انّه يقف على كل ما من شانه ان يؤرث النزاع العربي-اليهودي كما عرضته كتب الأطفال لديهم، ابتداءً من وصف"الاستيطان اليهودي... وإقامة المستوطنات الاولى واعمال الحراسة والدفاع واحداث عامي ١٩٢٩، ١٩٣٦ ومستوطنات السور والبرج الشهيرة..و(الكفاح)(!!) ضد الاستعمار البريطاني، والاستيطان في النقب والمنظمات السريّة اليهودية وكفاحها(!!) ضد الانتداب البريطاني وتهريب اليهود إلى (فلسطين)(٢) براً وبحراً وحرب عام ١٩٤٨ وحرب سيناء ١٩٥٦"(٣) وحرب حزيران وحرب تشرين(رمضان) ١٩٧٣. ويقول المؤلف:

"لقد تردّد في كتب الأطفال العبريّة وصف العرب بالدمامة وغيرها من الصفات السلبية كاللصوص وافراد العصابات... كما تضمّنت تلك الكتب وصفاً مسهباً للاعتداءات العربية على

---

(١) ادير كوهن، وجه قبيح في المرآة: انعكاس النزاع العربي-اليهودي على الادب العبري للأطفال، (ترجمة غاري السعدي) دار الجليل للنشر، عمان، ط١، ١٩٨٨.

(٢) ورد في الاصل(البلاد)، وهي كلمة يطلقها اليهود في فلسطين على (اسرائيل).

(٣) المرجع نفسه: ٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المستوطنين اليهود. وادخال قطعان ماشيتهم إلى حقول اليهود...."(١). وقد تتبع الكاتب كتب الاطفال العبرية وما فيها من دلالات وإشارات إلى العربي، واستعرض هذه الصور السلبية التي تعمّق الفجوة بين (المواطنين) العرب واليهود في دولة العدو الاسرائيلي. ويأخذ الكاتب على ادباء الاطفال العبريين انهم يستخدمون عبارات" تزيد من الشعور بالكراهية والعداء"، ويرى أن من واجب الادباء الذين يروون قصص الحروب اتباع جانب الحذر وتجنب الاحتقار والتعالي والقناعات الثابتة والديماغوجية الميلودرامية"(٢) ذلك ان الاختبار الادبي لاي عمل ادبي يكمن في اختباره القيمي، لان المواجهة المباشرة لاي طالب هي مع النص، ومع التعبير المجرد، ومنه يبلور مواقفه وآراءه"(٣). ويقول في موضع آخر من الكتاب:

"ان معظم كتب الاطفال التي تتحدث عن الحرب، هي كتب سطحيّة للغاية، وتهدف إلى تلطيخ سمعة الغرب، والسخرية من جبنهم ومن أسلوبهم في القتال، والإكثار من وصف وحشيتهم، والإشادة بالمقاتلين اليهود وبطولتهم وجراتهم وحيلهم وسرعة بديهة الاطفال الاسرائيليين"(٤)

كما يقول في ختام فصل" كيف نخوض الحرب":

"عندما تصمت المدافع وتهدأ المعركة يبدأ في التغلغل في النفوس شعور بمقت الحرب، ويفكر ببناء الجسور بدلاً من نسفها،

---

(١) المرجع السابق:٩٥.

(٢) المرجع السابق: ١٠٧.

(٣) المرجع السابق: ١٠٧-١٠٨.

(٤) المرجع السابق: ١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعود الشعور بالانسان. ولكن مؤلفي كتب الأطفال في إسرائيل لم يولوا اهمية واهتماما بهذا الشعور نحو الانسان"(١)

كما يقول:(٢)

" لقد صورت كتب الاطفال الاسرائيلية العرب بكل ما هو اسود ومروع وفظيع وعنيف" ويضيف:" يجب الامتناع عن إظهار العرب بالمتخلفين، وبانهم شخصيات من الكرتون صنعتها الكراهية واوجدها الحقد"(٣).

كما يدين هذا الكاتب الاسرائيلي لهجة السوبر طفل الاسرائيلي" بكل وقاحتها وصلفها وعنفها واستخفافها" في كتب بعض الكتاب اليهود امثال:" افنزس كرميلي" و"اون سريغ"و" عيدو سيتر" و"رفائيل ساهار"(٤).

وتنقل كتب الاطفال العبرية بعض الافكار المركزية في الصهيونية المعادية لشعوب العالم مثل:موقف النازية من اليهود، وموقف الفدائيين الفلسطينين من اليهود ودولتهم، بمبالغات تفيض عن كل حد(٥).

وتبدو رسالة السلام رسالة مطرودة في كتب الاطفال العبرية في حين يؤكد الكاتب اليهودي على فكرة " أرض إسرائيل الكاملة "(٦)

---

(١) المرجع السابق: ١١٥.

(٢) المرجع السابق: ١٢٥.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق:١٣١.

(٥) المرجع السابق:١٣٦.

(٦) المرجع السابق: ١٧٨. والكاتب هو افنير كرميلي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مستخدماً لذلك شخصيّة عربيّة (عواد) الذي فقد وجهه القومي العربي. ويبدو أن أفنر كرميلي(١) اعتقد بأن السلام سيتحقّق مع شخصيّات عربيّة متخاذلة وراضخة ومؤمنة بالفكر الصهيوني كشخصية عواد التي تستقبل المستوطنين اليهود بالبهجة والسرور"(٢).

---

(١) افنير كرميلي اسم مستعار لشخص اسمه الحقيقي شراغافني، ألّف حوالي ١١٠مجموعة قصصية معظمها للأطفال. وهذا الاسم المستعار هو واحد من خمسة اسماء مستعارة يتقنع وراءها غفني" لبث سمومه" العنصرية المتوحشة" ومن هذه الأسماء: إيتان درور، واون شريغ، ويفنال غولان، وايتان نوتيف. وفي مقابلة اجرتها معه مجلة "مونتين" الاسرائيلية -دون ان تنشر صورته - قال انه " يرى نفسه كاتباً عبرانياً يخدم مثقل الانبعاث العبري للأمة العبرانية الشابة الآخذة بالنمو في البلاد" ويقول انه لا يرى في هذ الأمة استمراراً للأمة اليهودية في المهاجر، وانما هي انبعاث واستمرار للأمة العبرانية التوراتية التي أضفت على بلاد العبرانيين خصوصيتها وعظمتها في التاريخ". وتتمتع كتب هذا الكاتب بانتشار كبير في الارض المحتلة بين اطفال اليهود الذين يحاول تعبئتهم برؤياه الكارثية" (انظر: انطوان شلحت، أفنير كرميلي: الرؤية والرؤيا، مجلة الجديد، القدس: ٣٥).

(٢) المرجع السابق، وانظر ايضاً: هادي نعمان الهيتي، ادب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائطه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧: ١٢١-١٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في دراسة للدكتور محمد ربيع(١) عن ازمة الفكر الصهيوني المعاصر يلخص اهم سمات هذه الازمة، وسنورد لها تلخيصاً لان هذه السمات هي نفسها عناصر الصهيونية التي يحرص كتّاب الاطفال اليهود على تشريب اطفالهم بها.

١. الضحالة:

١:١ الهدف النهائي للفكر الصهيوني هدف محدود. فقد تركّز كثير من الكتابات حول محاولة إثبات حق اليهود التاريخي في فلسطين(٢). ان هذا الهدف "قبلي محدود خال من المبادىء والقيم الرفيعة التي تسعى الايدولوجيات الانسانية الاخرى الى تحقيقه"(٣).

٢. <u>الرجعية</u>:

الفكر الصهيوني المعاصر متخلف لانه يبشر بقومية يهودية تستند الى مفاهيم عنصرية "نابعة من دعاو ثبت زيفها علمياً مثل النقاء العرقي لليهود.(٤)

٣. <u>الفردية</u>:

ففي الصهيونية إغراق في الفردية المرتكزة على الانانية والمنفعة الشخصية على حساب الجماعات الإنسانية الاخرى.(٥)

---

(١) محمد ربيع، <u>ازمة الفكر الصهيوني</u>، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩.

(٢) المرجع نفسه: ١٩٢.

(٣) المرجع السابق: ١٩٢-١٩٣.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤. الشعور بالنقص:

تركة العوان التاريخي الذي تعرض له اليهود في العالم. ويخفون هذا الشعور بالمغالاة في الصفات الفريدة لليهود ومظاهر عبقريتهم الفذة" وهي صفات ذكر"ادير كوهن" انها متوافرة بصورة ملفتة للنظر في أدب الاطفال العبري.

* * *

لقد اتينا بأدب الأطفال العبري ليكون نموذجاً تتمثّل فيه فلسفة (شعب) من الشعوب، برغم انتفاء مقومات الدولة عنه.. برغم ان هذه الفلسفة توصف بانها عنصرية ومحدودة وضيقة الأفق ومتخلفة.. لنقول ان الشعوب تحرص على أن يحمل أدب الأطفال لديها فلسفتها لنقل هذه الفلسفة إلى الأجيال الجديدة.

المدرسة العربية:

هل من مدرسة فلسفية عربية تظلّل بفيئها فنوننا وإنتاجنا الأدبي؟ وتملي على أدباء الأطفال قيماً بعينها يقيمون عليها أدبهم؟

في الساحة العربية دين إسلامي من أتباعه عقائديون ينظرون للإسلام بطريقتهم الخاصة. وفيها قوميّون يطمحون إلى الوحدة العربية، وفيها اشتراكيون يتغنون بالعدالة الاجتماعية. وفيها إقليميون يؤمنون بالوطن الصغير ... وفيها مستغربون يؤمنون بالحضارة الغربية، وفيها علميون يؤمنون بالعلم...(١)

---

(١) يصنف الدكتور سعد الدين ابراهيم المفكرين العرب على النحو التالي:" المفكر الشيخ أو الفقيه" الذي يلحّ في إنتاجه على الأصالة في مواجهة التغريب، (امثال الشيخ جمال الدين الافغاني،=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن اول ملحوظة -يمكن ان نقدمها على المجتمع العربي-فيما يتصل بفلسفته الاجتماعية - انه مجتمع ملخثتشرق.. لقد تم" اختراقه بالاستعمار السياسي، وكذلك بالاستعمار الثقافي الذي يكبّله من التململ والتحرّر ويكبح جماحه في هذا المجال باساليب شتى. ويتجلّى اختراقه على مستوى ادب الأطفال في المواد الثقافية التي تبثها وسائل الاعلام، وفي الكتب والمجلات المترجمة. فإذا علمنا ان نسبة اجهزة التلفاز الى السكان في بعض اقطار الوطن العربي هي اعلى نسبة في العالم (١)، وان الوقت المخصص لبرامج الأطفال في

= والشيخ محمد عبده)و" المفكر الخبير"الوضعي العلمي الذي يلح على التقنية والتنمية السريعة في مواجهة التخلف(امثال انطون فرح وشبلي شميل واحمد زكي)، و"المفكر القومي" الذي يلحّ على الاستقلال والوحدة في مواجهة التجزئة (امثال ساطع الحصري)، و"المفكر الليبرالي" الذي يلحّ على الديمقراطيه والمشاركة السياسية في مواجهة الديكتاتورية والاستبداد، و"المفكّر الاشتراكي" الذي يلحّ على العدالة الاجتماعية في مواجهة الاستقلال من الخارج او الداخل. (انظر: سعد الدين ابراهيم، تجسير الفجوة بين صانعي القرارات والمفكّرين العرب، منتدى الفكر العربي، عمان، ١٩٨٤: ٢٤).

(١) انظر: حسن الابراهيم، الطفولة في دول الخليج العربي:بعض القضايا الرئيسية والملحة، من بحوث ندوة "الطفولة في مجتمع متغير (٢١-٢٤/٢/١٩٨٨)"كلية التربية، جامعة الامارات العربية المتحده: العين ١٩٨٨: ١٠. وهذه الدولة هي"قطر" حيث تبلغ النسبة ٢٠٤٠ جهازا" لكل الف من السكان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ازدياد، وان في الوطن العربي اليوم أكثر من ثلاثين محطة تلفازية تثبت سنوياً ما يزيد على (٥٠٠٠) ساعة مخصصة للأطفال(١). واذا علمنا ان معظم هذه الساعات تبث برامج مترجمة او غير مترجمة تعد في الغرب الاميركي أو في الغرب الاشتراكي أو في اقصى الشرق في اليابان، ادركنا حجم هذا الاختراق الثقافي على صعيد الطفولة العربية، وحجم هذا الاغتراب(٢) الذي من شأنه أن يحدث في البنية الثقافية للمجتمع العربي خلخلة من شأنها بدورها أن تؤدي الى ما يسمى بالامحاء الثقافي، وهي العملية التي تتم بسبب مزاحمة ثقافة لثقافة، واحدة منتصرة والاخرى مهزومة.. او واحدة في يديها قوة التاثير والثانية لديها قوة التاثر.

إن الاختراق الغربي للخصوصية العربية الإسلامية التي ينبغي ان تصبغ ادب الاطفال العرب، يحدث في جسد هذه الثقافة تشوهات اولها الازدواجية الثقافية (٣)، هذه الازدواجية التي ليست تفاعلاً بين ثقافتين، وإنما حضور لنموذج ثقافي مغاير ومخالف للنموذج الاصلي الذي تعرات بنيته بفعل الجمود او الإهمال، دون ان يزول تماماً. وبذلك يتيح الانفتاح غير المدروس على الغرب للطفل العربي ازدواجية روحية وانتمائية وقيمية وفلسفية تمزقه تمزيقاً بين ان يكون ذاته العربية او ان يكون ما يراد له ان يكون من خلال هذا الكم الهائل والخليط العجيب من القيم والمفاهيم.

---

(١) المرجع نفسه :١١.

(٢) يتكون مفهوم الاغتراب من: العجز، اللامعنى، نقص المعايير، التباعد الثقافي، العزلة الاجتماعية، الغربة عن الذات، (انظر: الطفولة في مجتمع متغير، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربيه -الكتاب السنوي١٩٨٣-١٩٨٤: ٩٨-٩٩.

(٣) المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن من النتائج السلبية للاختراق الغربي للوطن العربي وللثقافة العربية انه لم يسمح لأنماط ومؤسسات عربية أن تنمو نموا طبيعيا منسجما مع ماضي هذه المؤسسات والأنماط. فكتاب الطفل صناعة نقلناها عن الغرب بعد نهضة ادب الاطفال فيه، في حين اننا امة حفيّة بالكتب وحفّية بالأطفال.

ولم يتح لنا ان نعبّر عن هذه الحفاوة بصورة تطور طبيعي. فبدل ان ننهض لصناعة اجمل الكتب واجودها للأطفال-بسبب خبرتنا العريقة في صناعة الكتب ورسومه وخطوطه- نقلنا عن الغرب الغثّ والسمين. وتقيّدنا بامثولاته في التعبير اللغوي والادبي والفني(الرسوم والصور).

* * *

بعد هذه الوقفة السريعة عند السلبي في صورة الفلسفة العربية الراهنة، فما الملامح الأساسية المطلوبة لهذه الفلسفة حتى تملح ان تكون منطلقا للكتابة للأطفال؟ بل ما هي القيم الأساسية التي لا يصحّ تجاهلها في ادب الأطفال؟

القيم الاجتماعية:

ومن هذه:

القيم الاخلاقية والدينية: تحمّل المسؤولية، إتقان العمل، الوفاء، الالتزام.

القيم الثقافية: الحياة الثقافية، التفاعل الثقافي.

القيم الوطنيه: الانتماء، حب الوطن والاعتزاز به، الدفاع عنه، العطاء والتضحية، البناء والتطوع.

القيم الفكرية والفلسفية:- التفكير، الموضوعية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القيم الجسمانيه : النظافة ، الصحة .

القيم الترويحيه : اللعب، التسليه .

القيم النفسيه : تكامل الشخصيه .

القيم العمليه الاقتصاديه .

القيم الفنّية والجماليّه .

اما عن السمات المقترحة لنظام القيم العربي كما يفضّل ظهوره في ادب الاطفال، فنقدّم ما يلي :

١. بناء سلّم اوّليات للقيم المطلوبة في مرحلة النهوض الاولى.
٢. التوازن بين القيم ، فلا يطغى بعضها على حساب بعضها الآخر .
٣. التعددية الفكرية في الوحدة ، وإنشاء قيم الحوار والتفكير .
٤. الحفاظ على الهوية والذاتية الثقافية .
٥. الابتعاد عن اللاءات الشهيرة :
   لا للتطرف الديني
   لا للطائفية
   لا للعنصرية
   لا للجنسوية
   لا للاقليمية التجزئوية
٦. قيم عربية إسلامية إنسانية .
٧. الانتقائية الواعية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم' هذا الفصل ؟

يقول المربي السوفياتي المشهور فاسيلي سوخوملينسكي (١٩١٨-١٩٧٠):

"إنني على يقين تام بأن ثمة سماتٍ للروح لا يستطيع الانسان بدونها أن يكون مربياً حقيقياً. وتعتبر القدرة على التغلغل الى اعماق العالم الروحي للطفل من أهم هذه السمات، إنّ المعلّم الحقيقي هو ذلك الذي لا ينسى ابداً انه كان طفلاً ذات يوم. وتكمن مأساة كثير من المعلمين (الذين يسميهم الاطفال .. غلاظ القلوب) في انهم ينسون أن التلميذ هو إنسان قبل كل شيء، يخطو أولى خطواته في عالم الإدراك والإبداع والعلاقات الانسانية المتبادلة .. [إن] التربية هي قبل كل شيء دراسة الانسان ويستحيل أن توجد دون معرفة الطفل، معرفة تطوره الذهني، واهتماماته وهواياته وقدراته وطباعه وميوله "(١)

وهذا القول نفسه هو الذي ينطبق على أدب الاطفال، فهل يمكن ان يكتب اديب أدباً عظيماً أو أدباً جيداً وهو يجهل النفس البشرية ؟ وهل يمكن أن يبدع أديب الأطفال أدباً مؤثّراً وهو مقصّر في فهمه جمهور قرائه ؟ إن معرفة الطفل مهمة جوهرية واساسية في مجال دراستنا.

وهذا الإطار النفسي التربوي معاً هو الخلفية المنبثقة من علم النفس التربوي. وتشكل معرفته ضرورة ملحّة لمن سيتعامل مع ادب الاطفال كاتباً كان ام ناقداً ام مربياً. وحدود هذه المعرفة او مجالها هو "علم نفس الطفولة" من جهة، وجهود علماء التربية

---

(١) فاسيلي سوخوملينسكي، للاطفال قلبي، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٣: ١٣-١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلماء النفس التربويين، وهي الجهود التي تمد كتّاب الاطفال بفهم اعمق واوسع للاطفال، بحدود ما انتهت إليه المعرفة الإنسانية وبحوث هذه العلوم .

وسيحاول هذا الفصل ان يلمّ -لا بتلخيص لمعالم علم نفس الطفولة وما يتعلّق بالاطفال من علم النفس التربوي، بل بتلك العناصر التي لها وشيج الصلة بادب الاطفال، ويبدو الادب من دون مراعاتها ادباً للكبار، او -على اقل تقدير- ادباً لا يخاطب الاطفال ولا يسعى إليهم، او ادباً لا يناسب الاطفال.

إنّ موضوع هذا الفصل هو الفيصل في ادب الاطفال. فهو الذي سيحاول ان يحدّد للكتّاب والنقّاد والمربّين، ما الذي يجعل من هذا الادب -دون ذاك- ادباً للاطفال، فكلّ الاطر الاخرى في هذا البحث تشترك مع ادب الكبار..إلاّ هذا.. لانه يحدّد الكيفية التي ينبغي ان يكون عليها خطاب ادب الاطفال، والكيفية تشتمل على المستوى في الموضوع واللغة وطريقة الإخراج ومستوى الانتاج... وغير ذلك.

باختلافات يسيرة تنهج مراجع علم نفس الطفولة وعلم نفس النموّ(١) في درس الخصائص النمائية للطفل من الجوانب التالية:

---

(١) انظر على سبيل المثال :مصطفى فهمي،سيكولوجية الطفولة والمراهقة، مكتبة مصر، د.ت، وفؤاد البهي السيد، الاسس النفسية للنموّ من الطفولة الى الشيخوخة، دار الفكر العرب، مصر، ط٢، ١٩٦٨، وجابر عبد الحميد جابر، علم النفس التربوي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٢، وانظر ايضاً

Meyer, William; & Dusek, Jerome; Child Psychology, A Developmental Persective, D.C. Heath And Company, = Lexington, Massachusetts, Toronto, 1979;

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- النمو الجسمي .
- النمو الحركي .
- النمو المعرفي (العقلي).
- النمو اللغوي .
- النمو العاطفي.
- النمو الاجتماعي.
- نمو التفكير الاخلاقي .

ومعرفة كل ذلك تتيح لاديب الاطفال أن يرسم شخوصاً من لحم ودم، شخوصاً حقيقيين يتمتعون بالخصائص الجسدية والحركية والنفسية والعقلية والسلوك الاجتماعي العاطفي والاسئلة، التي يتمتع بها الاطفال في العمر المذكور لابطال القصة او المسرحية. كما تتيح له هذه المعرفة أن يقدم خطابه في مجال اهتمامات المرحلة العمرية التي يكتب لها، وبالمستوى الملائم المناسب الذي يسمح لقدرات الطفل أن تتفاعل معه سواء أكان ذلك في الموضوع أم في اللغة أم في الشكل الفني. وهذه المصداقية في رسم الشخوص وتحريكها من جهة، وهذه المناسبة للقراء الاطفال من جهة ثانية في الادب المكتوب لهم، شرطان حاسمان في توفير ظروف تتيح للادب أن يحدث تأثيره في هؤلاء الاطفال.. وهذه هي غاية الادب. ولكي يحدث هذا

= وانظر ايضاً:

Hutt, Max; Gibby, Robert Gwyn; The Child Development and Adjustment, Allyn and Bacon Inc., Boston, 1959;

وانظر ايضاً:

Hurlock, Elizabeth B; Child Development, McGraw-Hill Book Comany, 1978

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التاثير لابد" ان يتقمص يتماهي(١) الطفل القارىء الشخوص والاوضاع التي يعرضها هذا الادب ويتعاطف معها عاطفيا". ودرجة تاثره تتوقف على المدى الذي تقمص به (٢).

"إن التقمص يلعب دورا" مهما" في تثقيف الفرد بمجتمعه الذي هو عضو فيه. ويصفه علماء النفس الاجتماعي بانه العملية التي التي يطور من خلالها مجموعة من الادوار المتكاملة والتطلعات تقود له حياته" (٣). وبالنسبة لروبرت فنهجرست فإن هذه الادوار والتطلعات يقتبسها الطفل من ابويه ومجتمع الرفاق، والمعلمين، ورجال الدين ومن اخرين، من الحاضر، او من شخصيات تاريخية او قصصية" (٤).

بل إن هاف بركنز Hugh V.Perkins يرى ان التقمص من اهم الوسائل واخطرها التي يتعلم بها المرء ثقافته. ويعرف التقمص بانه العملية التي يتم فيها اتحاد المرء مشاعرا"، وافعالا" وتفكيرا"، بسلوك واتجاهات وسمات شخصية لشخص آخر يمنى ان يكونه. إن هذه العملية -غير الواعية- يتمنى شيئا" اكثر من التقليد، وهي تتم" بين الطفل وشخوص بشر، وبينه وبين دماه وحيواناته الاليفة. إنه يعبر عن المه وتعاطفه لسقوط شجرة، وموت طائر، وزهرة مسحوقة. إن الطفل مستعد ان يتماهى مع اي شخص او مكان او شيء من اولئك الاشخاص والامكنة والاشياء التي تصنع عالمه (٤).

---

(١) Identification

(٢) انظر :

Lonsdale, Bernard J.; Mackintosh, Helen: children Experience Literature, Ran dom House, New York, 1973, p. 111.

(٣) المرجع نفسه :١١١.

(٤) المرجع السابق .

(٥) المرجع السابق: ١١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وللتقمص مبادىء عامة ، منها :

١ - انه يسهل على الطفل ان يتقمّص شخصية تشبهه (١).

٢ - إن التقمص يعين الطفل على حسن تكيّفه الاجتماعي.

٣ - قد يساهم التقمّص في توفير صحة عقلية جيدة .

٤ - للتماهي مع الجماعة قيمة للفرد (٢).

يصنّف بلوم (٣) الاهداف التربوية في ثلاثة مجالات كبرى تشمل كل جوانب الطفل الجسدية والحركية والنفسية والاجتماعية والانفعالية والعقلية . وهذه المجالات هي :

- المجال المعرفي (٤).
- المجال الوجداني(٥).
- المجال النفسحركي(٦).

---

(١) المرجع السابق:١١٤

(٢) المرجع السابق :١١٦.

(٣) Bloom

(٤) Cognitive Domain وهذا المجال يضم المستويات التالية : تذكر المعلومات، الفهم ، التطبيق ، التحليل ، التركيب، التقويم ، (انظر :نورمان جرونلند ،الاهداف التعليمية ،(ترجمة احمد خيري كاظم) ،دار النهضة العربية ، القاهرة :٤٧.

(٥) Affective Domin وهذا يضم المستويات التالية : التقبّل ، الاستجابة ، إعطاء القيمة ، التنظيم القيمي، التكامل والتضمين القيمي(انظر : المرجع نفسه).

(٦) Psychomotor domain ومن امثلته : المهارات اليدوية ، والمهارات الحركية ، والقدرة على تناول الادوات والاجهزة واستخدامها ، والقدرة على القيام باداء معيّن يتطلّب التناسق الحركي النفسي والعصبي(انظر :المرجع السابق:٦٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في المجال الاول تظهر اللغة والسؤال كابرز نشاط يمارسه الطفل ليعرف، وفي المجال الثاني تظهر "مشاعر الغيرة والخوف والغضب من اعنف الانفعالات التي تميز الطفولة. وفي المجال الاخير يظهر "اللعب" كخصلة اساسيّة تتصل بحركة الطفل الجسدية والعقلية. ولذلك يبدو ضروريا* -استعراض تفصيلات هذه المجالات- بل تخيّر ما يخص بحثنا منها.

لغة الأطفال

تبدأ اللغة عند الطفل بصيحة الميلاد مرورا* بالاصوات الوجدانيّة فالتنغيم والمناغاة فالتقليد فالاستجابة اللغوية (١). وقد اهتمّ علماء الالسنيات بتفسير هذه الظاهرة (اللغة) عند الطفل،لانّها تهديهم في فهم نشأة اللغة الانسانية وتطورها وخصائصها. ومن هذه النظريات :

النظرية السلوكية (٢)، التي تقول بالتحام الوجود الإنساني باللغة (٣)، فتكون اللغة عندئذ طرازا* فريدا* من سلوكه (٤). يؤكد

---

(١) انظر : فؤاد البهي السيد، الأسس النفسيّة للنموّ،١٩٨-٢٠٠، وانظر ايضا* : جورج كلاّس،الالسنية ولغة الطفل العربي، المنشورات الجامعة، بيروت، ١٩٨٤:٤٧-٦٥،وانظر ايضا* ميشال زكريّا،الالسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والاعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٨٣: ١٢٤-١٢٥.

(٢) Behaviourism

(٣) انظر: جورج كلاس، الالسنية ولغة الطفل العربي:١٠١. المنشورات الجامعة بيروت ١٩٨٤

(٤) المرجع نفسه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعض اعلام هذه النظرية (١) على ان الطفل يتعلم اللغة عن طريق المحاكاة (٢)، ثم عن طريق الدور الغريزي الثانوي او الدور التعويضي الذي يتعمم على كل المقاطع الصوتية المنطوقة والمسموعة (٣) من الطفل، والتي تشبه كلام الكبار المحيطين به والفاظهم (٤). اما سكنر (٥)، الذي يتمثل لديه الاتجاه السلوكي بصورة واضحة وجليّة فيؤكد "ان" السلوك الكلامي يتعزّز بتوسّط افراد البيئة المحيطة بالطفل، ويضع على عاتق هذه البيئة مسؤولية العمل على جعل الطفل يكتسب لغتها. فالاهل، في تصوره، هم مصدر المعطيات اللغوية التي يتعرّض لها الطفل وعمليّة التعزيز، برايه، هي العملية اللازمة لتوفير العادات الكلاميّة" (٦).

النظريّة البيولوجيّة: تبحث هذه النظريّة في الادلّة البيولوجية على ان" اللغة قدرة فطريّة خاصّة بالجنس البشري، ومن هذه الادلّة:

١. الارتباط المتبادل بين اللغة والنواحي الفيزيولوجيّة (كالعلاقة بين اللغة وتركيب جهازي السمع والنطق، والعلاقة بين اللغة والدماغ...) (٧)

---

(١) مورو O, Mowrer.

(٢) Immitation.

(٣) المرجع السابق: ١٠٣.

(٤) المرجع السابق،

(٥) Skinner.

(٦) ميشال زكريا: ١٣٠. "علم اللغة الحديث" المبادئ والاعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ط٢ ١٩٨٣

(٧) جورج كلاس: ١٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ - تطوّر اللغة حسب جدول زمني عند جميع أطفال العالم على اختلاف لغاتهم، وهذا يعني أن بدء عملية اكتساب اللغة وإنهاءها لا يبدوان متأثرين بالتغيّرات الثقافية (١) .

٣ - صعوبة وقف تطوّر اللغة، فحتّى الأطفال الذين يشكون من إعاقات جسدية في البصر والسمع يستطيعون اكتساب اللغة (٢).

٤ - لا يمكن تعليم اللغة الإنسانية لغير البشر (٣).

وتتّجه الدراسات البيولوجيّة اليوم إلى دراسة الدماغ البشري من أجل معرفة الخاصة البيولوجية في الدماغ البشري التي تؤهله لفهم اللغة وعلاقاتها. فقد نال العالم النفسبيولوجي(٤) الأمريكي روجر سبري (٥) جائزة نوبل عام ١٩٨١ لأنه قدّم أدلة على أنّ لكل من جانبي الدماغ الأيسر والأيمن وظائف مختلفة. فيتميّز كلّ من هذين الجانبين برفده المتميّز...فالجانب الأيسر تحليلي، ويختص بمعالجة المعلومات عن طريق ربط الأجزاء بالكل بشكل خطيّ تتابعي. وهو أكثر ما يكون فاعلية في معالجة المعلومات اللفظية، وترميز اللغة وحلّ رموزها (٦) وهكذا" (٧).

---

(١) انظر: المرجع نفسه :١٠٨-١٠٩.

(٢) المرجع السابق:١٠٩.

(٣) المرجع السابق:١١٠.

(٤) Psychobiologist

(٥) Roger Sperry

(٦) Encoding and Decoding

(٧) ليندا فارلي ويليامز، التعليم من أجل العقل ذي الجانبين، (ترجمة خبراء معهد التربية، الانروا، اليونسكو) معهد التربية، الانروا/اليونسكو، عمّان، ١٩٨٧:٥. ولمزيد من التفصيل انظر الصفحات، ٣٤، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٦٣، ٨٧،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النظريّة التكوينية (بياجيه)(١): اللغة في رأي بياجيه "تنظيم قائم ضمن المجتمع يضع في خدمة الذي يكتسبه وسائل فكرية غنية تخدم التفكير، فيعبّر بها الانسان عن معرفته"(٢). فاللغة التي هي كائن مدرَك تاتي مكان الترميز في العلاقة القائمة بين (المدرك-الترميز-المدرك).

والمراحل اللغوية عند بياجيه هي :

ا . تبادل الحركات والتقليد الصوتي والإيمائي.

ب . الترميز.

جـ. الانوية (٣):حيث يرى "ان الكلام الانوي يتناول تكرار المقاطع الصوتية والكلمات. إضافة إلى المونولج الفردي والمنولوج الاجتماعي"(٤)، والطفل بين الرابعة والسابعة انويّ اللغة بنسبة ٤٧٪، حيث هي "مونولوج اجتماعي لا يراعي الطفل فيه رغبات الآخرين وافكارهم، لأن كلامه ينطلق من مفاهيمه ومشاعره الذاتية، وهذا يثبت التدرّج المرحلي للطفل لغة وادراكا"(٥)، ولكنه يتحرر تدريجا من هذه الانوية التي لا تظهر في لغته فحسب بل في تفكيره ومنطقه وتصوّره للعالم الخارجي(٦). والتمحور

---

(١) Jean Piaget.

(٢) جورج كلاس : ١٢٢.

(٣) Egocentrisme.

(٤) المرجع نفسه :١٣١.

(٥) المرجع السابق :١٣٢.

(٦) المرجع السابق :١٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حول الذات وكذلك الانوية من اهم المظاهر التي تميّز ذهنية الطفل "نظراً" لافتقاره للمنطق العلائقي القائم على إدراك العلاقة السببية بين ظاهرتين أو شيئين"(١).

النظريّة التوليديّة التحويلية (تشومسكي) : تعتبر هذه النظرية "اكتساب اللغة ميزة اساسية من ميزات الطبيعة الانسانية"(٢). وقد اهتمّت هذه النظرية باكتساب الطفل لهذا التنظيم بالغ التعقيد الذي تنطوي عليه اللغة، من خلال تعرّضه -ظاهرياً- للمظاهر اللغوية في محيطه. ولذلك تنظر إلى ذهن الطفل "نظرتها إلى آلية مبرمجة مزوّدة بمعلومات معينة هياتها الطبيعة البشرية لاتمام عملية تعلّم اللغة"(٣). ولذلك لا توافق هذه النظريّة على أن المهارات اللغوية تنمو عند الطفل بالتقليد والاتباع، بل بالتزام مبادىء عامة يقيسها الطفل على تنظيمه اللغوي(٤). فقد دلّت ابحاثهم على أن الطفل يولد ولديه فكرة عن طبيعة اللغة، وانه سرعان ما يتبين عند بدئه الكلام انه يعرف اللغة، ومن ثم يكتشف أن اللغات مركبة بطريقة هرمية، حيث بالامكان ان تمتدّ الجملة الى ما لا نهاية له، او استعمال كلمة واحدة فقط، او عدد من الكلمات غير المترابطة"(٥).

---

(١) المرجع السابق :١٣٤.

(٢) ميشال زكريّا :"١٣١.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) انظر جورج كلاس: ١٤٨.

(٥) المرجع نفسه :١٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وترى هذه النظرية أن اكتساب بنى اللغة يكون على نسق واحد بالنسبة لجميع الاطفال في البيئة الواحدة، كما أن هذا الاكتساب يتم عن طريق السماع ومحاولة تكلّم الطفل ما سمع(١). وترى أن ذهن الطفل شبيه بآلة مبرمجة مزوّدة بمعلومات معينة وتؤدي عملاً محدداً لإتمام عملية تعلّم اللغة (٢). فعندما يتلقى الطفل معطيات لغوية أولية يستوعب معانيها، وثم يحوّلها الى إشارات واختيارات تنتهي بأداء كلامي"(٣) ويتلقى الذهن هذه الرسائل ويغيّرها من مظهرها الأول الى شكل آخر، ولذلك يصدر عنه سلوك لغوي مختلف عما تعرّض إليه.

* * *

إن هذه النظريات التي عرضنا بايجاز شديد تفرض على المعنيين بأدب الاطفال ظلالاً من الاهتمام بلغة ما يكتبون في ضوء تكاملية هذه النظريات، ودون الاخلال بخصوصية كل منها. فمع أنّ النظرية التوليدية تخالف المدرسة السلوكية في النظر الى أن الطفل يكتسب اللغة بالمحاكاة، الاّ أن مسألة الوسط الاجتماعي وما يوفّره من فرص غير متناهية من النشاط اللغوي، ليست ببعيدة عن فكرة المحاكاة. إذ أن الطفل بحاجة إلى نماذج إنسانية لغوية يحاكيها وهذه موجودة ومتاحة في الوسط الاجتماعي.

إن كل نظرية مما ذكرنا تقدّم إضاءة مهمّة لكتّاب الاطفال، منها ما يتعلّق بالبيئة الثقافية والتربوية، ومنها ما يتعلّق بالطفل نفسه جسداً ونفساً ومنها ما يتعلق باللغة من جهة والدماغ من جهة ثانية .. وكل ذلك يملي ماخذاً تكاملياً قدر المستطاع.

---

(١) المرجع السابق: ١٥١.

(٢) المرجع السابق : ١٥٢.

(٣) المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تطوّر اللغة عند الطفل:

لتفهم تطور اللغة عند الطفل لا بدّ من رصدها في مجالات ثلاثة: (١) الفونولوجيا، والمفردات والدلالات، والتراكيب.

الفونولوجيا (المرحلة الصوتية):

ويمر الطفل في هذا المجال في المراحل التالية:

١. الصراخ: وهو مجموعة أصوات فطرية تعبّر عن حاجات الطفل (٢).

٢. المناغاة: وذلك في الشهر الثاني، وبها يتم تحريك أعضاء النطق وتمرينها واللعب بها (٣).

٣. الثغثغة او الترداد بين الشهرين الثامن والعاشر، حيث يصدر الطفل "صوتاً" يلفت سمعه مما يدفعه الى تقليد الصوت نفسه وترداده "(٤) عدة مرات وبصورة دورية. وفي هذه المرحلة يظهر التنغيم (٥) ويقترن منطق الطفل بانفعالاته (٦).

---

(١) ميشال زكريا: ١٢٤.

(٢) Bar-Adon, Aron; Leopdol, Werner (Editors), Child Language (A Book of Reeding), Prentice-Hall, Inc., Englewood Cliffs, New Jersey, 1971, p. 27 .

(٣) المرجع نفسه: ٢٠٥، وانظر ايضاً ميشال زكريا: ١٢٤

(٤) يسميها لينبرغ "الثرثرة" (انظر: داوود عبده، لغة الطفل، معهد التربية، الانروا/اليونسكو، (Prep, A/A32)، بيروت، ١٩٧٢: ٣٧.

(٥) ميشال زكريا: ١٢٥.

(٦) intonation في دراسة شن وإروين، Chen & Irwin على ٩٥ طفلاً وجدا ان معدل الأصوات التي يستعملها الطفل حوالي ٧ أصوات مختلفة - وذلك في الشهرين الأولين من عمره، وتزداد هذه الأصوات حتى تصبح ٢٧ في سن السنتين وخمس شهور، =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤. النطق : ومرحلته الأولى القرقرة (١)، وهي نوع من اللعب الصوتي يحاول الطفل من خلاله تقليد الأصوات دون أن ينجح في ذلك. وفي هذه المرحلة -حسب رأي لينبرغ- يميز بين بعض الكلمات التي يسمعها.

وبعد ذلك يبدأ الطفل في اكتشاف التنظيم الفونولجي في لغته، ويبدأ يعي المفادات (٢) الفونولوجية. وبتطوّر جهاز النطق لدى الطفل يبدأ في نطق الصائتات والصامتات. فتظهر عنده كلمات مثل ماما، بابا، دادا (٣).

= (انظر Child Language, p.105 من مقالة دوروثي مكارثي: وقد حاول العالم شترن Stren أن يعين نوع الصوت الذي يظهر في كل حالة من الحالات الانفعالية فتوصل إلى أن حروف اللين مكررة تعبّر عن السرور والحزن، وأن الميم والنون تعبّران عن كل ما له علاقة بالأمور الداخلية (الجوع، الرغبة) وأن الباء والدال، والتاء تعبر عن كل ما له علاقة بالعالم الخارجي (انظر : علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ط٢، ١٩٦٢: ١٣٢.

(١) داود عبده : ٣٧.

(٢) Oppositions.

(٣) ميشال زكريا : ١٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المفردات والدلالات [١]

في نهاية السنة الاولى بعد ظهور مثل كلمات (ماما)و(بابا)، يستطيع الطفل ان يفهم بعض الكلمات والعبارات مثل :اين انفك؟[٢]، وفي هذه المرحلة لا تتطابق كلمات الطفل مع اصول نطقها عند الكبار، وبين السنتين الاولى والثانية تتزايد المفردات ببطء، ثم تزيد حتى سن السابعة، وسبب الزيادة ان الطفل "يكون قد اكتسب تنظيم لغته الفونولجي"[٣].

واكتشاف الطفل لدلالات المفردات يمرّ بمراحل:

١. الصراخ العفوي لتنبيه محيطه ان يشبع له حاجاته.

٢. الصراخ المتعمّد من اجل إشباع الحاجات.

---

(٣) يسمّي جون كارول هذا الجانب من تطور اللغة عند الطفل :بداية التواصل الرمزي (انظر: Child Language p.206)، ويرتب مراحل تطور لغة الاطفال على النحو التالي :

الاشهر الاولى، مرحلة المناغاة (babbling)، مرحلة فهم اللغة، مرحلة بداية التواصل الرمزي، بداية التمييز في التواصل الكلامي، المراحل المتاخرة (انظر المرجع نفسه :٢٠٥-٢٠٦)؛ اما هيزل فرانسيس فيقسم لغة الاطفال الى المراحل التالية : الكلام المبكّر، لغة طفل ما قبل المدرسة، كلام اطفال المدارس

(انظر:

Francis, Hazel; Language in Childhood: Form and Function in Language Learning, St. Martin's Press, New York, 1975, pp.30, 70, 105 .

(٢) داود عبده : ٣٧.

(٣) ميشال زكريا : ١٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣. استعمال الأصوات كوسيلة تعبيرية عن الوحدة أو الغضب أو الخوف(١).

ويتم اكتساب الطفل الدلالات عبر المضامين التي ترافق نموّه اللغوي. وغالباً ما يلجأ الطفل عندما تنقصه الكلمات للتعبير بها عن الأشياء إلى جعل الكلمة التي يكون قد اكتسبها تشمل أشياء أخرى تشابه الاشياء التي تشير اليها (٢)، "فكلمة "بابا" تعني رجالاً آخرين غير الأب أيضاً".

وهنا لا بد أن نشير إلى أن مرحلة الكلمة لا تعني أنّ دلالاتها تقف على الكلمة الواحدة. فعندما يقول "بابا" كأنه يقول : هذا بابا. أو جاء بابا. وكأن هذا الإيجاز الذي نجده في لغة الكبار احياناً هو من بقايا طفولة اللغة.

التراكيب:

عندما يبدأ الطفل بتركيب جملة من كلمتين على الأقل يكون قد بدأ مرحلة التركيب. ويستخدم الطفل فئتين من الكلمات:

- الكلمات المحورية، وهي قليلة العدد في عناصرها.
- الكلمات المفردات، وهذه كثيرة العدد.

من الكلمات المحورية: وداعاً، كبير، جميل، انظر، هذا، هنا، أكثر، ومن الكلمات المفردات: ولد، حليب، ماما، بابا، قهوة، طائرة، حذاء، أصفر، لعبة، إذهب، سكّر، يوسف، ... الخ(٣). والطفل يختار من المحورية كلمة يتبعها بكلمة أو أكثر من المفردات..ولكن

---

(١) انظر: ميشال زكريا :١٢٦.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) انظر: المرجع السابق :١٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مع نمو الطفل وتقدمه في العمر تتفرع فئة الكلمات المحورية إلى فئات فرعية ، وذلك بسبب "تطور قدرته التمييزية بين عناصر اللغة "(١).

في السنتين الثانية والثالثة من عمر الطفل تزداد ، بكثرة ملحوظة ، المفردات في لغته ، وتظهر تعبيرات جديدة وضمائر. ويستعمل البنى اللغوية بصورة حسنة ، ويمكن ان يروي احداث يومه.

في السنة الرابعة يستعمل الطفل لغة مكثفة و"يغرق المستمعين اليه بسيل من الكلمات غير المتماسكة وبفيض من المحادثات المفككة "(١).

وفي السنة الخامسة "يصبح كلامه اكثر اتزانا". حيث يبدأ بمعرفة الاعداد وبالكتابة. ويستعمل جملا مركبة وتزداد مفرداته كثرة "(٢).

وبين السادسة والثامنة يكون الطفل قد اكتسب اللغة المحلية ، وتصبح اللغة وسيلته التواصلية الوحيدة ، فيمارسها بصورة مستمرة "(٣).

---

(١) المرجع السابق :١٢٨.

(١) ميشال زكريا : ١٢٩.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والجدول التالي يبيّن نموّ المحصول اللفظي للطفل تبعاً لزيادة عمره (١) :

العمر بالسنة	عدد الكلمات
١	٣
٢	٣٧٢
٣	٨٩٦
٤	١٥٤٠
٥	٢٠٧٢
٦	٢٥٦٢

القاموس اللغوي للطفل العربي

لا يكفي أن يعرف اديب الأطفال خصائص النمو اللغوي عند الأطفال ومراحله ، بل لا بد أن يكون على صلة بالقاموس اللغوي للطفل الذي يكتب اليه . والقاموس اللغوي يعني الحصيلة أو الذخيرة اللغوية التي اكتسبها الطفل في مرحلة من مراحل عمره . إنها مجموعة المفردات والتراكيب والعلاقات التي يعرفها الطفل ويستخدمها . وبناء على معرفة اديب الأطفال بهذا القاموس، فإن كتابته لابن السنوات الست تختلف عن كتابته لابن التسع...وهكذا .

وصحيح ان القاموس اللغوي يختلف من طفل الى آخر في البيئة الواحدة ، ولكنه يختلف ايضاً بسبب اختلاف البيئة الاجتماعية واللغوية والمستوى الثقافي وما يتيحه -أو لا يتيحه- من فرص التفاعل اللفظي والتعبير والحرية والخبرات المتنوعة (٢). وبرغم

(١) انظر : الأسس النفسية للنمو: ٢٠١ عن نتائج ابحاث سميث.

(٢) جورج كلاس : ١٩٩. ولا توجد حتى الآن دراسات تجمع القدر المشترك من القاموس اللغوي عند الاطفال العرب لاعداد كتب وادب يخاطبهم جميعاً ، ذلك ان عدداً قليلاً من الاقطار العربية قد جمع القاموس اللغوي للاطفال لديه ، انظر مثلاً =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه الاختلافات التي تؤثّر على قاموس الطفل اللغوي، فإننا لا نستطيع ان نغفل اهمية الوقوف عليه. وإجراء الدراسات اللازمة لتقميش القاموس اللغوي للاطفال في بيئة ما، وتحليله، مهمة لا يقوم بها عادة اديب الاطفال، بل اولئك التربويّون والمعنيّون بدراسات الطفولة والمناهج وسواها. ولكن الاديب الذي لا يجد مثل هذه الدراسات جاهزة في إحدى المؤسسات التربوية او الثقافية في مجتمعه، لا يجد مناصاً من ان يجري نوعاً من المراقبة والملاحظة والاحصاءات ليصل إلى الاطمئنان ان ما يكتبه يصل إلى عالم الطفل باستخدام لغة شبيهة بلغته او من جنس مرحلتها النمائية.

إن القاموس اللغوي لاي طفل في اي مجتمع يحتوي بالضرورة على المفردات والتراكيب والمفاهيم التي تتعلّق باهتماماته وتتصل بخبراته، وتدور في محيطه (١).

= عبد الله عويدات، المفردات الشائعة لدى الاطفال الأردنيين، كلية التربية، الجامعة الأردنية، ١٩٧٧، وسميرة عبد الواحد، المحصول اللفظي لتلاميذ الصفين الثالث والرابع في بغداد، كلية التربية، جامعة بغداد، ١٩٨٢، (اطروحة ماجستير غير منشورة)؛ ووليد الزند، المفردات الشائعة لاطفال مرحلة التمهيدي في بغداد، بغداد، ١٩٧٦، (اطروحة ماجستير)، ويونس صالح الجنابي، الذخيرة اللغوية لتلاميذ الصفين الخامس والسادس الابتدائي في بغداد، كلية التربية، جامعة بغداد، ١٩٨٣ (اطروحة دكتواره غير منشورة).

(١) المرجع نفسه: ٢٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وللقاموس اللغوي للطفل العربي (١)خصائص وسمات عامة هي :

١. التعلّق بالمحسوس والبعد عن التجريد.

٢. التمركز حول الذات. فكلمة (انا) وحدها تشكل نسبة ٢٤-٢٧٪ من لغة الطفل، منها يبدأ الطفل معظم جمله التي تتعلق باهتماماته وحاجاته.

٣. الشمول والتعميم، بعيداً عن التخصص(٢).

---

(١) انظر : صباح حنّا هرمز، الثروة اللغوية للأطفال العرب ورعايتها، الجمعي الكويتية لتقدّم الطفولة العربية، الكويت، ١٩٨٧.

(٣) المرجع السابق : ٢٠٨-٢١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النمو الانفعالي (الوجداني) عند الأطفال

الانفعال حالة نفسية معقّدة لها مظاهر عضوية تتصل بالتنفس وضربات القلب وإفرازات الهرمونات "وتتميز مظاهره النفسية بوجدان قوي" (١).

ولانفعالات الاطفال صفات مميّزة منها :

١. انها قصيرة المدى؛ إنها تبدأ بسرعة، وتنتهي بسرعة.

٢. كثيرة ومتعدّدة.

٣. متحولة المظهر، كثيرة الالوان؛ فالطفل لا يستقر على انفعال واحد انه يضحك ثم يبكي، ثم يغضب ثم يضحك ... يحب ثم يكره .. يكره ثم يحب.

٤. حادة ؛ يفرح بشدة، يضحك بقوة، يبكي بجدّة (٢).

واهم انفعالات الأطفال -التي تبدأ في الوضوح والتنوع في العام الثاني من العمر (٣):

الغضب: واهم اسبابه في العام الأول عدم إشباع حاجات الطفل وخصوصاً الفسيولوجية. وتزداد بواعث الغضب بعد المشي ونموّ المقدرات اللغوية والعقلية لأسباب منها : ازدياد عدد البالغين في الأسرة، وما يصحب ذلك من صراعات حول السلطة في داخل الاسرة، وقت الظهيرة والمساء وما يحمله من تعب وجوع للاطفال ووالديهم (٤)، والتدخل في مشروعاتهم ونقدهم (٥). وهذه الاسباب تتلخص باختصار في

---

(١) الاسس النفسية للنمو :٢١٣.

(٢) المرجع نفسه : ٢١٤.

(٣) مصطفى فهمي، سيكولوجية الطفولة والمراهقة، مكتبة مصر: ٨١.

(٤) جابر عبد الحميد جابر، عالم النفس التربوي:١١٨

(٥) مصطفى فهمي : ٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اختلاف سلوك الاطفال مع معايير الكبار فيما يتصل بالممتلكات المادية ، والعادات الرتيبة ، ومشكلات النظام الحياتي(١).

ويتطوّر التعبير عن الغضب من النشاط غير الموجّه (٢)، بالصراخ وإلقاء النفس على الارض، والرفس بالقدمين.... الى النشاط الكلامي الاجتماعي والالفاظ الهجوميّة (٣).

ويبدو دور أدب الاطفال -كعامل موازٍ للتربية- في ان يعترف بحق الطفل في الغضب، وطبيعيّة هذا الانفعال من جهة ، وفي ان لا يستجيب لهذا الغضب أو يتمشى مع رغبات الطفل مما يجعله يسيطر على الآخرين، لان الطفل عندئذ سيستمر في استخدام هذه النوبات كنمط سلوكي (٤). لا بد لهذا الادب من ان يساعد الطفل على السيطرة على غضبه بنفسه. لا بد له من أن يغذّي الجانب المعرفي لديه عن سلبيات الغضب ونتائجه السيئة ، لا من خلال الوعظ والإرشاد بل من خلال الحدث وتنميته .

<u>الخوف</u>: يتسبّب الخوف في الاشهر الاولى من حياة الطفل من الضجيج المفاجيء او فقدان السند ، اي من اشياء مادية (٧). كما يتسبب الخوف من ارتباطه بخبرة مؤلمة ، وهو مرتبط طرديا* بدرجة ذكاء الطفل لقدرة الطفل على التعرف على الخطر الكامن.

وينتظر من المؤسسة التربوية الرسمية والموازية (ادب الاطفال مثلا*) ان تخطط لعلاج الخوف عند الطفل. ومن اسباب ذلك تعريض الطفل لمثير انفعال الخوف وهو آمن لكن بجرعات قليلة ، وبذلك يتم إضعاف

---

(١) جابر عبد الحميد جابر : ١١٨.

(٢) Undirected Energy

(٣) انظر المرجع نفسة ، مصطفى فهمي : ٨٣.

(٤) جابر جابر : ١١٩.

(٥) انظر المرجع نفسة ، وانظر ايضا*:مصطفى فهمي : ٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المثير. وكتاب "Where The Wild Things Are?" (١)يعرّض الطفل إلى مشاعر الخوف بطريقة ساخرة ومقلوبة، ويستخدم الرسام اقبح الاشكال ليصف بها هذه الكائنات المتوحشة التي سيطر عليها بطل القصة (الطفل) واصبح ملكاً عليها. وفي "كتاب الاشباح"(٢) -وباستخدام تقنية عالية في صناعة الكتاب- يتم تسخيف مخاوف الاطفال وجعلهم يكتشفون ان ما يبدو لهم أشباحاً لا يعدو انه طيور خلف نافذة، او غسيل على حبل، او دُخان مصنع، او ماء مندفع من صنبور، أو غسيل في غسّالة، او مجموعة قطط، او اقدام الطفل نفسه وهي خارج غطاء فراشه. وهذا الكتاب يتعامل مع المخاوف عند الاطفال على انها مسالة طبيعية ومشروعة، ولكنه يخرجها بشكل يجعل الطفل يضحك من مخاوفه بعد ان يواجهها.

ويبدو الادب الذي يقدّم إشارات حادة للخوف عند الاطفال ادباً مدمّراً لطمانينة الاطفال، وادباً ضاراً، فقصص الاشباح والمردة والغيلان تلك التي تقترن سلوكاً بالشرّ، هي قصص تمنح اسباباً اخرى ومثيرات اخرى للخوف عند الاطفال. فيصبح الادب عنصراً إضافياً لخلق مشكلات للاطفال بدل ان يكون عنصراً لحلها او وسيطة علاجية كما يؤمل منه ان يكون احياناً.

---

(١) Sendak, Mourice; Where The Wild Things Are ? Haper and Row Publishers,1984, New York.

(٢) Adams, Pam; & Jones, Ceri (Illustraters), A Book of Ghosts, A Child's Play Imagination Book, Child's, Play (International) Ltd., Restrop Manor, Purton Wilts, England, 197.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن قصص الاشباح والمردة والغيلان ينبغي ان تعالج بطريقة جديدة تزيل منها الرهبة وتظهر ضعفها وعجزها وخلوها من تلك القدرات السحرية على الإخافة والاذى، وعندئذٍ تنصرف مخيلة الطفل إلى تخيّل اشياء إيجابية ليس منها الملاءات التي تتحول إلى اشباح، والشجر الذي يتحول إلى مردة، والقدر التي تتحول إلى قدر الغول الذي يطبخ فيه الصغار...

٣. الغيرة:

مبعثها شعور الطفل بانه مهدّد عندما ياخذ من ابيه وامه انتباههما كائن" آخر (كان يكون اخا" له او اختا")، ولذلك يعبر الطفل عن غيرته بالعدوان على من سبب له إهمال والديه او احدهما.

ومن غيرة الاطفال ما هو موجه نحو الإخوة المنافسين، او نحو الاب والام نتيجة تعلق الطفل باحدهما، او نحو اي شخص ياخذ انتباه الام او الاب منه في مجلس او زيارة او ما شابه. وعندما يكبر الطفل وتتنوع اسباب الغيرة فتظهر بسبب وجود من يفوق الطفل في التحصيل الدراسي او في اللعب. والتعبير عن الغيرة يتطور من الانفعال وإحداث جلبة، إلى الاعتداء على الاشخاص الذين يغار منهم الطفل، ثم الى المضايقة والإغاظة، ثم إلى إظهار الضيق والتبرم، ثم الى التجسس والوشاية (١).

ولا شك ان ادب الاطفال قادر ان يقدّم اشباعا" لحاجات الطفل، واهتماما" بالطفل الوحيد، وتساويا" في معاملة الاطفال. فالتركيز على البطولة الفردية لا يؤدي إلى نموذج إنساني سوي" محب ومتسامح.

---

(١) انظر مصطفى فهمي: ٨٨، وانظر ايضا" جابر عبد الحميد جابر: ١٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن الغيرة في معظم حالاتها "استجابة سويّة لفقدان الحب على نحو واقعي او على نحو مفترض"(١) والادب قادر أن يشبع مطلب مهمّ معقود على ادب الأطفال بصورة خاصة. ذلك انّ اهم ما يشعر الطفل انه بحاجة اليه هو الحب ويلي ذلك التقبّل(٢).

النمو النفس حركي عند الأطفال

اللعب:

اذا سألنا لمَ يلعب الأطفال، فإننا سنضطر ان نسأل : ولمَ يأكلون؟ ولِمَ يَشربون؟

ثمة دافعان وراء اللعب عند الحيوانات والأطفال : الحاجة الى النشاط والحاجة الى الاستطلاع. ولكن "سوزانا ميلر"توضح فكرة مهمّة عن اهمية اللعب عندما تقول :"إن أسباب سلوك معيّن هي كل الحالات والتركيبات والوظائف التي يعجز السلوك في حالة غيابها عن الحدُوث (أويتعدّل)، وهي التي تكون كافية لحدوثه"(٣). ولا ترى ميلر أن اللعب هو الأفعال التي لا تقع تحت سيطرة، أو الأفعال التي نعرف انها نتيجة فكرة.. وقد يكون اللعب نشاطاً متناسقاً أو نشاطاً عنيفاً أو هادئاً مركزاً، ويمكن أن يتضمن الاستطلاع

---

(١) جابر جابر : ١٢٤.

(٢) انظر : Children Experience Literature, p.17

(٣) سوزانا ميلر، سيكولوجيّة اللعب، (ترجمة رمزي حليم يس، ومراجعة أحمد زكي صالح)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤ : ٣١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والعدوان، واجزاء من السلوك الجنسي، وان يكون اجتماعياً أو انفرادياً، ومع ذلك فتوجد سمة واحدة تميّز كل نوع من انواع اللعب بين السلوك الذي ياخذ من اسمه "(١).

إن" اللعب لدى الاطفال وحركة اجسادهم الدائمة ليست فقط بسبب طاقة كبيرة يريدون استهلاكها، ولكنها حاجة نسبية للتكامل وضبط اجهزة الحركة "(٢). إنه "سلوك متناقض المظاهر، واستطلاع لما هو مألوف. ومزاولة لما اصبح تحت سيطرتنا بالفعل، وعدوان ودّي، وجنس بلا مبالغة، وثوران للاشيء، غير محدود بنشاط نوعي عام او بتكوين اجتماعي، وادعاء لا يقصد به الخداع"(٣). كما تقول ميللر.

وإذا كان عدد من النظريات النفسية قد تناول اللعب بالدرس، فان ذلك ليس بذي اهمية لدينا الآن، بمقدار ما ان اللعب ضرورة حيوية وحياتية وعقلية ونفسية واجتماعية وروحية للطفل لا يستطيع العيش من دونها، ولذلك فإن على ادب الأطفال ان يولي عنايته هذه الخاصية من خصائص الأطفال النفسحركية، موظفاً جميع أنواع اللعب المناسبة للاعمار المختلفة كاللعب الاجتماعي، واللعب الرمزي واللعب الايهامي، ولعب المحاكاة، ولعب التخيّل(٤).

على انه من الممكن للّعب ان يتطوّر من ناحية الوجدان بالتشخيص(٥) والتجسيد(٦) باتجاه الدراما والتمثيل. اما من ناحية

---

(١) المرجع نفسه : ٣١١.

(٢) المرجع السابق : ٣١٤.

(٣) انظر: المرجع السابق :٣٢٤.

(٤) انظر المرجع السابق .

(٥) Personification.

(٦) Objectivation.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإحساس فيمكن تطويره "بطرائق التعبير الذاتي نحو التصميمات البصرية والتشكيلية (١)، ومن ناحية الحدس يطوّر بالتمرينات الإيقاعية (الرقص الموسيقى)، ومن ناحية الفكر يطوّر بالنشاطات الإنشائية (الصنعة) (٢).

وإذا كان على المدرسة الابتدائية أن تُعنى بتطوير هذه الجوانب جميعها من اجل شخصية للطفل متطوّرة بانسجام، فإن على ادب الاطفال- من حيث هو مؤسسة موازية للمؤسسة الرسمية في التربية - ان يتعهّد اللعب باتجاه التمثيل (مسرح الأطفال)، وان يتعهده باتجاه التصميم البصري (رسوم كتب الاطفال)، وما قد تتضمنه كتبهم من نشاطات تلوينية ورسمية إبداعية، وان يتعهّده باتجاه الرقص بما يستخدم من وسائط وتقنيات حديثة لأشرطة مسجلة، أناشيد ملحّنة ..الخ)، وان يتعهّده باتجاه الصنعة أو التأليف أو الإبداع، أو العمل اليدوي....

---

(١) انظر : هيربرت ريد، التربية عن طريق الفن: ٣٠٠

(٢) انظر : المرجع نفسه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم هذا الباب؟

هل في ادب الاطفال نظريه ؟

وهل ادب الاطفال نفسه نظرية ؟

ما المقصود بالنظرية إذا؟ ؟.هل هي إحدى النظريّات المطروحة في النقد الادبي؟ ام هي جماع النظريّات النقديّة وخلاصتها ؟ وما صلتها بأدب الاطفال؟ وما الحاجة إليها ؟ وكيف يمكن تحديدها إذا قبل مبدا وجودها ؟ وما الذي تختلف فيه النظرية عن المدرسة او المنهج؟

في المفهوم:

تنبّه العرب منذ قديم إلى المعنى المجرّد المتطوّر عن دلالاته المادية التاملية بالعين فقالوا إنّ النّظر: "تأمّل الشيء بالعين... والنّظر: الفكر في الشيء تقدّره وتقيسه منك"(١).

ولكن هذا النظر الفكري الذي فيه التقدير والقياس تطوّر مصطلحا حتى اخذ لفظ" النظريّة " في العصر الحديث. فكانت النظرية "جملة التصورات او المفاهيم المؤلفة تاليفا عقليا يهدف إلى ربط النتائج بالمقدّمات"(٢).

---

(١) اللسان (نظر).

(٢) إلفت كمال الروبي، نظريّة الشعر عند الفلاسفة المسلمين (من الكندي حتى ابن رشد)، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٣: ٨ عن: مجدي وهبه، معجم مصطلحات الادب، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٤: ٥٦٩، وجميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٣، ٢: ٤٧٧، ويوسف كرم وآخرين، المعجم الفلسفي، مطابع كوستاتسوماس، القاهرة، ١٩٦٦: ١٧٥، ١٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وترتبط النظرية النقدية بالنقد المنهجي. فهذا" ما كان مؤسساً على نظرية نقدية تعتمد أصولاً معينة في فهم الأدب، وفي اكتشاف قيم جمالية ونفسية وفكرية واجتماعية في العمل الأدبي" (١).

ويرى إيفور آرمسترونغ ريتشاردز (٢) (١٩٨٣-) أحد أقطاب النقد الإنجليزي المعاصر والمدرسة النفسية في تفسير الأدب" أن العمودين اللذين يجب أن تُقام عليهما نظرية في النقد، هما تفسير القيمة وتفسير عمليّة التوصيل (٣).

إذن، إنّ النظريّة التي نحن بصدد بلورتها انما هي مجموعة تصورات ومفاهيم ومبادىء وافكار جذريّة لها صبغة فلسفية حيناً، وأحياناً أخرى صبغات اجتماعية وفنية ونفسية، نرى أنها تحكم-بل ينبغي أن تحكم-أدب الأطفال على مستوى المفهوم وعلى المستوى النظري، وعلى مستوى التطبيق. ذلك أنّ هذا الأدب- ما يزال أسير الدراسات الأدبية والتاريخية والتقريرية والنقدية الخفيفة التي لا تصدر عن موقف شمولي مستقل ومستلهم من الفهم السابرلطبيعة الطفل من جهة، وطبيعة الفلسفة الاجتماعية التي يرادُ له أن ينشأ في ظلالها، وطبيعة الأدب الذي يناسبه ويمتعه ويفيده..

إن هذه النظرية المقترحة هي المنطلق النظريّ المقترح-إن جاز التعبير- لسدرس النتاج الأدبي -أي التطبيق- من جهة (أي القيام

---

(١) هند حسين طه، النظرية النقدية عند العرب، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨١: ١٤.

(٢) Ivor Armstrong Richards

(٣) إ. ريتشاردز، مبادىء النقد الأدبي، (ترجمة وتقديم مصطفى بدوي، مراجعة لويس عوض)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، ١٩٦١: ٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بمهمة التبصير)، ولوقاية النتاج القادم من الوقوع في المهلكات الفكرية او النفسية او الفنية، التي سيتم تبريرها وتفسيرها فيما بعد (اي ان النظرية المقترحة ستحاول القيام بمهمة التحذير). وعليها ان تحاول القيام بمهمة التبشير.. وهذا مستوى نظري بحت.

ما هي هذه النظرية؟

ليس من السهل ان نصف هذه النظريّة. إنّ المفكّرين والنقّاد عندما يصوغون نظرية جديدة يكتفون بالحديث عنها او بحث افكارها. ثم يأتي بعد ذلك الاتباع والمريدون والباحثون فيبلورون ما قالوا وما نشروا وما بحثوا وما نظّروا. اما مسؤولية الوصف والبلورة والتطبيق فمسؤولية اكاديمية جسيمة.

وقد نستطيع ان نصف هذه النظرية اذا حاولنا الإجابة عن الأسئلة التالية:

- من ؟ (من يكتب للأطفال)
- لمه ؟
- ماذا ؟
- كيف ؟

هذا ما ستحاول الإجابة عنه الفصول التالية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم' هذا الفصل ؟

هل من اليسير الحديث عن خصائص أديب الكبار، حتى يسهل أن نحدّد ما هو أديب الأطفال ؟

لقد اكتنف الغموض منذ قديم هذه الشخصية، (الأديب، الفنان الشاعر) من حيث تفاعلاتها العقلية والروحية والاجتماعية، ومن حيث مصادر إلهامها ووحيها أو مصادر إنتاجها الفني. فتارة' كان الشاعر قرين الشيطان، وزائرا' دائما' لوادي عبقر، حيث قرينه من الجن. وهذه هي النظرية العربية الجاهلية في تفسير العبقرية الشعرية.. وتارة كان الشاعر يتلبّس بالجنون .. وتارة هو متصل بذات عليا أو عالم المثل الملهم.. إلى غير ذلك من تفسيرات وتعليلات، مما لا يعنينا شأنه في هذا المجال.. ومما نجده في المدارس والمناهج والنظريّات التي حاولت تفسير الإبداع.

ولكن الذي يعنينا أديب الأطفال .. فهل نستطيع أن نرسم له سماته، الشخصية من حيث هو مبدع أولا'.. ومبدع للأطفال ثانيا' ؟

في أدب الأطفال ثمة طرفان مهمّان هما أديب الأطفال -كمرسل- من جهة والأطفال -كمستقبلين- من جهة ثانية. فإذا كنا تحدثنا عن الطفل حتى يكون مفهوما' للأديب، فإن الحديث ينبغي أن يُستكمل. وليس الأديب مستبعدا' عند البحث في العملية الابداعية التي ستوليها هذه النظرية اهتمامها الخاص. ولأن واقع أدب الأطفال العرب بالغ التشويه فإن العنصر الإنساني الذي وراءه يشكّل خطورة كبيرة لأنه هو الذي يحرّكه أو يعدّه أو يترجمه أو يؤلفه..فإذا كانت مكوّنات هذا العنصر الثقافية والإبداعية فقيرة كان الانتاج فقيرا'..وهكذا..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن هذا الفصل سيحاول الولوج إلى داخل أديب الأطفال الحقيقي والمبدع، وسيقترح تصوراً لمكونات ثقافة هذا الأديب.

* * *

وجهة النظر النفسية:

إن بحث هذا الموضوع يعتبر اساسياً في علم النفس الابداعي. فقد بحث علماء النفس الابداعي بحثاً شاقاً في الدوافع التي تدفع المبدعين نحو الابداع. وهذا جعلهم يتجهون نحو دراسة السمات الشخصية للمبدعين (١). وبعبارة اخرى، المقدرة الخاصة التي تجعل الإنسان فناناً؟

في دراسات ماييز(٢)وتلاميذه في جامعة ايوا، لسير الفنانين وإنتاجهم، انتهت هذه الدراسات إلى خمسة عوامل تشكّل القدرة الفنية لدى الفنانين وهي:

ا. المهارة اليدوية (هذه للفنانين التشكيليين).

ب. القدرة على بذل النشاط والاستمرار في العمل.

ج. الذكاء الجمالي اي القدرة على إدراك المساحات.

د. الخيال الابتكاري؛ وهو "القدرة على تنظيم الاحساسات الحية في إنتاج جمالي"(٣).

هـ. الحكم الجمالي: وهو القدرة على إدراك الوحدة في التنظيم"(٤).

---

(١) انظر: عبد الستار ابراهيم، آفاق جديدة في دراسة الابداع، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٨: ٧٨.

(٢) Meier، انظر: عز الدين اسماعيل، التفسير النفسي للأدب، دار العودة، بيروت، ١٩٦٢: ٣٦.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي نظرية "جيلفورد" حول النشاط الإبداعي يرى ان هذا النشاط يعتمد على انواع ثلاثة من الوظائف النفسية "تختلف احيانا" من حيث طبيعتها وتختلف دائما" من حيث الدور الذي تقوم به عملية الابتكار"(١). وهذه الوظائف هي (٢):

١) مجموعة الوظائف الخاصة بالادراك والمعرفة، اي معرفة المشكلة التي تحتاج إلى حل.

٢) مجموعة الوظائف الإنتاجية، وهذه تدخل بوصفها عناصر في لحظات الإنتاج لدى الفنان، وتتالف من عناصر ثلاثة.

أ) الأصالة: وهذه تتجلى في الميل إلى التجديد.

ب) الطلاقة: وتتجلى في السهولة او السرعة التي يتم بها للفنان استدعاء اكبر عدد من الالفاظ او الافكار او الاخيلة.

جـ) المرونة: وهي "القدرة على ان نغيّر من نظرتنا إلى الامور او المشكلات فاذا ما اعيانا الوصول إلى شيء من وجهة اهتدينا إليه من وجهة أخرى"(٣) إذ ان الابتكار قد يتوقف كثيرا" على هذه الوظيفة. وهذه الصفة ذات طبيعة مزاجية.

٣) وظيفة التقويم: "وهي الوظيفة التي نحكم بها على قيمة شيء ما او موضوع ما من حيث ملاءمته لان يوضع مع اشياء اخرى، او لان ندخله في سياق معيّن"(٤).

إن الناس جميعا" يتمتعون باقدار متفاوتة من هذه الوظائف ولكنها، لدى الفنان ذات قدر عال.

---

(١) المرجع السابق :٤٠.

(٢) المراجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع نفسه : ٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الواضح لمن لديه اتصال بعمليّة الإبداع الفنّي أنّ دراسات ماييز ونظرية جيلفورد قاصرتان عن استيعاب سمات الفنّان أو الأديب. وقد حاول الدكتور مصطفى سويف في دراسته القيّمة "الأسس النفسية للابداع الفني، في الشعر خاصة"(١) أن يستكمل النقص والقصور فيما سبقه من دراسات، فاقترح الديناميات التالية في عملية الابداع الفنّي"(٢)

١ . التجربة الخصبة (٣):

ولا شك أنّ هذه التجربة من التشابك والتركيب بل والتعقيد بحيث لا يخلو الأمر من تعسّف عند طلب تحليلها. ولكن يبدو حسب دراسة سويف أنّ التجارب التي يشترك فيها الأنا ككل -أي التي تقوم على توتّرات عميقة لدى الفنّان- هي التي تفجّر الإبداع. إن التجارب التي تمسّ الأعماق هي التي تشكل دافعية للإبداع. كما أن دراسة سويف ،كشفت عن "أنه ما من قصيدة أبدعها الشاعر إلا ولها "(ماض) في نفسه"(٤)، ومن هنا قول الشاعر الانجليزي المعاصر أودن(٥) "الذاكرة هي جذر العبقرية المبدعة. فهي تمكّن الشاعر من أن يصل لحظة الإدراك المباشرة التي تسمّى (الإلهام)؛ باللحظات الماضية التي حملت إليه انطباعات مماثلة. وهذا الوصل

---

(١) مصطفى سويف، الأسس النفسية للابداع الفنّي ، في الشعر خاصة ،دار المعارف بمصر، ١٩٥٩: ٢٧٠.

(٢) دراسة سويف منصرفة الى الشعر، وتجربة الشعر ليست بعيدة عن التجربة الفنية.

(٣) المرجع نفسه : ٢٧٠.

(٤) المرجع السابق: ٢٧١.

(٥) Auden

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للانطباع الراهن بالانطباعات الماضية يمكّن الشاعر،في اللحظة ، من ان يخلق تاليفاً عبر الزمن، قوامه انغام، إن هي إلا انطباعات متماثلة تلقّاها الشاعر في اوقات متباينة ، ووصل بينها في تشبيه يحتويها جميعاً متعاصرة .

ان اهم ما يميّز الشاعر من سائر الشعراء نوع ذاكرته والطريقة التي يستخدمها . وثمة نوعان من الذاكرة : نوع يمكن تسميته بالذاكرة المصّرحة المشعور بها ، والآخر هو الذاكرة الخفية واللاشعورية . فاما الذاكرة المريحة الشعورية فهي ذاكرة الانطباعات التي صيغت في الذهن على هيئة افكار وقت تلقّيها . وامّا الذاكرة الخفية اللاشعورية فهي ذاكرة الانطباعات التي لم نعفها شعورياً وقت تلقّيناها "(١).

ولا شكّ ان هذه الديناميّة التي اشار اليها سوف تصلح خاصية مهمّة من خصائص اديب الأطفال، ذاك الذي تطلّ عليه الطفولة من تجارب الحاضر، ولا يكون الأديب اديباً دون ان يمتلك هذا الخصب الذي تغنيه التجربة العميقة الجديّة المثابرة لفهم العالم ثم لإفهامه الاطفال .

٢ . لقاء التجربتين:

"ماذا يحدث بالضبط عندما تلتقي التجربة الحاضرة بآثار التجربة الماضية ؟"(٢) من تجربة الحاضر التي تجري للآخرين وتحرّك الشاعر يحدث الاتصال مع تجربة الماضي التي جرت على الانا وتستدعي لتتّحد بالتجربة الجديدة وتعطي إحساساً جديداً .

---

(١) المرجع السابق: ٢٣٧ عن

Spender, S.; World Within World, London: Hamish Hamilton, 1951, p.58.

(٢) المرجع السابق: ٢٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا التفسير لعمليّة الإبداع أوديناميّته يمكن أن يصدُق على عملية الإبداع للأطفال. فالإبداع كل واحد لا يتجزّأ في عالم الفن. وإن هذا اللقاء بين تجارب الطفولة الخاصة بالأديب، وبين تجارب عالمه الحاضر وانخراطه باهتمامات الطفولة وما يستشعره -بصورة أو بأخرى- من رغبة جامحة للكتابة للأطفال سواء كان على نحو ما حدث للشاعر سليمان العيسى، أو ما يحدث لنا جميعاً. إن هذا اللقاء بين التجربتين يعني أدباً يتسم بالأصالة بمقدار الوعي على التجربتين وعي الفنّان على ما لايراه الآخرون، ووعي النفس على ما يثير فيها الالم واللذة والفرح والتوق والخوف...

وجهة النظر الاجتماعية:

تطرح هذه النظرية مفهوم الالتزام كشرط لازم للفنان أو المبدع، أي أن يكون له دور إيجابي في مجتمعه. فالفنان ملتزم وينبغي ان يكون كذلك و"هو الذي يتّخذ موقفاً في النزاعات السياسية والاجتماعية معبّراً عن أيدولوجية طبقة ما، أو حزب، أو نزعة"(٢) ولا بد أن ينعكس هذا الموقف في فن الفنان أو أدب الأديب وهو ما أقرّته الموسوعة العالمية من جهة، وعبّر عنه الفيلسوف الوجودي جان بول سارتر الذي يحتلّ الالتزام في منهجه مكانة قصوى"الكلمات..مسدسات عامرة بقذائفها، فإذا تكلم الكاتب، فإنما يصوّب قذائفه..في مكنته الصمت، ولكنه إذا اختار أن يصوّب، فيجب أن يكون له تصويب رجل يرمي إلى اهداف، لا تصويب طفل يغمض عينيه

---

(١) المرجع السابق.

(٢) أحمد أبو حاقّة، الالتزام في الشّعر العربيّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٩: ١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويطلق الرصاص على سبيل المصادفة من غير أن يكون له غرض سوى السرور بسماع الدوي" "(١).

إن الفنان الملتزم إنسان منغمس فيما يجري، وإنغماسه ليس مجرّد تأييد نظري" للفكرة، وإنما هو سعي إلى تحقيقها"(٢). وامثلة هذا الفنان في تراثنا كثير يبدأ من التزام الشاعر الجاهلي بهموم قومه وقوانينهم القبلية، وحتى قوانينهم في عمود الشعر (عمرو بن كلثوم، زهير بن ابي سلمى، طرفة بن العبد)، ثم التزام الشاعر المسلم بالعقيدة الإسلامية ومذهبه السياسي (عبيد الله بن قيس الرقيات، الكميت، قطري بن الفجارة ...) ثم التزام الشاعر بمذهبه الفكري أو الفلسفي (شعراء المتصوفة).. إلى ان جاء العصر الحديث فاحضر لنا، وبزغت فيه مجموعة من العقائد والمذاهب والاتجاهات الفكرية من الاتجاه الاسلامي (بفروعه المتناحرة والمتصالحة) إلى الاتجاه القومي العربي، الى الاتجاه الاقليمي المغلق، إلى الاتجاه الاصلاحي، الى الاتجاه العقلاني، الى الاتجاه العلماني، إلى التيار الاشتراكي، إلى الالتزام الوطني(٣)، إلى دعوات تحرير الشعوب الى الفكر الوجودي، إلى البراجماتي النفعي.

---

(١) المرجع نفسه :١٥، عن :

Sartre, S.P.; Qu'est-ce que la littrature, e'd. Gallimard-n rf, Paris, 1948. p.31

(٢) المرجع السابق عن: الموسوعة العالمية ٦:٢٤٤.

(٣) انظر نماذج على هذه الاتجاهات والتيارات من شعر الشعراء العرب في: المرجع السابق:١٦٢-٢٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واديب الاطفال العرب يعيش في منطقة تغلي بالاحداث والتقلبات والقلاقل والمشكلات والجراح الخطيرة والحروب الاهلية والخارجية وظروف الاحتلال، والمجاعات، والظروف الاقتصادية المتدهورة (١)... فهل يستطيع ان يقف من كل ذلك متفرجا؟ او تمر به الاحداث دون ان تعكر صفاءه وتوتر نفسه وتاخذه إلى قلب الالتزام اخذا؟ هل يستطيع أن يظل غنائيا، سعيدا، يخلق ويرسم أجواء وشخصيات ترتسم على وجوهها ابتسامات مرحة، وترتدي ملابس مهفهفة، وتتحدث عن اميرات منعمات، ومغامرين يبحثون عن المال؟ هل يستطيع اديب الاطفال العرب ان يظل طافيا على سطح اي شيء، متعاملا مع الاطفال على انهم مخلوقات ساذجة وبسيطة ومغفلة ولا يعنيهم ما يجري؟؟ وإن لم يلتزم بشيء على الإطلاق-وهذا صعب- فالليبرالية ليست هذا... افلا يلتزم بالطفولة من حيث هي مستقبل الامة واسس انطلاقها ومادة التغيير واداته؟ او من حيث ان الاطفال مخلوقات بشرية :تحس وتبصر وتسمع وتفكر وتميز وتستنتج وتدرك سمين الادب من غثه؟؟

غير ان صيغة الالتزام التي نطرحها لاديب الاطفال ليست هي ان يختار مذهبا اجتماعيا او فكريا ويخلص له، وينشيء اطفالنا على مبادىء هذا المذهب بما تعده من نصوص ما يهتم بتوفيره من رسوم ووسائل سمعية بصرية تحتوي هذه النصوص وتمثلها. إن الالتزام الذي نعنيه ونستشعر اهميته لادب الاطفال هو ذلك الذي ينطوي على ما يلي :

---

(١) اي ظروف دول العالم الثالث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١) موقف من الدوائر الثلاث :

١. الدائرة الانسانية :

وهي التي تستوعب محبّة الانسانية عموماً دون فوارق الاجناس والاديان والحضارات والثقافات من جهة ، والالتزام بالقيم الانسانية العامة واحترام خصوصيات الشعوب والثقافات، والالتزام بالقضايا الانسانية العامة مثل مسائل التسلح وحرب النجوم والتلوّث النووي والانفجار السكاني ومستقبل البشرية ، وقضايا التحرر الوطني، والتفاهم الدولي، ومسائل السلام ومناهضة الحروب واستغلال الشعوب والعدوان على موروثها الطبيعي والحضاري... وغير ذلك. اي ان يصدر عن اديب الأطفال ادب انساني لا يتقوقع في محليّته وهمومه الضيّقة ولكنه في الوقت نفسه لا يتّسم بالتغريب والشطط في إغفال الخصوصية القومية والذاتية الثقافية .

ب. الدائرة القومية :

وهذه تتطلّب الالتزام بقضايا الأمة العربية وبمسألة الوحدة العربية ، وبتنمية المجتمع العربي، والنهضة الشاملة للامة ومشروعها الحضاري.(١) اي ان الأمر يتطلّب التزاماً تنموياً وحدوياً قومياً مستقبلياً (اي يضع حسابات المستقبل في ضوء

---

(١) انظر : عدة مؤلفين، ملامح المشروع الحضاري العربي المعاصر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإمكانات الراهنة والفرص الممكنة والمتاحة)(١) تحرريا ضد الاستغلال، وضد الاحتلال، وضد التخلف، بجميع مظاهره، وسلميا ضد الحروب التي تشن على الأمة العربية (٢).

---

(١) تعتبر دراسات المستقبل من اهم الدراسات الحديثة التي تعنى بها الدول المتقدمة. وبدأت دول العالم الثالث تعنى بها لانها تدق ناقوس الخطر، ولانها تعطي صورة واقعية للواقع. فما من مشروع لا يدرس احتمالات المستقبل يمكن ان ينجح، وهذا ينطبق على اي نشاط انساني يراد له البقاء والاستمرار والموضوعية والترقي. ومن هذه الدراسات انظر: ابراهيم سعد الدين وآخرون صور المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية (بالتعاون مع جامعة الامم المتحدة)، بيروت، ١٩٨٢، وانظر ايضا: عدة مؤلفين، العقد العربي القادم. المستقبلات البديلة، (المحرر هشام الشرابي)، مركز دراسات الوحدة العربية (بالتعاون مع مركز البدراسات العربية المعاصرة، جامعة جورجتاون) بيروت، ط١، ١٩٨٦، انظر بصورة خاصة القسم الرابع المتعلق بالتغيير الثقافي والإبداع والأصالة، والقسم الخاص بالتحولات الاجتماعية.

(٢) للتوسع في هذا المجال، انظر ايضا: علي الدين هلال، تحديات الأمن القومي العربي في العقد القادم، (سلسلة الحوارات العربية)، منتدى الفكر العربي، عمان، ١٩٨٦، وانظر ايضا: سعد الدين ابراهيم، اساليب تنمية الوعي القومي العربي لدى الطفل العربي، من الكتاب السنوي الثالث للجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية "الاطفال وحروب شتى في العالم العربي"، الكويت، ١٩٨٦: ٢٤٧-٢٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ. الدائرة الوطنيّة (أو الإقليمية المحليّة)

وهي الدائرة القريبة المحيطة بالطفل الذي يكتب الكاتب له. وهي دائرة مهمّة للطفل لأن منها يتمّ الانطلاق التدريجي في عرض المكان والبيئة بمعنييها المادي والاجتماعي/الثقافي. ومنها يتمّ الوصول الى الدائرة الثانية فالأولى في السياق الذي نحن بصدده. والاقتصار على هذه الدائرة في اهتمامات الكاتب يعني ضيق افق ومغالاة في الاقليمية، وانحصاراً ومحدوديّة. وهذا لا يعني انّ معالجة المحلّي دائماً تحمل محدوديّتها. فذلك يعتمد على تلك البراعة الفائقة التي يمكن ان يتناول بها الكاتب قضايا المحليّ بروح انسانية. حيث يصف خصوصية المحلّي دون ان يفقد صلته بالانساني. وهي تماماً الخصائص التي يعلمها دارسو في الأدب الروائي العربي نجيب محفوظ الذي أنفق مرحلة مهمّة من حياته واعماله منصرفاً الى الحارة المصرية ودون ان ينغلق على ذاته المصرية.

كما انّ الالتزام بهذه الدائرة يتطلّب الالتزام بمبادىء الديمقراطية والحريات العامة تلك التي يعلم جيداً انها مبادىء لا تجد لها على ارض الواقع في الحياة العربية وجوداً يذكر، وتلك المبادىء التي من دونها لا يكون للإنسان العربي كرامة تذكر.

٢) موقف من الانسان العربي:

وهذا يتطلّب البحث في هموم الإنسان العربي التي لا تنفصل عن هموم مجتمعه السياسية والاقتصادية والثقافيّة (بكلّ ما تتضمنه هذه الاخيرة من مكوّنات مجتمعيّة وروحيّة وتربويّة وقيميّة..)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والطبيعية (وما تحمله هذه الهموم من فيضانات وجفاف وجراد وزلازل وتصحّر..)(١). هموم الإنسان العربي في غياب الديمقراطية (٢)، والحريات والعامّة، والشرذمة السياسية، وما ينعكس ذلك على حياته من تقهقر وتخلّف واستسلام وانشغال بقيم طارئة على المجتمع العربي في شيوعها هي قيم الاستهلاك وروح الفردية وقيم الانتهازية والمظهرية....

هذا من جهة ...

ومن جهة اخرى لابد للكاتب ان يبلور موقفاً من "الرجل" كمفهوم يحمل دلالاته الثقافية النابعة من الثقافة الذكرية عبر العصور، وما حدّد للرجل من ادوار وما أعطي من سلطة وسلطان، وما مُنح من ادوات القهر، والتصريف، واتخاذ القرار.. لا بدّ ان يكون هذا

---

(١) للتوسع انظر : عدة مؤلفين، الأمن الغذائي العربي، (سلسلة الحوارات العربية)، منتدى الفكر العربي، عمان،١٩٨٦. وانظر ايضاً :المجاعة :هل هي كارثة من صنع الإنسان، تقرير للجنة المستقلة المعنية بالقضايا الإنسانية الدولية، مركز الاهرام للترجمة والنشر، القاهرة،١٩٨٦:وانظرا ايضاً :

The State of The Worlds' Children, 1987, UNICIF Oxford University, Press.

(٢) للتوسع في هذا المجال انظر : حسين جميل،حقوق الإنسان العربي في الوطن العربي،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،١٩٨٦، وانظر ايضاً : سعد الدين ابراهيم،تجسير الفجوة بين صانعي القرارات والمفكرين العرب: ٢٦-٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموقف تقدّمياً حتى يخلّص الرجل من إرثه البغيض في التسلط ومن سماته البطركية (١)، ليعيد إليه انسانيته، وإمكان قيام حوار حرّ ديمقراطي بينه وبين الآخرين داخل أسرته وخارجها. ذلك أن المجتمع العربي مجتمع سلطة فوقية حيث صاحبها من يملك ويستفيد. وعلى باقي الناس أن يتقبلوا ويرضخوا ويمتثلوا. والكبير في هذا المجتمع هو المتسلط والحاكم والمسيطر. وقراراته تتّخذ من فوق، وبمعزل عن الأكثرية. وليست صورة الأب في العائلة إلا صورة مصغّرة مما هو في المجتمع ولذلك ليس مستغرباً "أن ينمو الفرد الذكر في مجتمعنا قضيبيّاً ينزع في شخصيته إلى حب البروز والسيطرة، ويحتقر المرأة، ويميل إلى إذلال من هم أضعف منه ويكون صورته على صورة أبيه وأرتكاساً لها" (٢) ومن خصائص هذه

---

(١) السمات البطركية هي السمات الأبوية التي يكون فيها الأبُ سيد الأسرة وحاكمها، ويمتد هذا المفهوم ليصبح الرجل هو سيد المجتمع وحاكمه. وفي ظلال المجتمع البطركي يتقهقر دور المرأة وصورتها على حساب إنسانيتها. (انظر ايضاً : هشام الشرابي، الطفل العربي ومعضلات المجتمع البطركي، في كتاب يحمل العنوان نفسه صادر عن الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية (الكتاب السنوي)، الكويت، ١٩٨٥: ١٧-٤١. وانظر ايضاً : هشام الشرابي، مقدّمات لدراسة المجتمع العربي، الأهلية للنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٨١؛ وانظر ايضاً : هشام الشرابي، النظام الابوي والتبعيّة ومستقبل المجتمع العربي (من كتاب : العقد العربي القادم : المستقبلات البديلة : ٢٥٩-٢٦٧.

(٢) المرجع نفسه : ٢٣-٢٤، ولا يخفى أن هذا التحليل يتضمن مرجعيّة فرويدية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشخصية (القضيبية) أنها عدوانية وشرسة بنسب مختلفة معتزة بأنثاها، ولديها شعور أنها شيء خطير "ويجد صاحبها لذته في الحياة في إبراز الأنا"(١).

وقد لا يجدي كثيراً التوسع ها هنا في هذه المسألة الشائكة التي تظل خلافيّة. لكننا ونحن نحاول تلمّس مفاصل الضعف في المجتمع العربي لا نستطيع أن نتجاهل قيمة العدل المهدورة في علاقة الرجل بالمرأة، وصورة كل المرأة والرجل، وهي قيمة لانتموّ إمكان تحقيقها دون الهرب جيداً في بنية المجتمع العربي تاريخياً وشرائحياً، وتلك مسألة لا تتحقق -في تصورنا- دون البحث في البطركية تاريخياً وبنيوياً.

ومن جهة ثالثة، لا يمكن أن يتم البحث في صورة الرجل ومفهومه دون الانتقال بصورة تلقائية إلى المرأة مفهوماً وصورةً ودوراً.. والوقوف عند مفهومي الرجولة والأنوثة ومحمولاتهما الثقافية (٢)، وتحليل هذين اللفظين من هذه المحمولات التي تعيق ترقّي الانسان العربي ومن ثمّ مجتمعه.

---

١) المرجع نفسه: ٢٤.

٢) تحمل الرجولة في المجتمع العربي ومعظم المجتمعات المتخلفة مدلولات إيجابية تتلخص في القوّة والشهامة والشجاعة والفحولة الجنسية والمروءة والنجدة وتحمل المسؤولية والقيام بالواجب والذكاء.. بينما تحمل الأنوثة في هذه المجتمعات مدلولات سلبية تتلخص في: الرقة المتناهية، والجاذبية الجنسية التي تعتمد على التلوّي وإظهار الضعف الأنثوي وإبراز المفاتن بطريقة مدروسة..الخ، والنعومة، والطاعة، وخفض الصوت، والانتظار، والصبر (الذليل)، والقعود في البيت، والخداع والغيرة، والإعاقة الفكرية، والاهتمامات التافهة. (انظر: زليخة أبو =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وليس ذلك فحسب. بل البحث في المسالة الجنسوية (١) يبدو ضرورة حتمية لكاتب الاطفال، حتى لو لم يكن راغبا في طرق موضوعاتها او الخوض في تفصيلاتها فيما يكتب للأطفال. ذلك انه ليس بقادر-وما ينبغي له- أن يتجنب رسم صورة للمرأة (طفلة كانت أم راشدة) في عمومه. ورسم هذه الصورة يتطلب مقدارا عاليا من الوعي على مفاهيم العدالة والحرية والتقدم. فإذا كان يغرف من مفاهيم وقيم مختلفة (٢) بهتت المرأة صورة وفعلا وحضورا وعلاقة ودورا.

ريشة، الجنسوية وادب الاطفال، بحث مقدم الى ندوة ادب الأطفال في الأردن، الرابطة الوطنية لتربية وثقافة الاطفال، الاردن، ١٩٨٨) وانظر ايضا: اندريه ميشيل، لا للنماذج في ادوار المرأة والرجل إزالة الجنسوية من أدب الأطفال والكتب المدرسية، اليونسكو، (طبع في بيروت)١٩٨٦، ٤٥،وما بعدها. وانظر ايضا قائمة بالادوار النمطية والصفات الشخصية لكل من الذكر والانثى كما ينشئان عليها.

Mery, William Dusek,Jerome; Child Psychology: A Developmental Perspective, D.C. Heath. And Company, 1979, p. 350.

(١) Sexism اعتمدنا هذه الصيغة (فعلوية) تمييزا لها عن مصطلح (جنسية) الذي يعني: ما يتصل بالنشاط الجنسي، او التابعية، او الاجناس البشرية، او جنس الذكر والانثى. والجنسوية هي: مجمل الممارسات والوان التعبير والتفكير التي تميّز بين الناس على اساس الجنس، وتنحاز للذكر بسبب ذكورته، وتحقر المرأة وتقلل من شانها، وتصنف أدوار الرجال والنساء تبعا لجنسهم (أنظر اندريه ميشيل:١٥).

(٢) التخلف في هذا السياق ليس حكما اخلاقيا ولا حكما انفعاليا، انه حكم انثروبولوجي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد أولى النقد العربي مسألة المرأة وصورتها في أدب الكبار من الشعر والرواية والقصة وغيرها من الأجناس الأدبية اهتماما ضخما (١)، وهي صورة تتراوح بين التخلف الشديد والصورة التقدمية للمرأة، كما تحاول أن ترسمها مثلا نوال السعداوي في رواياتها .. ويقول بعض الدارسين في دراسة نقدية له : "علينا أن نفاجأ بما قد نجده في قصصنا من تصوير لحالة التخلف المريرة التي تحياها المرأة. على أننا يجب أن نعي كذلك أن الأدب ليس مجرد انعكاس مرآوي لإعطاء صورة طبق الأصل.. فإذا كانت القصة القصيرة تعطينا صورة تشبيهية لواقع المرأة القائم، فهذا ليس تخلفا في الحال المجتمعية فقط. بقدر ما هو عجز لدى مبدعينا في فهمهم لدور الأب ووظيفته، وكونه عكسا خلاقا، وليس عكسا فوتوغرافيا للواقع القائم" (٢). وتأكيدا للصورة الشديدة التخلف التي تبدو فيها المرأة بادئنا. ويرى هذا الدارس أن

---

(١) من أمثلة هذه الدراسات : دراسة عبد الله رضوان "المرأة في القصة المحلية" في كتابه : عبد الله رضوان، النموذج وقضايا أخرى :دراسة في القصة القصيرة الأردنية (١٩٧٠-١٩٨٠)، منشورات رابطة الكتاب الاردنيين، عمان، ١٩٨٣: ١١٩-١٥٧، وانظر ايضا : جورج طرابشي، انثى ضد الانوثة (دراسة في أدب نوال سعداوي على ضوء التحليل النفسي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٨٤، وانظر ايضا : مركز دراسات الوحدة العربية، المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٢: ٣٤٩-٤٠٦ وعناوين البحوث التي تعنينا : صورة المرأة العربية في الانتاج الثقافي العربي للطيفة الزيات، وصورة المرأة في الإعلام العربي، لعواطف عبد الرحمن.

(٢) عبد الله رضوان النموذج وقضايا أخرى: ١٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثمة "نظرة سلفية /رجعية تتعامل مع المرأة بمنظار دوني من حيث كينونتها الكاملة للرجل، وكونها ناقصة عقل ودين- والمرأة من ضلع أعوج! اذا حاولت إصلاحه كسرته وهي حواء التي اخرجت آدم من الجنة "(١) . ان عشر سنوات (٢) انتجت فيها المطابع ما انتجت من قصص قصيرة في الأردن لم يظهر للمرأة في هذه القصص وجود مستقل إلا في ثلاث قصص لكتاب ذكور هي "السراب" لأمين فارس ملحس، و"الصفقة" لالياس فركوح، و"لعبة ابنتي" ليوسف الغزو، وقصة واحدة لكاتبة انثى هي "التحديق في ملامح الغربة" لتيريز حداد (٣).

ومثلما الأمر على هذا النحو في ادب الكبار، فإنه على نحو أشد سوءا في ادب الأطفال. ففي دراسة للباحثة الالمانية أورزولا شوي(٤) تقول معتمدة على دراستين فرنسيتين(٥) :" لقد جرى تذكير

---

١) المرجع نفسه :١٢٣

٢) ١٩٧٠ - ١٩٨٠.

٣) المرجع السابق :١٤٤-١٤٧. وربما كانت أول مجموعة قصصية اردنية كانت كل شخصياتها المحورية الرئيسة . من النساء مجموعة متخصصة في رسم عدد من الصور للمرأة وعلاقاتها بالرجل، مجموعة تقترح عددا من الصيغ والاشكال لوجود المرأة في الواقع العربي "في الزنزانة" لزليخة ابو ريشة (عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦).

٤) أورزولا شوي، أصل الفروق بين الجنسين، (ترجمة بو علي ياسين)، دار التنوير، بيروت، ط١، ١٩٨٢: ١٠٦.

(٥) هما دراسة :شومبار دولوف (Chombart de Lauwe) " الطفل وصورته "، وميشيل دوويلد (M.de Wilde) "القوالب الانثوية "

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاطفال في فرنسا منذ عام ١٩٣٠. فإذا كانت نسبة الانثوي/الذكري في القرن التاسع عشر ٥٠ الى ٥٠، فإن الاشخاص الانثويين لا وجود لهم اليوم تقريبا". فالكتب الموجهة الى الصبيان تصوّر الصبيان كبارا". والكتب الموجهة الى البنات والصبيان، يهيمن فيها الصبيان"(١)، والظاهرة نفسها صحيحة بالنسبة لمجلات الاطفال.

ان ادب الاطفال بسبب غياب الوعي التقدّمي عن كتّابه -بصورة عامّة- يتحوّل -بوعي ودون وعي- إلى مؤسسة اجتماعية لتقوية المواقف الجنسوية وتحيزاتها، مؤسسة تعيد إنتاج الصورة المتخلفة للمرأة والدور التقليدي الذي رسمته اجيال طويلة عبر قرون وتخلّف الطويلة، متجاهلة التغير الاجتماعي الحاصل، والواقع الذي دخلت فيه المرأة (او بدأت تخرج) على قوقعتها التاريخية وإرثها المؤلم. ففي تقرير إلى منظمة اليونسكو عام ١٩٨١ من أدب الأطفال في الصين تعترف وزارة الثقافة في الصين "بأنه ما زال هناك بعض الاثار للنماذج الجنسوية. بالرغم من إظهار النساء والفتيات الصينيّات أنهن قادرات على تبوّؤ مختلف المراكز التي كانت في الماضي مقتصرة على الرجال، فإن مركز المرأة الصينية في العائلة ليس محرّرا" كليا" من التمييز الجنسوي"(٢)، كما يشير التقرير الى مظاهر اخرى من التمييز.

وحتى في جمهورية اوكرانيا الاشتراكية، وفي النرويج، وفي فرنسا، والبيروزامبيا- كما اظهرت دراسات اعدّت خصيصا" لليونسكو عن ادب الاطفال فيها، يظهر التمييز الجنسوي ضد المرأة في هذا الادب(٣).

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) اندريه ميشيل:١٩.

(٣) اندريه ميشيل :١٩-٢١.

All Rights Reserved Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإذا كانت الجنسوية ما تزال تجد لها وجوداً في أدب الأطفال في ل يعلو فيها صوت المرأة ودعوات التحرر - وتمارس فيها المرأة سوانا من الحرية ما أتيحت للمرأة العربية فكيف بأدب الأطفال عرب الذي تصدره مؤسسات غارقة في التقليدي ، سواء أكانت مؤسسات ربية متخلفة (كالاتجاهات الفكرية السلطية التي تدعي الحرص على مرأة بحجبها وحصرها وحبسها في جدران البيت)، أو مؤسسات جتماعية محافظة (كبعض دور النشر، والوزارات، والهيئات رسمية، وسواها...)؟

ومن أجل ذلك، من أجل مقاومة الجنسوية في الحياة العامة، وفي أدب الأطفال ظهر في الغرب اهتمام جديد لدى حركات تحرير مرأة (١) في تأليف أدب للأطفال خال من مواقف جنسوية، ومن ماذج ذلك "العرابة الجنية في وسط البلد" (٢) وكتاب "قصص لأطفال حرار" (٣)، وكتاب "احرار ان نكون :انت وانا" (٤). كما أن مجلة

---

١) Women Leb.

٢) Pomerantz, Charlote,'Down town Fairy Godmother, A Bantam -Skylark Book, U.S.

٣) Pogrebin, Letty Cottin (Editor); Stories For Free Children, McGraw-Hill .

والمقصود باحرار اي أطفال احرار ان يكونوا ما يشاؤون دون أن تقيدهم نظرة قبلية ويؤطرهم نمط معين للذكور وآخر للاناث (انظر ص ٨).

٤) Kvonnegut, Kurt; Free to be:you and me, A Ms. Foundation Project.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"Ms." (١) المعنية بقضايا تحرّر المرأة تنشر عدداً من قصص اطفال المستقبل" (٢) منذ تأسيسها عام ١٩٨٢. وهذه القصص والاشعار تحاول أن ترسم صورة جديدة للمرأة والرجل فعالة وغير نمطية، تقدم التبريرات والبراهين التي يسوقها المجتمع ليدلل على اختلاف المرأة فطرياً وسيكولوجياً وعقلياً وثقافياً. وليس أجمل من تلك القصة "صبي يلتقي ببنت" (٣)، حيث تسخر القصة -وتعلم في الوقت نفسه- ان الانوثة انما هي الخصائص الفيزيولوجية والبيولوجية الخاصة بالانثى، والذكورة هي تلك الفروق فحسب، دون الشطط الذي تنكب إليه اتجاهات أصولية ومحافظة في البحث في نفس المرأة وعقلها لتثبيت انها كائن مختلف تمام الاختلاف عن الرجل، وانها لا تصلح لشيء مما يصلح له من أعمال وأدوار ومهمات ومسؤوليات(٤).

---

(١) مز: كلمة جديدة بالانجليزية اخترعتها حركة تحرير المرأة لتتحاشى وصف المرأة بوضعها الاجتماعي. انظر المرجع نفسه: ٢٤ وما بعدها.

(٢) Stories for Free Childern, p.7.

(٣) A Baby meets a girl. (انظر المرجع نفسه: ٢٤، وما بعدها)

(٤) انظر على سبيل المثال: محمد عثمان الخشت، وليس الذكر كالانثى، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٩٨٤، حيث يرى الكاتب أن من خصائص المرأة: حبها للخضوع والاستسلام، وعاطفيتها، والتماسها لعون الرجل، بينما من سمات الرجل: والتفكير المنطقي المنظم في حل المشاكل، التفكير الإبداعي، والإبتكار، والقدرة على التركيز العقلي ومواصلته تجاه هدف معين (ص٦١، ٦٣، ٦٤، ٧٣، ٧٥).

=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والموقف في أدب الأطفال العرب ليس بعيداً عن ألوان التحيز التي عرفتها الشعوب الأخرى، فمعظم مجلات الأطفال في الوطن العربي تحمل أسماء ذكور: العربي الصغير، أسامة، سمير، سندباد، سامر، شابتن سمير، بطوط، سوبرمان، الوطواط، نافع، فارس، ماجد، تان تان .. الخ. والأسوأ من أسماء المجلات المضمون الذي جعل إحدى

= وانظر أيضاً : أبو الفرج ابن الجوزي، أحكام النساء، مكتبة التراث الاسلامي القاهرة، د.ت. حيث يورد حديثاً ينسبه الى الرسول صلى الله عليه وسلم في مسألة "الأمر بتزويج البنت اذا بلغت" مفاده :"ما من شيء خير لامرأة من زوج أو قبر" (ص٧٦) ومسائل أخرى مشابهة مثل سجود المرأة لزوجها (ص٧٨) وحق الرجل على المرأة (٧٧، ٧٩) وحديث عائشة :" يا معشر النساء، لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بحر وجهها" (ص ٨٠) وقوله : "وينبغي للمرأة أن تعرف انها كالمملوك للزوج فلا تتصرف في نفسها ولا في ماله إلا بإذنه، وتقدم حقه على حق نفسها وحقوق أقاربها. وتكون مستعدة لتمتعه بها ... وينبغي للمرأة أن تصبر على اذى الزوج كما يصبر المملوك" (ص٨٠) ... وغير ذلك كثير. انظر أيضاً عبد المتعال محمد الجبري، المرأة في التصور الإسلامي، مكتبة وهبة (د.ط.د.ت) وانظر أيضاً : محمد متولي شعراوي، المرأة المسلمة والطريق إلى الله، مكتبة القرآن، القاهرة، والكاتب يزي-مفسراً القرآن الكريم- أن المرأة خلقت لتكون سكناً للرجل، ثم لتكون وعاءً للتكاثر" (ص١٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباحثات اللبنانيات تجري دراسة على الكتب المدرسية متتبعة صورة المرأة فيها لتجد أن المرأة معظم الوقت تخيط وتطبخ، والرجل معظم الوقت يقرأ فكتبت بحثها: "هو يقرأ وهي تخيط".

إن كثيراً من الأفكار والاتجاهات والقيم التي تحتقر المرأة إنّما امرأة -بصورة أو بأخرى- لا بدّ أن تتسرّب إلى أدب الأطفال ما دام الوعي على معاني الجنسوية ومظاهرها ليس عميماً... هذا الوعي الذي نحاول تبريره في هذه الدراسة وسواها (١). والذي نحاول أن يجد طريقه الى ادباء الأطفال وهم يعالجون ويهتمون ويتخذون موقفاً من قضايا الانسان من أجل أن يظهر ذلك فيما يكتبون للأطفال.

ولا بدّ لأديب الأطفال من أن يبلور أيضاً موقفاً من الطفل.. هل هو رجل صغير او امرأة صغيرة؟ أم هو عجينة يراد له أن يكتسبها كيف يشاء؟ أم هو مخلوق مفضّل ساذج يمكن (الضحك عليه)؟.. أم هو طفل (كائن بشري) له خصائصه وميوله؟.

كما لا بدّ أن يتكوّن لدى اديب الأطفال وعي خاص يتّصل بالأطفال المعوّقين وبطيئي التفكير والتعلّم، والأطفال الملوّنين، والفقراء المعوزين والمحرومين، واطفال الشوارع (٢) وأطفال الحروب (٣)، واطفال المجاعات، واطفال الريف والبادية والمدن،

---

(١) انظر دراستنا: الجنسوية وأدب الأطفال، وكذلك مقالاتنا الاسبوعية في جريدة الرأي الأردنية أيام الخميس في السنوات ١٩٨٥-١٩٨٨ لحين إجراء هذه الدراسة.

(٢) انظر: الأمير حسن بن طلال (تقديم)، أطفال الشوارع مأساة حضرية متنامية، منتدى الفكر العربي، عمان، ١٩٨٧.

(٣) انظر: عدة مؤلفين، الأطفال والحرب في لبنان المحنة والمعاناة، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دون افتعال عواطف صاخبة حول واقع هؤلاء الأطفال. بل حول مشكلاتهم ليتقبّلوا أنفسهم أولاً، وليتقبلهم مجتمع الرفاق ثانياً. ولا يكون ذلك بالخطابة والوعظ، ولكن بوعي فني كقصة "السمكة الصغيرة السوداء" التي كانت تعيش وسط عالم من السمك الأبيض. وكانت تشعر أنها مفردة ووحيدة، ولكن عندما داهم السمكُ الكبير اخواتها الصغيرات وتنبهت للخطر المحدق اقترحت على السمك الأبيض الصغير أن يكوّن بأجسادهم شكل سمكة كبيرة، وأن تكون هي موضع العين السوداء. وهكذا كان. ظل السمك الصغير متحداً متماسكاً كأنه جسد سمكة واحدة، وظلت السمكة الصغيرة السوداء (أي الملونة) في موقع العين (أي التقدير والاحترام). من دون أدنى قدر من الخطابية أو المواعظ المألوفة عن فائدة الاتحاد، واحترام انسانية الملوّنين...

٣) موقف من التراث والمعاصرة:

هل يستطيع أديب الأطفال أن يتنكّر لتراث أمته فيلغيه من اهتمامه على أساس أنّه مضى وانتهى، ويظلّ أميناً على تثقيف أطفال هذه الأمة؟ أم أن عليه أن يقبض على هذا التراث ويتجمد عنده ويتعبّد في محرابه ولا يرى سواه؟؟ وما معنى المعاصرة التي ينبغي أن يتخذ منها موقفاً؟ وكيف يجمع بين هذا القديم الذي اسمه "التراث" و" المعاصرة" التي هي هذا الحديث؟؟

= بالتعاون مع الجامعة الاميركية في بيروت، وبرنامج الخليج العربي لدعم منظمات الامم المتحدة الانمائية) منشورات الجامعة الاميركية، بيروت، ١٩٨٦، وانظر ايضاً: الأطفال وحروب شتى في العالم العربي. الجمعية الكويتية لتقدّم الطفولة العربية، الكتاب السنوي الثالث (١٩٨٦/٨٥)، الكويت، ١٩٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن لمَ ينبغي ان يكون لدى اديب الاطفال موقف من التراث ومن المعاصرة ؟

يشكل التراث-الذي هو كل موروث مادي ومعنوي ثقافي عن الآباء والاجداد -ركناً اساسياً فيما يسمى ب"الهوية الثقافية "او "الذاتية الثقافية " لاي شعب من الشعوب. ولما كانت الهوية الثقافية عنوان الخصوصية ، ومجالاً من مجالات الإبداع الكوني والإضافة الانسانية من التجارب والسمات وألوان التفاعل الثقافي ولما كانت" المجال الذي تعاش فيه الثقافة (١) كحقيقة ذاتية ، وتعي فيها الجماعة نفسها بوصفها ذاتا (٢). "ولما كانت" دعامة العبقرية المبدعة لثقافتها "(٣) -كما يقول احمد مختار امبو- ولما كانت" العامل الاساسي الديناميي الذي يواصل أي مجتمع عن طريقه العملية المستمرة لإبداعه الذاتي مستنداً في ذلك الى ماضيه ، ومعتمداً على إمكاناته الخاصة ، ومتقبلاً بنفسه من إسهامات خارجية "(٤).. لما

---

(١) للثقافة تعريفات تفوق المائة ، ولا يهمنا ان نلم بهذه التعريفات او بعضها ، ويكفي ان نقول انها" التراث المشترك لمجتمع معين ونمطه الخاص في الحياة . ويتضمن هذا التعريف القيم الدينية والاخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والجمالية والمنطقية لمجتمع معين ، وطرق ذلك المجتمع في التعبير عنها" (عبد الملك الناشف، الذاتية الثقافية للطلاب الفلسطينيين وانعكاساتها على تربيتهم (E/28)، معهد التربية ، الاونروا/ اليونسكو ، عمان، ١٩٨٣: ٢.

(٢) عبد الملك الناشف، الذاتية الثقافيه :٢٥.

(٣) المرجع نفسه ، عن اليونسكو ، التقرير النهائي للمؤتمر العالمي بشان السياسيات الثقافية ، مكسيكو ٢٦/٧-٦/٨/١٩٨٢.

(٤) المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان كل ذلك فإن أديب الاطفال يقف وجهاً لوجه أمام ذاتية أمته. غير قادر على تجاهلها، أو التهرب من إتخاذ موقف منها، او من التعبير عنها. أو من التأكيد عليها." ففي مواجهة القيود او الضغوط الخارجية التي يتعرض لها اي مجتمع تصبح ذاته الثقافية هي الدعامة الاساسية لإخلاصه لنفسه "(١). وهذا لا يعني أن الثقافة التي تحدد لكل مجتمع شخصيته لا تحدد في الوقت نفسه قابليته للانفتاح على المجتمعات الاخرى فإنها وان" كانت هي مستودع أخص الاسرار في تاريخه فانها كذلك الوسيلة التي يتشكف بها ذلك التاريخ للاخرين "(٢).

إن الخطورة المطلقة التي تؤديها الذاتية الثقافية في حياة الافراد والمجتمعات تنبثق عن انها مظهر ثابت من مظاهر الحالة الانسانية "(٣). فهي" النواة الحيّة للشخصية الفردية والجماعية.. وهي العملية الدينامية التي تتيح لمجتمع ما أن يتطور مع الاحتفاظ بتشكيله الخاص وأن يستقبل التغيير دون أن يفقد فيه ذاته، وهي بعبارة أخرى طريقة ثابتة في المحافظة على الاستقلال وعلى الذات"(٤).

وليس من قبيل التعصب أن يحرص أديب الأطفال- في موقفه من التراث- على الذاتية الثقافية لقرائه فيما يكتب، فلكل ثقافة قيمتها الفريدة التي لا بديل عنها. ذلك لأن تراث كل شعب وأشكال

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق:٢٦.

(٤) المرجع السابق: ٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التعبير الخاصة به هي أمضى وسيلة للافصاح عن وجوده في هذا العالم"(١). وقد أعلن المجتمع الدولي "أن من واجبه ان يسهر على الحفاظ على الذاتية الثقافية لكل شعب وعلى الدفاع عنها". كما اعلن انه " ينبغي ان يعترف لكل الثقافات بالمساواة في إطار الكرامة. كما ينبغي ان يعترف لكل شعب ولكل مجتمع ثقافي بحقه في تأكيد ذاتيته الثقافية وفي صونها وفي كفالة الاحترام الواجب لها"(٢)

ومقابل هذا التشديد الدولي على أهمية الذاتية الثقافية لكل شعب من الشعوب ظهر مصطلح جديد هو" الاثنو سايد"(٣) ومعناه " الابادة العرقية الثقافية" وهي" المحاولات التي تبذل لتدمير ثقافة ما من خلال منع مجتمعها من استخدام لغته وفنه وتربيته وآثاره ومؤسساته (الدينيه او الاجتماعية او التربوية) ومنظماته الاجتماعية وغيرها"(٤). وهذا يعني ضرورة ان على الاديب أن يعنيه قضيته الذاتية الثقافية وقضية التراث- باعتباره مكونا اساسيا لها- وان يعي حدود هذه الذاتية وابعادها وآفاقها، وأن يهتم بتحليل الذات باعتباره خطوة اولية واساسية في التعرف إلى معالم الذاتية الثقافية(٥).. وأن عليه أن يدرك أن المجتمع العربي

---

(١) المرجع السابق: ٢٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) ethnocide ويقابل هذا المصطلح" الجنو سايد" genocide أي"الابادة البشرية".

(٤) المرجع السابق:٢٨ عن:Sayigh,yezid;The Quesstion of genocide: Middle East International,No.194, 18 Feb, 1983, p.R

(٥) انظر:المرجع السابق: ٢٩ عن: جاك بيرك، العرب والعلوم الاجتماعية في مائة عام، الفكر العربي في مائة سنه، الجامعة الاميريكية في بيروت، ١٩٦٧:١٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعاصر يشكو اليوم من ضعف في الروح المعنوية (١)، واهتراء في النسيج الخلقي، وحيرة فكرية، وتخل عن قيم رفيعة عرفها المجتمع العربي قديما* ومارسها، واختراق ثقافي (لا تفاعل ثقافي حي وعلى قدم المساواة) ادى إلى إزدواجية ثقافية (٢) وحضارية تتجاور وتتصارع تحت ظلالها انماط من القيم الغربية الإيجابية والسلبية (٣)، وانماط من القيم العربية الاصيلة وتلك المشوهة القادمة من مناطق التخلف التراجع الحضاري والانكفاء على الذات واجترار الماضي وعبادته..

على كاتب الاطفال ان يدرك ايضا* أن صلة الاجيال العربية الجديدة بتراثهم صلة واهية احيانا* وصلة مشوهة معظم الاحيان. فاطفالنا العرب يجهلون تراثهم الا ما تضمنته الكتب المدرسية، وما قدمته اليهم سلاسل من كتب الاطفال تتحدث عن سير بعض الشخصيات التاريخية الدينية (كسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، والصحابة وبعض ابطال العرب والمسلمين) (٤) او سلاسل تلخص للاطفال بعض المعارك

---

(١) انظر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، استراتيجية تطوير التربية العربية، ١٩٧٩: ٢٢٧-٢٢٨.

(٢) هذه الازدواجية هي غير "الاثنية" التي تعرفها المجتمعات التي ينتمي افرادها إلى اصول ثقافية متباينة.

(٣) هذا ليس حكما* اخلاقيا*، ولكنها (القيمة) إيجابية بمقدار ما تكون عاملا* في دفع المجتمع نحو بناء نفسه، ونحو التقدم مثل قيم البحث العلمي، وسلبية بمقدار ما يكون تاثيرها على المجتمع العربي ضارا* كالمظهرية وقيم الاستهلاك.

(٤) من هذه السلاسل مثلا*: مجموعة القصص الدينية، باشراف محمد احمد برانق، دار المعارف بمصر، وقد صدر منها (قابيل وهابيل، سبأ، ذو القرنين، قارون، موسى والخضر، بقرة بني إسرائيل، اصحاب القرية، اهل الكهف، اصحاب الاخدود، اصحاب الفيل، عام =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحوادث، او تبسط لهم بعض النصوص مثل نصوص كليلة ودمنة (١)،وبعض

الفيل، زمزم، مؤمن آل فرعون، طالوت وجالوت، العزيز وحماره، شكر النعمة، الاسراء والمعراج، سدرة المنتهى، بائع الأمراء، جريج العابد) ومنها ايضا: سلسلة قصة وآية، عن دار المعارف بمصر، ومنها: سلسلة الخالدون، عن مكتبة دار الشروق، بيروت (وقد صدر منها: عمر بن الخطاب، سيف الدولة الحمداني، خالد بن الوليد، طارق بن زياد...) ومنها سلسلة "الناجحون" عن دار العلم للملايين، بيروت(وقد صدر منها: المولد، النشأة، الوحي، فجر الدعوة، مشرق الدعوة، نور وضياء، مع القبائل، الهجرة، بدء الجهاد، غزوة بدر، انتصار الاسلام، غزوة احد، غزوة الأحزاب، عهد الحديبية، غزوة خيبر...إنسانية محمد، الوفاة) ومنها سلسلة "مجموعة امهات المؤمنين" عن دار المعارف بمصر(وقد صدر منها: خديجة الطاهرة، خديجة الزوجة، خديجة سيدة النساء، سودة، عائشة الصبية، الحبيبة، المبرأة، العالمة، السياسية، حفصة، زينب بنت جحش، صفية..)ومنها ايضا: قصص عظماء الاسلام " محمد عطية الأبراشي، عن مكتبة مصر.

(١) انظر: راجي عنايت، من وحي كليلة ودمنة، (رسوم بهجت عثمان) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٨(صدر منها: الحمامة الأميرة، الفار الطائر، الغزال الشارد، دمنة الماكرة، الثور المسكين، الأسد المغرور، محاكمة دمنة، القرد الذكي، الثعبان المنقذ، الثعلب العفيف، الجمل والأسد... وغيرها).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قصص بخلاء الجاحظ(١)، وبعض رحلات ابن بطوطة (٢) او تقدم لهم قصص الف ليلة وليلة (٣)، وبعض الحكايات الشعبية من اقطار عربية مختلفة (٤)..

وليس هذا بالتراث. انه جزء يسير لا يكاد يذكر ناهيك عن أن هذه السلاسل وسواها لا تخلو من وجهات نظر دوغماتية وشوفينية واخطاء تاريخية توثيقية. فما الموقف الذي على أديب الأطفال أن يقفه من التراث ليس فقط من أجل أن يقدم التراث للأطفال بل من أجل ان يكون تفاعله هو مع التراث تفاعلاً إيجابياً وحيّاً تظهر آثاره (التفاعل) فيما يكتب، مما هو في خلفية جهازه المعرفي ووجدانه وموقفه الفلسفي...

---

(١) ابو عثمان الجاحظ، البخلاء (تبسيط جمال ابو رية، رسوم فريدة عويس) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤ جزءان

(٢) راجي عنايت، مغامرات ابن بطوطة، (رسوم بهجت عثمان) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩.

(٣) انظر عبد الرحمن طهمازي، رحلات السندباد البحري، (الرسوم: افتخار صادق) كتاب التراث الذهبي، دار ثقافة الأطفال، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٦).

(٤) انظر مثلاً: عبد الفتاح الجمل، حكايات شعبية من مصر، (رسوم إيهاب شاكر) دار الفتى العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٥، وايضاً: سلسلة "أجمل الحكايات الشعبية"، (إعداد يعقوب الشاروني، ورسوم حلمي التوني) عن دار الشروق، بيروت ١٩٨٣، (وقد صدر منها: عصفورة وجرادة، بلح الشاطر حسن، جميل وجميلة، هدايا فيروز، البئر العجيبة، الأمير الجبان).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا مراء أننا نقترح موقفاً نقدياً من التراث ذلك أن التراث ليس " بضاعة تم" إنتاجها دفعة واحده ، وخارج التاريخ، بل هو جزء من التاريخ، هو حركة الفكر وتطلعاته خلال مراحل معينة من التطوّر، وبالتالي فهو لحظات متتابعة يحدث فيها أن يلغى بعضها بعضاً احياناً (١). او يتجاوز بعضها بعضاً أحياناً اخرى، أو يكرر بعضها بعضاً. وهذا يملي بالضرورة الموقف النقدي الذي اقترحناه: "فالتراث ليس قيمة في ذاته الا بقدر ما يُعطي من نظرية علمية في تفسير الواقع والعمل على تطويره ، فهو ليس متحفاً للأفكار نفخر بها وننظر إليها باعجاب ونقف امامها في انبهار وندعو العالم معنا للمشاهد والسياحة الفكرية ، بل هو نظرية للعمل وموجه للسلوك، وذخيرة قوية يمكن أكتشافها واستغلالها واستثمارها من اجل إعادة بناء الانسان ووضعه في العالم "(٢).

وعلى اديب الأطفال أن يدرك ان هذه النظرة النقدية تملي عليه أن يتعامل مع التراث تعاملاً علمياً موضوعياً بعيداً عن الهوى. وذلك يتم على عدة مستويات:

- مستوى الفهم: اي فهم التراث بكل ما كان عليه ، والفهم يستدعي التحليل والدرس.
- مستوى النقد والنظر؛ وهنا يتم التوصل الى ما في التراث من مثالب ومزايا ، ومعرفة ما كان منه عاملاً على تقدم حركة

---

(١) انظر :فرحان صالح،جدلية العلاقة بين الفكر العربي والتراث (رؤية نقدية)، دار الحداثة ، بيروت، ط١، ١٩٨٣) ولا شك أن نظرية "الناسخ والمنسوخ" في الدراسات القرآنية من هذا القبيل.

(٢) حسن حنفي، التراث والتجديد، دار التنوير، ١٩٨١:١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التاريخ أو حركة المجتمع أو حركة الثقافة أو حركة الفكر أو حركة الفن أو حركة الاقتصاد.. الخ ولا يتم ذلك الا بامتلاك وعي فلسفي تقدمي ليبرالي تكاملي يقتنص الحقيقة في مظانها المختلفة من مدارس الفكر الانساني.

مستوى الأخذ والرفض؛ وهنا يتم الاستغناء عن التمسك بالحقائق والأفكار والقيم والقضايا التي شكلت في الماضي أو تشكل في الحاضر عائقاً في سبيل تقدم الفرد والمجتمع، أو تشكل إساءة إلى إنسانية الانسان... ولكن هذا الرفض لا يعني التنكر لجزئيات التراث المرفوضة.. انه يعني احد أمرين:

إما أن الجزئية تخالف أصلاً مبادىء الحق والعدل العامة، فلا مراء فيها، كالعنف الدموي في قمع حركات الفكر، والاستغلال الاقتصادي...وسوى ذلك.

- واما ان هذه الجزئية لم تعد ملائمة لحياة اليوم بسبب تغير حاجات المجتمع وظروفه.

- مستوى التوظيف والاستثمار(١)، اي الابقاء على الصالح من التراث في الحياة المعاصره ليتفاعل ويتطور ويترقى ويضاف اليه. وهذا المستوى يوصف عادة ب"الإحياء" و"الاستيحاء" بحسب السياق(٢). واحياناً باعادة البناء والصياغة، وهنا يأخذ

---

(١) يرى فرحان صالح أن التعامل مع التراث يتم على مستويين: الفهم والتوظيف فقط. ونرى أن هذه نظرة قاصرة كما حاولنا أن نوضح (انظر: فرحان صالح:٩).

(٢) أنظر: محمد عمارة، التراث في ضوء العقل، دار الوحدة، بيروت، ط١، ١٩٨٠:٥، ١٧، وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكلاً فكرياً متقدماً كالذي يمثله درس حسين مروة للتاريخ العربي الإسلامي، وبرهان الدين دلو (١).

ليس هذا الموقف النقدي المقترح ببدع في تاريخنا وتراثنا، فالاسلام نفسه قد جاء ممحصاً تراث الآباء والاجداد، مبقياً على ما رآه صالحاً مما ينسجم مع عقائده ومبادئه، معلناً التنكر على كل ما فعله الآباء والأجداد أو صنعوه مما يعتبره الإسلام إضراراً بالإنسانية وإجحافاً بالانسان.. وبين الابقاء والرفض مسافة برر فيها لم ابقى ولم رفض (أي حلّل وفسّر وعلّل) مستخدماً أساليب الإقناع شتى.

اما المعاصرة فهي بابسط تعريفاتها الحياة (العيش، الوجود) في العصر بشكل حقيقي لا مزيف وذلك يتناقض تناقضاً كلياً مع العيش الكلي في التراث. والمعاصرة لا تعني الرضى عن مشكلات العصر وقبولها والانغماس فيها، بل مواجهتها وحلها. فما من عصر إلا يفرز همومه ومشكلاته، وليس ذلك-وبحسب سنة الحياة - نابعاً عن انحراف البشر-مثلاً - عن المنهج القويم، لانه ما من منهج قويم -في رأينا- غير الذي يهتدي إليه المجتمع بادواته الموضوعية وعقلانيته المطلقة (٢). فمؤسسة العقل -في ترقي الثقافة - وهي التي تعمل

---

(١) انظر: برهان الدين دلو، مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٥، حيث لم يكتب تاريخ الرجل الفرد، بل تاريخ الجماعة.

(٢) لا يناقض هذا الراي الاعتقاد بالدين، إذ أننا نرى أن الإسلام بالذات دين علماني، لا بمعنى فصل الدين عن الدولة، ولكن بمعنى أنه يمتلك من داخله ادوات تطوير ذاته ليناسب كل زمان، ومكان بما دعا إليه من استخدام للعقل، وما حض عليه من طلب للعلم، وما سمح به من قراءات مختلفة للنص الواحد =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منظرة مفترضة مجربة معدلة مقوّمه حتى تمل إلى صيغة تعود لتجري عليها تعديلها ، وهكذا إلى أبد الآبدين(١). وذلك ان ما من حقيقة مطلقة -إلا الله- وما دامت الحقائق والأفكار والمبادئ، والقيم نسبية ، فهذا يعني قصورها عن أن تصلح لكل زمان ومكان، ما لم ينهض المجتمع بتعديلها لتلائم الأوضاع الجديدة والظروف الجديدة وتلبي الحاجات الجديدة ..

وما دام الموقف المقترح من التراث هو الموقف النقدي، فلا تعارض بين التمسك بصالح التراث لصالح المعاصرة ، والمعاصرة أيضاً تحتاج إلى موقف بحثي تمحيصي تحليلي من جهة ، ونقدي من جهة ثانية ، كما اشرنا . وما دامت مؤسسة البحث العلمي الموضوعي مزدهرة فإن اكتمالها بمؤسسة الوجدان والأخلاق التي تعطي للمجتمع المعاصر توازنه بين حقائق المادة ، وحقائق الروح وهي حقائق نابع بعضها من رحم تراث الأمة وبعضها الآخر من النشاط الانساني الحي بعلاقاته الإنسانية ومذاهبه الجديدة وفنونه .

ولا شك أن المعاصرة تحتاج حتى تجد دفعاً لها وإنقاذاً من الارتداد الى نموذج الماضي المهترىء ، أو تقليد المتاح من نماذج الحاضر في الثقافات الأخرى أو الامحاء والذوبان والتماهي فيها ، تحتاج إلى موقف فلسفي جذري كلي من الكون وهذا الموقف اسمه " الحداثة ".

= ونعني ظهور المذاهب الخمسة ، وما ابتكره ثاني الخلفاء الراشدين.. فالإسلام جوهراً وتاريخاً ضد الحرفية وضد الجمود .

(١) يقول ادونيس:" العلم نظام معرفي ينقد نفسه باستمرار ويتجاوز ما ينجزه باستمرار ، ولا تنطبق عليه او تدخل في مجاله مفهومات الجمود او التراجع" إنه تقدم متواصل، لأنه سؤال وبحث متواصلان" (الشعرية العربية ، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٥: ١٠١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحداثة ليست الجديد دائما. فشرط الحداثة لا أن تكون جديدة بحسب في المكان أو الزمان، بل أن تكون مستقلة استقلالا ومتمخضة مخضا عن مقدماتها التاريخية والاجتماعية في المجتمع الواحد أو التجربة الواحده. ولا يمكن أن يسمى حداثة نقل نظام ثقافي مثلا من مجتمع توصل اليه بمعاناته الخاصة إلى مجتمع آخر في طور حضاري مختلف. ان ذلك يحمل فيما يحمل صدمته الثقافية. وفرق شاسع بين الصدمة الثقافية والتفاعل الثقافي.

ان الحداثة هي ضمانتنا للبقاء والامتداد والوجود غير العبثي والوجود الحقيق. فمن دونها يكون التكرار أو الوقوف أي التقهقر أي الموت. أنها ضمانتنا إلى الإبداعية دون أن تهدر الخصوصية فمزيج هاتين (الإبداعية والخصوصية) (١) كانت الحضارة العربية الإسلامية في أوج ازدهارها.

ولا يعني ذلك ان ليس للحداثة مظاهرها الزائفة، أو مظاهرها الأحادية البعد. فقد تنصرف في ظلال فكر رأسمالي إلى اللهاث التقني المادي. واضعة الإنسان داخل منظومة آلية مغلقة، محورته حول وجوده المادي المباشر. موجهة طاقاته كلها للسيطرة على العالم الخارجي، ومن ضمنه امتلاك الآخر، واستغلاله مهملة عالمه الداخلي. وأبعاده الحميمة، وصبواته وما يتموج في هذا كله من الرغبات والحاجات هكذا خانته فيما تزعم أنها وحدها الوفية له "(٢).

كل ذلك سياقات ضرورية على أديب الأطفال أن يتدبر موقفه منها، وإلا وقع إسار الجمود والجديد المزيف والتغريب وكلها مثالب جوهرية في كل أدب وفن.

---

(١) أنظر: أدونيس، الشعرية العربية: ٩٧.

(٢) المرجع نفسه: ١٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢:١ ثقافة اديب الاطفال:

لما كانت مهمة إنشاء أدب للأطفال مهمّة على قدر كبير من الصعوبة والتركيب بسبب ما يلزم لإعداد الطفل من جهد ليناسبه من حيث اللغة والموضوع وتلبية الحاجة.. فإن أمام أديب الاطفال دربا طويلة يقطعها قبل أن يمسك القلم لأول مرة ليكتب للأطفال. ذلك أن أدب الاطفال (ليس مرحلة أو تدريبا يمرّ به الكتّاب حتى يصلوا إلى مستوى مُرض من الكتابة للكبار. ففي محاورة ساخرة بين هيئة محكمة تتخيلها جون إيكن وكاتب أطفال تسأل هيئة المحكمة كاتبا لِمَ يريد أن يكتب للأطفال فيجيب.(١):

:- "حسنا. فكرت دائما اني أود ان اجرب نفسي في الكتابة. وقد اعتدت ان اكتب بحوثا في المدرسة. ولكن روايات الكبار هذه الايام تبدو جافة ومبطلة. وقد فكّرت ان الامر الايسر ان أبدأ باقتحام ميدان الصغار أولا"

فلا يكون من المحكمة -التي هي جون ايكن نفسها- إلا أن تطلب القاء هذا الكاتب في الزنزانة على أن يُخنَق أولا بشريط آلته الكاتبة (٢).

وما مثلته جون إيكن بأسلوب ساخر يحدث في الواقع العربي. ألا يوجد بين ظهرانينا من يظن أن القصة القصيرة ليست الا تلخيصا للرواية (٣) ؟

---

(١) المرجع نفسه: ٣٤.

(٢) انظر المرجع السابق: ٣٥.

(٣) تمثّل "حكايات بطولية للأطفال" التي كتبتها الكاتبة روضة الفرخ الهدهد هذا الفهم خير تمثيل، فهي في سلسلتها المشار إليها تحاول أن تلخص تلخيصا أحداثا جساما ومتشابكة مرّت =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقول الكاتبة جون إيكن(١): "يجب أن يكون كاتب الاطفال، من الناحية المثالية، شاعراً شبه مجنون، يحمل فكرة رائعة. إذا لم يودع تلك الفكرة المدهشة إلى الورق فالأفضل أن يعمل شيئاً مختلفاً تماماً لكي يكتسب تجارب جديدة وثرية، لأن الكبير لا يستطيع أن يعيش طوال الوقت في عالم الأطفال، فذلك شيء غير طبيعي وغير نافع. ويجب على المعلمين أن يعملوا شيئاً آخر. ولا بد لكتّاب الأطفال أن يوسعوا أذهانهم ومداركهم بالطريقة نفسها، وأن يلتمسوا الأعذار دائماً للتجارب الأقل شأناً".

إن هذا القول لكاتبة خبيرة بأدب الاطفال(٢) مثل إيكن يكشف عن ملامح مهمة في أديب الاطفال تتلخص فيما يلي:

بها الشخصية الرئيسة في القصة وما أحيط بها من ظروف دفعت بها الى النضال، فليس ما تكتبه رواية قصيرة، ولا هو أقصوصة طويلة (انظر: روضة الفرخ الهدهد، في اخراج يعبد (الشيخ عز الدين القسام)، رابطة الكتاب الاردنيين، عمان، ١٩٧٩؛ والزمن الحزين في دير ياسين، رابطة الكتاب الاردنيين، عمان، د.ت؛ وسر القنابل الموقوتة؛ وقافلة الفداء، ورحلة النضال؛ ومنقذ القرية؛ ولغز الأطفال والبندقية في مخيم الدهيشة...الخ).

(١) جون إيكن، كيف تكتب للأطفال، (ترجمة كاظم سعد الدين)، دار ثقافة الاطفال، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٨٨: ٤١.

(٢) كتبت جون إيكن اكثر من خمسين كتاباً للصغار والكبار، وألقت محاضرات على أمناء مكتبات ومعلمين وكتّاب وأطفال في استراليا والولايات المتحدة" (انظر: المرجع نفسه: ٥) وقد ألفت هذا الكتاب عام ١٩٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١- ان يحمل كاتب الاطفال شرارة الشعر وارق أفكاره .

٢- ان يكتب باستمرار تجارب جديدة وثرية .

٣- ان يعيش بين الحين والحين في عالم الاطفال، أي ان تكون له بهم صلة ، من الخارج، ومن الداخل.

٤- ان يهتم بتوسيع مداركه وذهنه (وفي هذا إشارة خفية إلى القراءة والاطلاع).

ولذلك يبدو أديب الأطفال الذي لايكون متلهفا* لاستكشاف فكر الطفل ومشاعره وتحليل علاقته بالعالم المحيط به، الذي لا يستذكر مباهج طفولته الخاصة ومروّعاتها...(١) يبدو كاتبا* لا علاقة له بأدب الاطفال.

إذ ان الأمر لا يتم بمجرد رغبة أحدهم في أن يسرد قصة يعتقد أن الأطفال سوف يستمتعون بها"(٢) وعلى الكاتب إن يكون واثقا* من أنه يريد ان يكتب للأطفال لا عن الأطفال(٣)، اذ لا يكفي أن يلمّم الكاتب أعماله لتكون من "زاوية النظر من عين الطفل"(٤)، فليس ذلك ضمانة لأن تكون هذه الأعمال موجهّة فعلا* إلى الأطفال فقد حدث في القرن التاسع عشر في الغرب أن وقع عدد من الكتب "ضحية فكرة مفادها ان القصة التي يرويها طفل يجب أن تكون مناسبة لقراءة الأحداث"(٥).

---

(١) انظر المرجع السابق: ١٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق: ١٣.

(٥) المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أننا نستطيع -في مجال خبرتنا العملية- ان نضيف الى كل ما سبق من خصائص وعناصر مهمّة في ثقافة اديب الأطفال ما يلي :

- اطّلاعاً واسعاً على أدب الأطفال في العالم والدول المتقدمة على وجه الخصوص، وكذلك في الوطن العربي وقر الكاتب المعني .

- اطلاعاً واسعاً على دراسات الطفولة السيكولوجية والتربوية وسواها .

- اطلاعاً واسعاً على الدراسات النقدية والأدبية \، ما يتّصل منها بأدب الكبار او بأدب الأطفال، وذلك أنّ الثقافة النقدية تصقل الفن، وتبلور مهارات الكتابة، وتنضج الفكر الفلسفي، وتعمّق الأدب، اذا استفاد الأديب من هذه الثقافة، كما ينبغي له أن يفعل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

لمـــه؟

(أسباب الكتابة للأطفال - في الكتابة الإبداعية)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم' هذا الفصل ؟

لم' نكتب ادبا' للأطفال؟

إنه من المهم" ان نعرف الأسباب التي تدعو اديب الأطفال الى الكتابة للأطفال. إن ذلك يجعلنا نسأل السؤال الكبير:"لماذا الأدب؟"او" لماذا الفن؟" او" لماذا نكتب؟".. وهو السؤال الذي طلقه النقاد والشعراء انفسهم منذ اقدم العصور.

فهل يكتب اديب الأطفال من اجل الكتابة ؛ اي" الفن للفن"(١)؟

أم انه يكتب للتعبير والتنفيس؟

أم انه يكتب للآخرين (الفن للمجتمع)؟

هل يكتب للمتعة ؟

أم للمنفعة ؟

أم للتطهير ؟

أم لإعادة صياغة الواقع؟

أم للتغيير ؟

أم للترفيه ؟

وهل الأدب(الفن) لديه : لعب، أم عدوى، أم محاكاة ، أم صنعة ، أم سحر ، أم خلق، أم لغة ، أم خيال ، أم حدس، أم خبرة ، أم نشاط معرفي، أم ضرورة ، أم نبوءة وكشف؟؟

أليس صحيحا' ان أديب الأطفال يكتب"غائيا' "، اي يكتب لجمهور قر" انه من الأطفال؟ إن مسألة التوصيل (او التواصل)(٢) التي تعني ان" جمهورا' معينا' سيتلقى مانكتب تبدوعلى قدرمن الأهمية والحضور

---

(١) انظر نقدا' لنظرية "الفن للفن"في :مبادىء النقد الأدبي:١١٧-١٢٧.

(٢) Communication ، وهي مسألة أولاها رتيشاردز اهتماما' كبيرا' (انظر المرجع نفسه :٦٤).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهل نمسك القلم -في مجال الكتابة للأطفال- لنكتب قصيدة تجريبية، او قصيدة نريد أن نعبّر بها تعبيراً حداثياً عن تجربة روحية أو ماديّة مركبّة؟ او قصيدة نفجّر فيها اللغة ونوجد فيها علاقات جديدة؟ الا يقف هذا الاطلاق الحر.. التجوال غير المقيد.. الاحتراق المجنون في اتون التجربة عاقلاً ومهذباً ومتوازناً إلى حدّ كبير عند الكتابة للأطفال؟وهل يتم تفجير اللغة من أجلهم (إثراء عالم المجاز) بصورة شديدة الوعي مسيطر عليها بصورة لها علاقة بتلك الحالة.. بذلك الجذب الكامل. بذلك التصوّف الكليّ الذي يأخذ الشاعر (الفنان، الأديب)؟؟

ان مسألة التواصل التي إن شكّلت هاجساً واعياً ملحّاً لدى الأديب او الفنان أفسدت عليه ادبه -وهذا قد تم اختراقه أحياناً قليلة في تاريخ الفن والأدب مثال ذلك: الشاعر الجاهلي وشكسبير(١)... ولكن هذه المسألة ينبغي ان تشكل هاجساً واعياً

---

(١) يرى ريتشاردز ان شكسبير كان" أحد الأمثلة الناصعة " على أولئك الذين شغلتهم قضية التواصل مع الآخرين وقضية الطبيعة الانتقالية للعمل الفني، دون أن يشعر القارىء ان هذا الأمر قد شغله حقاً. (انظر: فايز اسكندر، <u>النقد النفسي عند ريتشاردز</u>، الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت:٢٤) ونرى أن الشاعر الجاهلي لم يكن اقل من شكسبير تنبهاً لذلك، ولم يكن اقل منه براعةً في اخفاء ذلك.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحاً لدى اديب الأطفال... ومع ذلك على هذا الهاجس الا" يفسد الأدب
ل أن يحميه.. وقد يصح" ان لا يضع أديب الأطفال نفسه في صف ..
جمهور الأطفال في الصف الآخر ويخلق من نفسه معلماً وواعظاً ..
ذلك يفسد رسالته برمتها.. ولكنه يتوحد مع الطفل عندما يكون
ي حالة خلق لشخصية طفل... يتوحد مع لغته.. مع نفسه.. مع
سده...مع حاجاته.. مع خصائصه النمائية..وفي هذا التوحد يزيل
ك الفاصل الكائن بين عالم الأديب -الراشد- وعالم الطفل
لمتلقي..

ان البحث في السببية ، أي في العلل التي جعلت-وتجعل-الاديب
كتب للأطفال يجعلنا نقف على مستويين:

المستوى الأول (يتصل بالأديب):

إن" الأديب استشعر فجأة خصوصية الطفولة واختلافها-رغم
تمالها- عن عالم الراشدين، فهو ادراك لطبيعة المخاطب.

وان هذا الأديب قد أدرك لزاماً لذلك ضرورة اختلاف طبيعة
الخطاب فنهض إلى المهمة.

والا" فما الذي دفع الأخوين غريم (١) اذن لدخول مغامرة الكتابة
للأطفال وتطويرهذه المسيرة التي احدثت نهضة عارمة فيما بعد؟؟ وما

---

(١) الأخوان غريم Jacob and Wilhelm Karf Grimm من المانيا، كتبا
مجموعة من القصص الشعبية بين عامي ١٨١٢و ١٨١٥، وعرفت هذه
المجموعة ب Grimm Fairy Tales ، ومن هذه المجموعة القصص
الشهيرة: هانزل وجريتل (التي هي تطوير لقصة عقلة الاصبع) وبياض
الثلج والأقزام السبعة، الخياط الصغير المنديد،
=
ورابونزل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي جعل المخرج السوفياتي ستانيسلافسكي(١) يوجه نصيحة لممثل مشهور يريد ان يؤدي لاول مرة امام جمهور من الاطفال" مثل كما كنت تفعل دائما، ولكن بصورة افضل"(٢).

والمستوى الثاني(يتصل بالاطفال):

فالاطفال يحبون القصص ويستمتعون بحفظ الاناشيد وترديدها، ويستقبلون استقبالا متفاوتا ما يعد من اجلهم من ادب... فلم يستقبلون هذا الادب؟.

اي باختصار لماذا يكتب الاديب؟ ولماذا يتلقى الطفل؟

واذا كنا في بلورة النظرية لا نريد أن نمتنع من الماضي فحسب، بل نتطلع الى شق منهج او طريق-فان بين سطور النظرية دائما إشارة إلى المأمول المرتجى من اديب الاطفال-كما نتصوه ومهمته.. وهي مهمة خطيرة الشأن، كما تقول فصول هذه الدراسة في مثابرة غير منقطعة.

وحتى نحاول الإجابة عن هذين السؤالين لا مناص من أن نستعرض موقف النظريات النقدية والفنية من السؤال: لماذا الفن؟ وما صلته بالمتلقي؟ هذه النظريات التي استخلصناها استخلاصا من عدد

= (انظر: Funk & Gnalls New Encyclopedia, Vol. 5, p. 459

وانظر ايضا: Encyclopedia International, Vol. 11, p. 21،

وانظر ترجمة للاخوين غريم في: حكايات الاخوين غريم، (ترجمة عبد الرحيم صالح الرحيم ولمعان السعدون-رسوم نبيل يعقوب)، دار ثقافة الاطفال، بغداد، ١٩٨٧: ١٩٥-١٩٦.

(١) Stanislavsky.

(٢) Yolen, Jane; Writing Books For Children, The Writers, Inc., Boston, 1973, p. 1.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من الجهود والمدارس والاتجاهات والدراسات النقدية. وقد اشرنا إليها إشارة سريعة في مطلع هذا الفصل. وبرغم أنّ هذه النظريّات "وضعت" لتقف على الفنّ الموجّه للكبار، وبرغم ما بين هذه النظريات من تعارض شديد أو طفيف، وصراعات أحيانا"، الا اننا نرى ما يلي:

١. أن الفن وحدة واحدة لا تتجزأ - برغم ما بين الأجناس من فروق وتمايزات.

٢. أن التمحيص في كل نظرية من هذه النظريات قد يوصلنا إلى ان نجد فيها صفة" أو خاصية" او مفهوما" يصبّ في أدب الأطفال ويتصل بمهمة هذا الأدب ووظيفة الأديب فيه.

إن استعراضنا السريع لهذه النظريات غايته فقط أن نحاول الوقوف على ما يلزمنا منها، ومن ثم نحاول دمجها في منظومة واحدة.. منظومة منبثقة من الفنّ-لامن التربية- وتحمل وجهة نظر نقديّة بحتة لا علاقة لها مباشرة بمنطلقات التربية وعلم النفس، تلك التي تخيم على معظم الدراسات التي تناولت ادب الأطفال في العالم وفي اللغة العربية.

فإنّ حاجتنا إلى نظريّة نقديّة في أدب الأطفال حاجة روحيّة فكريّة لغايات البحث عن استكمال الوجود (فإنّ انصراف النقاد عن العناية بهذا الجنس"أدب الأطفال" يشكّل نقصا" في الحقيقة النقدية وعدم اعتراف بشرعية الموجود)، ولغايات الارتقاء بهذا الأدب-وهي وظيفة النقد-ذلك أن الممارسات النقدية الضئيلة النادرة لأدب الأطفال في المكتبة العربية تنبثق عن اجتهادات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نقدية عفوية ليست نقداً فنياً ، بل هي مزيج من حديث في التربية وتطبيق على جزئيات مجتزأة من بعض المدارس(١).

ثم إننا نرى أن هذه النظريات التي سنعرض لها وسواها مما يثجدي ذكره والوقوف عنده ، لا يصلح كل منها منفردة لتفسير الظاهرة الفنية ، ذلك أن هذه الظاهرة من التعقيد والتشابك بحيث لا يكاد يحيط بها ولا يقترب منها اقتراباً شديداً سوى المنهج التكاملي الذي ينفتح على التفسيرات النقدية المختلفة والرؤى المتعددة ، محتفظاً بحقه في أن يختار ما يراه متصلاً بالظاهرة الفنية اتصالاً وثيقاً ، مدركاً أن هذا الاتصال -أو التفسير الذي مارسته تلك المدارس والنظريات- نسبي، بمعنى انه لم يحز الحقيقة كاملة بل بعضها . من جهة ، ومن جهة ثانية ما من مفهوم في إطار هذه النظريات يمتلك حقه في أن يكون مطلقاً (٢). ومن هنا تبرير هذا المنهج الذي نجده ضرورة حيوية في التنظير لأدب الأطفال .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية سنرى أن بعض هذه النظريات متداخل بحيث يبدو في بعضها شيء من التكرار ، وهذه مسألة (التكرار) لا يمكن تلافيها اذا اردنا أن نوضح كل نظرية او كل تفسير

---

(١) انظر على سبيل المثال: سمر روحي الفيصل ، مشكلات قصص الأطفال في سورية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، ١٩٨١ ؛ وانظر ايضاً : احمد المصلح ، أدب الأطفال في الأردن ، منشورات دائرة الثقافة والفنون ، عمان ، ١٩٨٣ .

(٢) يوافق كلامنا هذا رفض ريتشاردز لفكرة الخير المطلق واليقين المباشر ، ويرى أن فكرة المطلق "تضفي على القوانين الأخلاقية البالية الكثير من الجمود والصرامة اللذين لا داعي لهما" (ريتشاردز ، مبادىء النقد الأدبي: ١٠٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للفن" ، ثم رأينا انه لن يكون مفيدا" أن نضم" هذه النظريات في تصنيفيات أكبر كأن نضم" ما ينتمي للمذهب المثالي معا" ، وما ينتمي للمذهب المادي" ... فإن الذي يعنينا من هذه النظريات -وهي تدّعي لنفسها نظرا" شموليّا" -أن نتلمّس تلك الخصائص الخفيّة التي هي في حقيقة الأمر خصائص لأدب الأطفال. كما أنّنا لم نأبه للتسلسل التاريخي في ظهورها ، فذلك ليس بذي دلالة واهمية في هذا المجال.

لقد حاولنا أن نعرض لبعض الآراء المعارضة لبعض النظريّات في محاولة لاغناء العرض وتوضيح المفهوم الذي يعمّنا أن يصب" في نظرية ادب الأطفال ، وحتى لا يكون المفهوم الذي تطرحه النظرية احادي البعد..

والآن :

لم" يكتب أديب الأطفال أدبا" إذا" ؟

١. ليمارس طفولته :

الشاعر سليمان العيسى قرّر انه يئس من عالم الكبار فلم يجد أمامه سوى المستقبل يكتب من أجله ، فصار شاعر الطفولة العربية. إذا كان الشاعر أو الفنان يكتب ليمارس إنسانيته بفنه ، فإن أديب الأطفال يكتب ليمارس طفولته (١).

٢. الفنّ والوعظ:

ولم يكن الأمر بداية" على هذا النحو. ففي الغرب كانت اولى الكتابات ذات اطار ديني، " فحتى عصر النهضة كان المصدر الرئيس

---

(١) انظر: سليمان العيسى، ديوان الأطفال، منشورات مكتبة النوري، دمشق، ط١، ١٩٦٩: الاهداء والمقدمة. والشاعر سليمان العيسى سوري معاصر له عدة دواوين للأطفال.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأدب الأطفال.. الكتاب المقدس وكلاسيكات الاغريق واللاتين"(١). وقد ساعد اختراع المطبعة على زيادة نصيب الأطفال من كتبهم وخاصة كتب الدين وما يتعلق بها. وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر كانت الكتابة الاخلاقية والدينية للصغار اهم من اي كتابة اخرى، وذلك لتأثير البيوريتانية أو التطهيرية (٢). ففي عام ١٦٩٠ طبع الناشر الامريكي، البريطاني المولد: بنيامين هاريس(١٦٧٣-١٧١٦) كتاب"مبادىء القراءة: بريطانيا الجديده"(٣)في بوسطن/ مستعمرة خليج ماساشوستس. وكان يتضمن: الهجائية المقفاة (٤)، قوائم بمقاطع الكلمات(٥)، صلوات الرب، عقيدة الحواريين، الوصايا العشر. وأعداد الشهداء البروتستانت الذي حرقوا على الخوازيق"(٦).

وقبل هذا التاريخ، اي في القرن الثاني عشر تقريبا، كان الرهبان يكتبون للاطفال على رقائق من الجلد كتبا تعليمية "تتضمن حوارات متخيلة باللاتينية، مع قصص حيوانات، واوصاف خارقه في الارض والسماء"(٧) لجعل الدروس امتع.

إن المنطلق الديني الأخلاقي الوعظي القيمي كان منطلق التأليف الاولى والكتابات الأولى للأطفال في الغرب، كما رأينا في الفقرة

---

(١) المرجع نفسه :٤٥٧.

(٢) Puritanism

(٣) The New England Primer

(٤) rhymed

(٥) tables of syllables

(٦) Funk & Wagnalls New Encyclopedia, vol. 5, p.457.

(٧) Children'n Britannica, vol. 3, p. 136

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السابقة . ففي عام ١٤٧٥ طبع كتاب دعي ب"كتاب الأطفال" (١)تضمن تعليمات ومواعظ وآدابا من نوع: "اذا خاطبك أحدهم ، فانظر إليه مباشره ، واستمع جيدا حتى ينتهي من كلامه . لا تشرشر ، ولا تدع ناظريك يتجولان في أرجاء البيت" (٢).

... وقد امتلأت كتب الأطفال فيما بعد بأنواع العقاب للأطفال العاصين وبالتخويف من نار جهنم (٣). والأمثلة على ذلك كثيرة . وهي تتيح لنا أن نستنتج أن كاتب الأطفال-أي الذي يكتب للأطفال عن قصدية تامة - كان يكتب لغايات تهذيبية تربوية تعليمية ، ولنقل ثقافة دينية معينة إلى اجيال مطلوب منها أن تعيد إنتاج هذه الثقافة . أي أن التفكير_تفكير كاتب الأطفال-لم يكن منصرفا الى حاجات الطفل بل الى حاجات المجتمع.. ولم يكن هذا التفكيرليعني نفسه بخصائص الأطفال ومراحلهم النمائية ، ولم يكن يعترف لهم باللعب ومن ثم بالترفيه ، الا بمقدار ما يسمح لنفسه -كراشد وقور- من ذلك، ولذلك تسامح فيما بعد بتدوين بعض الاساطير الشعبية وتقديمها للأطفال.

ان وقوفنا على الشواهد الكثيرة التي تمتلىء بها الموسوعات والمراجع المختلفة عن احتفاء بدايات التأليف للاطفال بالمضمون الأخلاقي الوعظي يجعلنا نثبت هذا الاحتفاء كمرحلة مرت بها الثقافة الإنسانية منسجمة مع رأيها في دور الادب عموما ، وفي حياة الأطفال على وجه الخصوص، ومع رأيها في الطفل والطفولة .

---

(١) The Babee Book

(٢) المرجع نفسه :١٣٧.

(٣) المرجع السابق:١٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا بد أن نعود إلى السؤال: لم يكتب أديب الأطفال إذا؟

٣. الفن متعة ومنفعة:

هل هي وظيفة الأدب؟(١) أم هي طبيعته؟ لقد طرح رينيه ويليك وأوستن وارين(٢) -الناقدان الامريكيان- هذين السؤالين. وهما سؤلان مطروحان دائما على كل فيلسوف له موقف من الفن، وكل ناقد، فالمدرسة الجمالية تجمل الإجابة في "الممتع والمفيد"(٣)، وهذا يتعلق لا بطبيعة الجميل - أو الموضوع الفني أو الادبي، وانما في

---

(١) تلقى "الوظيفة" في الفن هجوما شديدا من نقاد المدرسة الواقعية الجديدة، والنقاد السوفيات على وجه التحديد باعتبار انها ايضا من إنتاج الثقافة البورجوازية المعاصره. ويعرفون الوظيفة -كنظرية جمالية- بأن "المقدمة الأساسية لها هي: يجب أن تخضع صيغة الموضوع الجمالي للغرض منه، وأن تكون مناسبة له "(مجموعة من العلماء السوفييت، علم الجمال البورجوازي المعاصر: دراسات نقدية، (ترجمة فؤاد المرعي، منشورات دار الفجر، حلب، د.ت ١:١٠٦) ولا يخلو هذا الموقف من تشنج، إذ انه ليس نتيجة تفكير فلسفي محايد تجاه الحقيقة، او موضوعي تجاه الفن، فمقدمة المرجع المذكور تذكر بوضوح لا لبس فيه انه " لا بد لنا من أن نمد" صدا حاسما هجمات اعدائنا الفكريين على الثقافة الاشتراكية، وأن نشد" تشديدا شاملا النضال ضد النظريات الجمالية التحريفية المعاصرة "(المرجع نفسه ١:٧)، وليس هذا من النقد في شيء.

(٢) رينيه ويليك، وأوستن وارين، نظرية الادب، (ترجمة محي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨١: ٢٩-وما بعدها.

(٣) المرجع نفسه: ٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"تقدير آثار الجميل"(١)وهو المسألة التي يختلف عليها ، ومرد هذا الاختلاف" الى الذات المتلقية المتأثرة "(٢) اي الى الذوق ، والربط بين الجميل والنافع قديم . ففي محاورة هيبياس" التي ان لم تكن لأفلاطون فهي افلاطونية كما يقول كروتشه -يسأل سقراط:

- اذن فنحن متفقون على أن الجمال والمنفعة شيء واحد؟ ويجيب هيباس:

- بالتأكيد "(٣)

ويصر افلاطون على أن لا يفصل" الممتع" عن" النافع". وهذه النظرة كانت أساساً لبعض الاقتصاديين الذي وحدوا بين الفعل ذي الأثر النفعي وبين الذاتي"أي ما هو مفيد للفرد من حيث هو فرد ، دون النظر الى القانون الأخلاقي"(٤).

٤. من أجل التعليم:

إن أساس المنفعة في موضوع الفن أو الأدب يؤدي إلى الاساس التعليمي . يقول ليبنتز:" ان الهدف الرئيسي للشعر ينبغي أن يكون تعليم الحكمة والفضيلة عن طريق الامثال"(٥) ولذلك كان الشعراء قديماً بناة المثل العليا وحماة التقاليد ، كما كانوا أرباب الحكمة (٦) لقد كانوا يعلمون الشجاعة عندما يصفونها ، بل ان شاعر

---

(١) عز الدين اسماعيل ، الأسس الجمالية في النقد العربي:عرض وتفسير ومقارنه ، دار الشؤون الثقافيه العامه ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٩٨٦:٨٢.

(٢) المرجع نفسه .

(٣) المرجع السابق:٨٨.

(٤) المرجع السابق:٨٩.

(٥) المرجع السابق:٩١.

(٦) انظر المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحماسة العربي كان في اغلب الاحيان فارساً مقتحماً (عنتره ، طرفه ، عبد الله بن رواحه ، المتنبي..) ولذلك قال عمر بن الخطاب:" علموا ابناءكم الشعر فانه يورث المروءة ".

ومع انهم اختلفوا في ايهما ياتي اولاً المتعة (التسلية ، الرضاء النفسي) ام المنفعة (الفائدة التعليمية). وقد لاحظوا ان العلم يمدنا بالمعرفة والأخلاق بالتوجيه ، فلماذا ينبغي أن يكون للشعر غاية تعليمية؟ والجواب عن ذلك "أن في العلم جفافاً وفي الفضيلة مشقة ، ومواجهتها مواجهة مباشرة تكلفنا كثيراً وتضنينا كثر"(١) ولذلك ذهب القائلون بالغاية التعليمية للفن" إلى أن الفن بما يضفيه عليهما من جمال وحلاوة يستطيع ان يسوقهما إلى نفوسنا بسهولة ، وفي استمتاعنا بهذا الجمال وتلك الحلاوة نكتسب المعرفة دون شعور منا (٢). ولذلك-وحسب هذه النظرة-لا بد من أن يدخل في حساب النقد تقدير القيمة التعليمية للفن أو للأديب(٣).

٥. <u>الفن والأخلاق</u>:

ان المعيار الجمالي الذي يرى في الفن متعة وفائدة ينساق الى البعد الأخلاقي، هذا البعد الذي يتبادل"البعد الديني دون أن يناقضه أو يضاده. فقد ظهر أحدهما مكان الآخر في بيئات وأزمان مختلفة. وقد كانت الغريزة الجمالية - ان صح التعبير-تختلط عند

---

(١) المرجع السابق:٩٣.

(٢) كان من معتنقي هذه النظرة: دانتي وتاسو وباريني والفييري ومانزوني ومازيني. وقد طور هذه النظرة وفسرها تفسيراً جديداً الناقد الأمريكي المعاصر دونالد استوفير في كتابه " "طبيعة الشعر" (انظر: المرجع السابق:٩٣، ٣٤٦ وما بعدها).

(٣) انظر: المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإغريق بالشعور الديني، وعندما حطمت الفلسفة والفكر الإنساني الجديد الآلهة تحول هذا الشعور (الديني) إلى شعور أخلاقي، إذ ان انكماش دائرة الدين في حياة الأفراد لا تحول دون انتعاش الحكم الأخلاقي، وهو انتعاش يجد له مجالاً في تقويم الفن(١).

لقد وضع تولستوي ومعظم فلاسفة القرن التاسع عشر الفن على قدم المساواة مع الأخلاق والدين وغيرهما من مظاهر النشاط البشري، باعتباره، "ظاهرة حضارية" تتطور مع التاريخ، وتتأثر بأوضاع المجتمع، وتتفاعل مع غيرها من الظواهر الاجتماعية الاخرى"(٢)ويبدو أن هذا الاتجاه قد عمل على ظهور مدرسة اجتماعية في الفن أخذ اصحابها على عاتقهم تفسير "الخبرة الجماليه" في ضوء العلاقات الديناميكية القائمة بين الفرد والمجتمع، أي بين الفنان والجمهور(٣)، وأظهر أصحاب هذه النظرة "شارل لالو"..

ولا بد لنا في مقام يتناول الفن والأخلاق من أن نشير إلى الموقف الذي يرفض الفن باسم الأخلاق مثل: أفلاطون ومن حذا حذوه. ويرى سانتيانا(٤)ان هذا الرفض لن يخدم العقل. بل انه سيحرمه من

---

(١) أنظر: المرجع السابق:٩٤.

(٢) زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، مكتبة القاهره، ١٩٦٦:٩.

(٣) أنظر: المرجع نفسه.

(٤) جورج سانتيانا (١٨٦٣-١٩٥٢) فيلسوف إسباني، كان قد احترف تدريس الفلسفة في جامعة هارفارد (١٩٠٠-١٩٢٣) حتى اعتبروه فيلسوفاً أمريكياً.. مع أنه ظل بمزاج أوروبي" فلم تطمئن نفسه مطلقاً إلى الحضارة الأمريكية المادية الآلية" وقد أمضى السنوات الأخيرة من حياته في صومعة كاثوليكية بمدينة روما =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طائفة مهمة من القيم وهي"قيم الحواس"(١). وهذا صحيح. فتسليط الأخلاق على الفن يعني ضمناً منح الأخلاق قيمة استاتيكية ثابتة صدورها عمن يملك أن يحجر على الآخرين حريتهم.. وأية حرية أغلى من حرية الفنان؟ بل إن "كل أخلاق تنادي باستبعاد الفن إنما تجعل من" المثل الأعلى" حقيقة جزئية هزيلة لا تعبر في شيء عن خصوبة الوجود البشري"(٢). ويعترف سانتيانا أن للفن دوراً إيجابياً في تمجيد الأهواء والتسامي بها لا في إثارة الأهواء وإطلاق العنان للشهوات(٣). كما يستهجن الأخلاق التي تحتقر الحواس" دون أن تفطن إلى أن هذه القيم الحسية إنما هي بمثابة المادة الضرورية اللازمة لتشييد شتى البنايات العليا للنشاط الروحي"(٤).

إن سانتيانا ينقل مقولة أن "الفن للأخلاق"إلى مستوى فلسفي أرفع عندما يجعل منه سبباً لزيادة ثراء التجربة الباطنية للإنسان(٥).ويجعل من الكشف عن الجمال دليلاً مهماً على "إمكان تحقق الخير الأسمى في صميم التجربة البشرية". إنه يفهم الأخلاق عندما يربطها بالجمال فهماً راقياً. إنه لا يريد إخضاع القيم الجمالية للقيم الأخلاقية بل يرى أن ثمة تبادلاً طبيعياً... بين الأعمال الفنية وأفعال الحياة"(٦). إن سانتيانا قد انتهى إلى

= كان سانتيانا شاعراً ورساماً وروائياً وناقداً أدبياً وعالم جمال (أنظر:فلسفة الفن:٦٩).

(١) المرجع نفسه:٩٢.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق:٩٣.

(٦) المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان الخير هو الخيط الأوحد في نسيج الجمال(١) معززا فلسفته المثالية الكماليه الكلاسيكية ذات الجذور الإغريقية. ومع أن نظرية سانتيانا قد تعرضت للنقد الشديد لأنه وحّد بين الفضيلة والجمال، فإننا في معرض تلمسنا لمعالم نظرية لأدب الأطفال، نجد أن الخير قيمة اخلاقية وفنية مهمة ولكنها نسبية. وهي تنتظر أن تتبلوَر إلى جانبها قيم فنية اخرى لتثري مفهوم الفن ووظيفته.

وفي الأخلاق وصلتها بالفن لريتشاردز محاولة لتخطيط مذهب في الأخلاق لا بد من الوقوف عليها. فإن ريتشاردز بصدد مذهب في الاخلاق" يسمح بتعديل قيمه حسب تغير الظروف. مذهب يخلو من التعسف والالغاز والمطلقات، ويستطيع ان يفسر قيمة الفنون ومكانتها بين شؤون الإنسان"(٢).ذلك انه يرى ان المذاهب الأخرى عجزت عن تفسيرها حتى الآن. فعندما توصف التجربة بالخير فذلك يعني-حسب رايه-"ان الدوافع التي تتألف منها هذه التجربة دوافع ناجحة يتحقق إرضاؤها"(٣)مع التحفظ بأن" تنشيط هذه الدوافع وإشباعها لن يتدخلا مطلقا في نشاط الدوافع الأخرى التي تفوقها اهمية(٤). ولأن مشكلة الأخلاق عنده-وهي" مشكلة كيفية الحصول على أكبر قيمة ممكنة من الحياة"(٥)- تتعلق بمسالة التنظيم في حياة الفرد. ومسالة

---

(١) من الفلاسفة الذين يعتبرون"الخير" صورة من صور الجمال"الآن"ALAIN(١٨٦٨-١٩٥١) وهو من الفلاسفة المثاليين الفرنسيين المعاصرين(انظر:المرجع السابق:١٣٤، ١٤٣.

(٢) ريتشاردز، مبادىء النقد الادبي: ١٠٣.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) المرجع السابق.

(٥) انظر: المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التعديل والتكيّف في حياة الافراد، فإنه يخلّص الأخلاق من استعلائها الفوقي واتجاهاتها السلطوية لإلزام أفراد المجتمع على طاعتها والاستسلام لها، وما يتضمن ذلك من تقييد وحرمان وكبت، بأن يرى "أن اعظم الحالات الذهنية قيمة..الحالات التي تتضمن تنسيقاً لأوجه النشاط على اوسع نطاق وأشمله، كما تتضمن أدنى درجة من الصراع والحرمان والكبت والتقييد. إذ تقاس قيمة الحالات الذهنية بصفة عامة بقدر نزوعها إلى تلافي المضيعة والكبت... (وان) لا نسرف في إعجابنا بأولئك الأفراد العمليين الذين يمتازون بالكفاءة، ولكنهم يكبتون النواحي العاطفية في حياتهم" (١).

بل إن ريتشاردز يمضي الى الهجوم الشديد على علماء الأخلاق وعلى النصيرين الشائنين لمذهب المنفعة (٢) -ويقرر أن "الشعراء وحدهم -وليس الوعّاظ- هم الذين يضعون أسس الأخلاق" (٣) وهو ما نادى به الشاعر شيللي مراراً.

أما في النقد العربي فإن الاصمعي -وكان حقه أن يذكر قبل الآن- بالرغم من أن تديّنه كان يمنعه من رواية شعر فيه ذكر للأنواء (٤) أو فيه هجاء، إلا إنه كان يقيم حداً فاصلاً بين الشعر والدين. ويراهما عالمين منفصلين لا يتصل احدهما بالآخر، وفي اتصالهما حَيف على الشعر نفسه" (٥). وقولة الاصمعي الشهيرة: "طريق الشعر إذا

---

(١) المرجع السابق: ١٠٥.

(٢) انظر: المرجع السابق: ١٠٧.

(٣) المرجع السابق.

(٤) وذلك لقول رسول الله صلى عليه وسلم "إذا ذكرت النجوم فأمسكوا".

(٥) احسان عباس، تاريخ النقد الادبي عند العرب: نقد الشعر من =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ادخلته" في باب الخير لان، الا ترى ان حسان بن ثابت كان عتلا في الجاهلية والإسلام فلمّا دخل شعره في باب الخير-من مراثي النبي(ص) وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما وغيرهم-لان شعره. وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرىء القيس، وزهير والنابغة من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الخمر والخيل والحروب والافتخار، فاذا ادخلته في باب الخير لان"(١)واللين كما يبدو بمعنى" ضعف الأسر"(٢)، اما الخير فهو الدين ومسائله، ويقابله " الدنيوية " في الشعر(٣).

ومن المواقف النقدية التي تحتفي بالأخلاق موقف مسكويه الذي كان متأثرا" بأرسطو وبأفلاطون، وكان متبنيا" موقف الأخير فيما "يجره الشعر من ضرر في تربية الناشئين، وخاصة ذلك اللون من الشعر الفاحش المليء بالأكاذيب، المشجع على اللذات كبعض شعر امرىء القيس والنابغة واشباههما"(٤). غير ان مسكويه استبقى من الشعر ما يُحدث اثرا" تربويا" يتلاءم والصحة النفسية والجسمانية للمتلقي.(٥)

اما موقف ابن حزم فهو جدير بالذكر، لانه يتوج نقديا" المذهب القائل بفصل الأخلاق عن الشعر، ذلك انه كان فقيها" " يعتقد أن

= القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري. دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٧٨: ٥٠.

(١) المرجع نفسه. عن المرزباني، الموشح، (تحقيق علي محمد البجاوي)، القاهره، ١٩٦٥: ٨٥، ٩٠.

(٢) المرجع السابق: ٥١.

(٣) المرجع السابق.

(٤) احسان عباس: ٢٤٤.

(٥) انظر: المرجع نفسه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المواعظ والحكم والمبادىء النبوية خارجة عن حد الشعر"(١). وكان متأخذ بالرأي الذي يقول:" اعذب الشعر أكذبه"(٢). وهذا الرأي في الشعر لم يكن بعيداً عما فعله في رسالته الشهيرة " طوق الحمامة". حيث وضع الأخلاق جانباً وتحدث عن الحب وما يستدعيه من أفعال الجنس أحياناً بصراحة وتفصيل غريبتين على خامس الفقهاء المسلمين. وليس موقف ابن حزم من فصل الأخلاق عن الأدب ببدع في التراث العربي(٣). ذلك أن جُمّاع أخبار العرب والشعر والأدب (كأبي الفرج الأصفهاني مثلاً) قد مارسوا حرية التعبير عن الأحداث والنفس البشرية - بما جمعوه من هذه الأخبار - بلا حرج من فحش أو صراحة، تخلّ إخلالاً بيّناً بمقولة " الفن أخلاق".

٦. الفن تطهير:

إن وظيفة الفن التي أشار إليها سانتيانا في تصعيد الأهواء والتسامي بها تذكر بالنظرية الأرسطية "التطهير" أو (الكاثرسيس)(٤) التي يتبناها هيجل ومن بعده (آلان). وهي النظرية التي ترى أن" للفن صبغة تطهيرية تجعل منه اداة فعالة لتنظيم

---

(١) المرجع السابق: ٢٨٧.

(٢) الكذب في الشعر مفهوم نقدي استعمله العرب للدلالة على المجاز والمبالغات.

(٣) من النقاد العرب الذي يقفون موقفاً أخلاقياً في فهم الشعر وتحديد طبيعته "قدامة بن جعفر" و"حازم القرطاجني" الذي كان يرى ان الشاعر صاحب رسالة مهمة في حياة الجماعة، وأن الشعر وسيلة للوصول بالحياة إلى كمالها، وهذا ما يحقّق السعادة للانسان. (انظر: جابر عصفور، مفهوم الشعر: دراسة في التراث النقدي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٢: ٧٧-١٢٤، ١٢٥-٣٠٤.

(٤) Chatharsis

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البدن، وتصفية الاهواء وتنقية الانفعالات"(١)، وأن العلاقة الوثيقة بين الفن والاخلاق بسبب أثر الفنون تطهّر الاهواء، وتنقي الانفعالات"وتحقق ضرباً من التوافق بين أحاسيسنا وافكارنا، أو بين رغباتنا وواجباتنا"(٢).

ولا شك ان هذه النظرية تمس جانباً من الحقيقة وخصوصاً ذلك الجانب المتعلق بالمتلقي، فالعاشق يقرأ شعر مجنون ليلى فيشعر بارتياح أن ثمة شاعراً آخر قد عبر عنه، وما الارتياح إلا لون من الوان التطهير، لأنه يعني زوال التوتر.

وليست النظرية التطهيرية ببعيدة عن المفهوم العلاجي للفن، ذلك أن ارسطو يرى أن" المأساة" تحدث طرداً لما لدينا من مشاعر الخوف والرأفة والحب، وما إلى ذلك من مشاعر عنيفة، بأن تستوعب في نطاق خيالي غير ضار كل ما لدينا من حاجة إلى الشعور بمثل تلك الانفعالات. فالعمل الفني هنا إنما يقوم بوظيفة إيجابية هامة ألا وهي التحرير أو التحصين الخلقي"(٣).

٧. الفن تأثير:

كان ابن طباطبا يرى أن غاية الشعر هي التاثير، وقد عبر عن ذلك في عدد من العبارات في كتابه " عيار الشعر"، فمن ذلك قوله: "فمثل هذا الشعر وما شاكله يصدىء الفهم ويورث الغم"-لا كما يجلو الهم ويشحذ الفهم من قوله..."(٤) وقوله:"الابيات التي تخلب

---

(١) زكريا ابراهيم، فلسفة الفن: ١٤٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) زكريا إبراهيم، مشكلة الفن: ٢٤٠.

(٤) ابن طباطبا العلوي(محمد احمد)، عيار الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢:٧٧.

معانيها للطافة الكلام فيها..."(١)وقوله:" ليست تخلو الاشعار من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن يلتقط فيها اشياء هي قائمة في النفوس والعقول فيحسن العبارة عنها وإظهار ما يكمن في الضمائر، فيبتهج السامع لما يرد عليه مما قد عرفه طبعه وقبله فهمه، فيثار بذلك ما كان دفيناً، ويبرز له ما كان مكنوناً، فينكشف للفهم غطاؤه، فيتمكن من وجدانه بعد العناء في نشدانه، أو تودع حكمة تألفها النفوس، وترتاح لصدق القول فيها وما أتت به التجارب منها، أو تضمن صفات صادقة وتشبيهات موافقة وأمثالاً مطابقة تصاب حقائقها، ويلطف في تقريب البعيد منها، فيؤنس النافر الوحشي حتى يعود مألوفاً محبوباً، ويبعد المألوف المأنوس حتى يصير وحشياً غريباً. فإن السمع إذا ورد عليه ما قد ملّه من المعاني المكررة والصفات المشهورة التي قد كثر ورودها عليه مجّه وثقل عليه رعيه، فإذا لطف الشاعر لثوب ذلك بما يلبسه عليه، فقرب منه بعيداً أو بعد منه قريباً أو جلل لطيفاً، أو لطف جليلاً أصغى إليه ودعاه واستحسنه السامع واجتباه.. فتدفع به العظائم، وتسلّ به السخائم، وتُخلب به العقول، وتُسحر به الألباب لما يشتمل عليه من دقيق اللفظ ولطيف المعنى"(٢).

وفكرة التأثير هذه التي يطرحها ابن طباطبا ليست ببعيدة عن فكرة المتعة التي يطرحها الفيلسوف الجمالي كما رأينا.

٨. <u>الفن تعبير وانفعال:</u>

لقد قاوم الفيلسوف كروتشه (٣)فكرة النفعية والاخلاقية في كتابيه "الاستطيقا بوصفها علم التعبير أو علم المعاني العام"(سنة

---

(١) المصدر نفسه: ٨٩.

(٢) المصدر السابق: ١٢٥-١٢٦.

(٣) Crotce (١٨٦٦-١٩٥٢).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٩٠٢)، و "المجمل في علم الجمال" (سنة ١٩١١). فهو يرى أن الفن مقدس وتعبير. إنه يرى في الفن "حقيقة روحية لا سبيل إلى قياسها أو تجزئتها :(١)وإذا جزئت الواقعية الجمالية فسنصل "إلى وقائع فيزيائية اقل صغراء، أو إلى ظواهر مادية اقتطعت اقتطاعاً بطريقة تعسفية صرفة "(٢).وقد رد كروتشه على البنيويين قبل ظهورهم عندما رأى ان هذا التجزيء للعمل يؤدي إلى عمليات ليست من طبيعة العمل الفني نفسه (عدد الكلمات، دراسات في المقاطع والحروف)أي" الى دراسة ظاهرة مادية لا شأن لها على الاطلاق، بالموضوع الجمالي من حيث هو حقيقة روحية تنفعل بها نفوسنا "(٣). ومن هذا الفيلسوف يأبى أن يهبط بالفن الى مستوى الافعال النفعية، مما لها صفة عملية. كما انه ينكر ان يكون الفن فعلاً اخلاقياً.. "إذا كانت"الإرادة الخيرة هي قوام الإنسان الفاضل فانها ليست قوام الإنسان الفنان"(٤). فإن القول بأخلاقية الفن كالقول بأن (المربع) اخلاقي و(المثلث) لا أخلاقي(٥).

ومن الذين قالوا إن "الفن انفعال الفيلسوف" (برجسون)(٦)، فالفنان العظيم عنده هو الذي يصدر في عمله عن انفعال جديد أصيل، بحيث يولد في أنفسنا أحاسيس جديدة، أو عواطف لم يكن لنا بها

---

(١) زكريا ابراهيم، فلسفة الفن: ٤٤.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع السابق:٤٥.

(٤) المرجع السابق:٩٣.

(٥) المرجع السابق:٩٤.

(٦) (١٨٥٩-١٩٤١) ومن الجدير بالذكر ان بيرجسون من الذين يؤمنون ايضاً بأن الفن عيان أو حدس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عهد، أو انفعالات لم تكن في الحسبان"(١). والانفعال الذي يشير إليه برجسون ليس تأثراً وجدانياً صرفاً لا يتجاوز السطح، "بل هو ضرب من الانقلاب النفسي الذي ينفذ إلى أعماق النفس فيزلزل أركانها"(٢). وهذا الانفعال سرعان ما يرقى إلى مستوى التفكير لكي يثير في النفس بعض الأفكار الجديدة"(٣). لذلك فإن برجسون يقرر أن الإبداع إنما هو أولاً وقبل كل شيء انفعال"(٤)، ولكن هذا الانفعال يقترح إلغاء التفكير وإنما هو يعني" اندلاع نار الوجدان-على حين فجاة في وقود الفكر، بحيث ينبثق من شرارة الحدس إبداع اصيل يعبر به الفنان عن شيء كان يظنه غير قابل للتعبير"(٥).

ومن الذين يتحمسون للتعبير والانفعال في الفن الفيلسوف الانجليزي كولنجوود. ومع انه يعترف انه ليس تعريفاً للفن، إلا انه يقرر بذلك واقعة أو واقعة مفترضة." والتعبير عن الانفعال شيء، ووصفه شيء، كما يقول. فقولك أنا غاضب يعني أنك قد وصفت الانفعال ولكنه لا يعني تعبيرك عنه"(٦). فوصف التعبير ضعيف وما تراني غير معبر. ولهذا كان" استخدام الصفات أو النعوت في الشعر وحتى في النثر-حيث يكون التعبير مقصوداً، خطراً"(٧). إن الشاعر الذي يغتني معجمه اللغوي بمفردات تشير إلى الفوارق بين الانفعالات لن

---

(١) المرجع السابق:٢٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق:٢٧.

(٦) المرجع السابق:١٤٤.

(٧) المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يسدي خدمة جليلة للشعر ان استخدمها لأنه ليس بحاجة إليها (١). فوصف الانفعال يعني تصنيفه، أما التعبير عنه فيظهر تفرده.

إن موضوع التعبير والانفعال من الأفكار الكبرى للحركة الرومانسية .وهي أفكار ما تزال متغلغلة في مقاييسنا النقدية فنقول عن عمل يعجبنا "معبّر" "مؤثّر" (٢)...الخ. وأول مزايا الانفعال الذي تنادي به هذه الحركة انه يعبر عن الشخصية. وثاني المزايا أن الفنان لم يعد معنياً بالجمال ليقيم نموذجه الفني بمحاكاته، وإنما صار يلجأ إلى موضوعات متباينة، وضمنها ما هو شاذ أو قابض أو منفر. لقد صار الفن يتناول موضوعات قبيحة ويعبر عنها (٣). إن الفنان عندما يطلق انفعاله دون ضابط فإنه يستحيل المضي في التعبير الفني". يقول وردزورث في عبارته المشهورة:" إن الفنان لا يستطيع ان يخلق إلا إذا "استجمع انفعالاته بهدوء" (٤). ولذلك كان على الفنان ان يخضع انفعالاته لمقتضيات الوسيط وحدوده. فإذا لم يفعل ذلك لم ينتج فناً (٥).

٩. <u>الفن محاكاة:</u>

تقول هذه النظرية -التي هي أقدم نظرية معروفة في الفن- بأبسط العبارات إن الفن الجميل هو" الترديد الحرفي الأمين لموضوعات التجربة المعتادة وحوادثها" (٦). ومع أن هذه النظرية قد عرضها

---

(١) المرجع السابق.

(٢) جيروم ستولنيتز، النقد الفني:٢٣٣.

(٣) المرجع نفسه:٢٣٩.

(٤) المرجع السابق:٢٤٨.

(٥) انظر:المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق:١٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

افلاطون، وتحمس لها ليوناردو دافنشي وفنانو عصر النهضة والناس البسطاء ايضاً، إلا انها لا تجد لها نصيراً بين الفلاسفة. لماذا؟ ان التسجيلية الحرفية للحياة الواقعية ليست فناً جميلاً ولكنها تصبح كذلك إذا نظمت على نحو ما وأصبحت ذات دلالة.. إن نظرية المحاكاة تتجاهل إحياء الصور والأصوات ومضاعفة قوة إيقاعها، وهو ما يفعله الفنان عادة. إن الفوتوغرافية الكاميرائية التي تعنيها هذه النظرية تذهب الى أن العمل الفني يكون في افضل حالاته عندما يكون اقرب شبهاً بالحياة (١). وهذه هي نظرية المحاكاة البسيطة.

أما محاكاة الجوهر فهي التي يجعل الفنان فيها للتجربة الانسانية معنىً ويفسرها، وهو الذي " يبين أن أحداث حياة الإنسان ليست عشوائية مفككة، بل ترتبط فيما بينها ارتباطاً وثيقاً "(٢).. وهذه هي الانتقائية الخلاقة (٣). وهذا هو المعنى الذي أدخله أرسطو على مفهوم المحاكاة (٤). غير أن هذه النظرية "محاكاة الجوهر" في انصرافها إلى تصوير الجوهري فقط من الشيء المصور أو المحاكي، تتجاهل تلك السمات العرضية الجزئية التي تميزه.. فالجوهري لا يوجد بنفسه بل بخصائص مصاحبة. والجوهري من غير خصائص مصاحبة -يشبه التعريف، أو المفهوم "فتعريف الإنسان مثلاً لا يحتاج إلى إشارة إلى لون الشعر، مثلاً، على حين أن هذه الإشارة ضرورية

---

(١) انظر: المرجع السابق: ١٦٣.

(٢) المرجع السابق: ١٦٨. والمقصود بالكلام هنا فن التراجيديا بصورة خاصة.

(٣) انظر: المرجع السابق: ١٦٩.

(٤) انظر: المرجع السابق: ١٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في وصف إنسان معين"(١). ولذلك فإن الأعمال التي تحاكي الجوهر فقط توصف بأنها "باردة او فارغة وشخصياتها تتصف بأنها محتملة الحدوث او معقولة او نقول عادة: لا تدب فيها الحياة"(٢).

أما محاكاة المثل الاعلى، فهي التي تنصرف إلى محاكاة موضوعات بعينها دون أخرى، اي الموضوعات الجديرة بالمحاكاة او اللائقة بها. وهذه النظرية تؤكد على ما ينبغي أن يكون عليه الفن. وهنا تنزلق النظرية إلى الأخلاق، لتحكم على الموضوعات التي يتناولها الفن حكماً أخلاقياً، مع أن الأعمال الفنية التي تتناول موضوعات جليلة قد تكون تافهة او مدعية او مبالغة (٣).

١. <u>الفن عدوى:</u>

صاحب هذه النظرية تولستوي الذي يصوغها على النحو التالي:

تزيد عدوى الفن او تقل نتيجة لتحقق شروط ثلاثة:

أولاً:- زيادة صفة الخصوصية في الإحساس الذي يوصله الفنان او نقصانها.

ثانياً:- زيادة صفة الوضوح في توصيل هذا الإحساس او نقصانها

---

(١) المرجع السابق:١٧٦.

(٢) المرجع السابق:١٧٧.

(٣) انظر:المرجع السابق:١٨٩، وامثلة ذلك في الأدب كثيره. فكم من رواية او عمل فني يمجد الوطن او القيم الرفيعة كالعدالة وسواها، وسقطت من وجهة نظر فنيه سقوطاً ذريعاً؟ وهذا صحيح تماماً في أدب الاطفال حيث يكثر التسلق على الموضوع الوطني بصورة خاصة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً :- زيادة صدق الفنان، اي زيادة القوة التي يعاني بها الفنان الإحساس الذي يوصله او نقصانها"(١).

وقد جاءت نظرية " العدوى" لتولستوي في معرض اهتمامه بقضية التوصيل في الفن-اي قضية المتلقي.

وبالرغم من أن ريتشاردز يسوق مرافعة مهمّة في نقد هذه النظرية الا ان نظريتنا في ادب الاطفال يمكنها ان تغتني في جانب منها بهذه النظرية، وبما تشير إليه من انتشار. فكلما زاد انتشار العمل الفني اعتبره تولستوي فناً صادقاً." بغض النظر عن مضمونه او عن قيمة العواطف التي ينقلها إلينا"(٢). فإذا كان للانتشار ما يمكن أن يقال حوله بصدد فن الكبار، فان المسألة تبدو جدية في عالم الأطفال اذ برغم اهمية عنصر الانتشار للأدب الجيد لا نستطيع الا أن نتساءل : ... هل نستطيع ان نعتمد على أن عملاً فنياً(قصة، رواية، ديوان شعر، برنامجاً تلفازياً، مجلة أطفال... الخ) يكون صادقاً لأنه واسع الانتشار بين الأطفال؟

١١. الفن ترفيه :

يأتي هذه التفسير للفن من تحديد وظيفة الفن بأنه للمتعة باعتبارها شيئاً ذا قيمة في ذاته. ويرى كولنجوود أن الانفعال يمر من حيث حركته في مرحلتين: الأولى مرحلة التعبئة او الاستثارة، والثانية مرحلة التفريغ، وتفريغ اي انفعال هو فعل يتحقق نتيجة

---

(١) ريتشاردز، مبادىء النقد الادبي : ٢٤٥. عن

Leo Tolstoy, What is Art ?.

(٢) زكريا ابراهيم، مشكلة الفن :٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لاستحثاث هذا الانفعال. وعندما نقوم به، فاننا نطلق الانفعال ونريح انفسنا من التوتر الذي يظل جاثماً على نفوسنا إلى أن نتمكن من تفريغه بهذه الطريقة"(١). أما الانفعالات التي يولدها أي ترفيه فتصب في الفراغ، ولا تتداخل مع مهمات الحياة العملية (٢). ويدعو كولنجوود الترفيه موقفاً وهمياً. ويميّز بينه وبين أوهام الألعاب عند الاطفال التي لا يرى انها ترفيه بل هي نوع جاد تماماً من العمل (٣).

إننا نستطيع ان نصف الترفيه بانه النشاط الذي يمارسه الإنسان بلا غاية عملية في الحياة سوى منح نفسه فرصة الراحة (أو الهدنة) لمتابعة تحقيق الأعمال ذات الغايات العملية في الحياة، ونحن لا نستطيع ان ننفي عن بعض الأجناس الأدبية صفة الترفيه كالمسرح والسينما مثلاً، مع أن الترفيه وحده لا يصلح ان يكون إطلاقاً في الفن. فالرحلات والأسفار مثلاً قد تكون للترفيه ويكون الترفيه بنفسه باباً لولوج تجارب روحية خارقة كالانعتاق في الطبيعة، والتوحد بالجمال، والانبهار امام عمل عمراني مدهش، واكتساب المعرفة والخبرة... وغير ذلك.

١٢. <u>الفن لعب</u>.

يقترب مفهوم اللعب من مفهوم الترفيه ويحل محله احياناً (٤). وقد لا يكون الربط بين الفن واللعب بمستطيع ان يرقى لأن يكون نظرية نقدية بمقدار ما هو وصف للخبرة الجمالية او تحليل ظاهرة

---

(١) كولنجوود، <u>مبادىء الفن</u> :١٠٢.

(٢) انظر: المرجع نفسه.

(٣) انظر: المرجع السابق:١٠٤.

(٤) انظر: المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إدراكنا للجمال(١). ولا نجد مناصاً من تعريف اللعب، ذلك أن " الرأي القائل بأن الفن هو أحد صور اللعب كغيره من النظريات الجمالية قد يدل اما على نظرية سطحية واما على نظرة غاية في العمق، وهذا طبقاً لتصور يصاحب هذا القول "اللعب"(٢).

وصف الشاعر الألماني شيلر(٣) "اللعب" بأنه التعبير عن الطاقة الخصبة والاصل في الفنون جميعاً "(٤).

وبعد ذلك بنحو قرن ذكر الفيلسوف الانجليزي سبنسر(٥) في كتابه " مبادىء علم النفس" "أن اللعب أصل الفن وأنه تعبير عشوائي عن الطاقة الزائدة "(٦)

أما كارل جروس فقد قدم نظرية عن لعب الحيوانات، ثم عن لعب الانسان ثم أصبح مهتماً " باللعب بوصفة أساساً ممكناً لعلم الجمال"(٨). ويربط لعب الحيوانات بالتدريب من أجل صراع البقاء.

أما الفيلسوف العربي "زكي نجيب محمود" فإنه يجد صلة بين الفن واللعب فيقول:"إن التلقائية في اللعب هي نفسها التلقائية في الفن، والتنفيس الذي يكون في اللعب هو نفسه التنفيس الذي

---

(١) زكريا ابراهيم. فلسفة الفن:٢٩٤.

(٢) ريتشاردز، مبادىء النقد الادبي:٣٠١.

(٣) Friedrich Von Schiller.

(٤) سوزانا ميلر، سيكولوجية اللعب، (ترجمة رمزي حليم يس، ومراجعة احمد زكي صالح)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤:١٥.

(٥) Herbert Spencer .

(٦) المرجع نفسه.

(٧) Karl Gross أستاذ الفلسفة بجامعة بازل في سويسرا.

(٨) المرجع السابق:١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يكون في الفن. والتنزه عن الغرض في اللعب هو نفسه التنزه عن الغرض في الفن، واهم من هذا كله، التعبير عن الكيان الإنساني. في مجموعه -لا هذا العضو وحده أو ذاك العضو وحده- هو في اللعب وفي الفن حد سواء. فانت لا تدري وانت تلعب أبالحواس تلعب أم بالعقل، لأنك تلعب بكل ملكاتك في آن واحد. وكذلك في الفن إذ تشخص ببصرك إلى صورة أو تصغي بسمعك الى نغم.."(١) ويضيف أن الفرد حين يلعب- كما في الفن -يصبح كائنا* متكاملا* غير منشطر ولا منقسم (٢).

وقد نقد الدكتور زكريا إبراهيم رأي هذا الفيلسوف بناء على مفهوم للعب شائع معروف، دون ان يعمد إلى تعريف المقصود باللعب، ونحن بدورنا سنحاول ان نعرف اللعب بانه نشاط انساني حر من جهة -باعتبار الرغبة في ممارسته -ومنظم من جهة ثانية باعتبار ان كل لعبة لها قوانينها ونظامها. ولا يقتصر اللعب على النشاط العضلي او الحركي بل منه النفسي، والعقلي والاجتماعي والروحي.. وبذلك تنضوي تحت اللعب نشاطات انسانية كثيرة فيها الفعل كمحور اساسي وفيها الحركة وفيها الحرية وفيها العضوية وفيها النظام... ولا يخلو اللعب من غائية او هدفية - بخلاف ما ذهب إليه زكي نجيب محمود - أليس الترفيه أو اللذة (روحية كانت أم معرفية أم حسيه) أو المتعة والسرور اهدافا* مناسبة للعب؟؟ اننا نقترح ان نطلق اللعب على كل نشاط انساني له صفة الحرية والنظام والغائية الخفية.. وهكذا فنقول: اللعبة السياسية، اللعبة الثقافية، اللعبة الايدلوجية... وكلها نشاطات لها الصفات يسالتي ذكرنا... ومنم هنا كان التقريب بين الفن واللعب تقريبا* غير سطحي وغير تافه كما وصف ذلك ريتشاردز في نقده لهذا الرأي.

---

(١) زكريا ابراهيم، فلسفة الفن:١٠٤.

(٢) انظر: المرجع نفسه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن المفيد ان نشير الى أن الانسان في طفولته الحضارية والمجتمعات البدائية والمجتمعات في مستواها الشعبي العام تتعامل مع ادب الاطفال باسلوبها اللعب، فهذا اقرب الى روح الفطرة وروح الفن. فان اغاني ترقيص الاطفال واغاني المهد ضرب من اللعب، وكذلك العاب الاصابع (يا باح يا باح) والالعاب الشعبية الاخرى التي يرافقها الكلام المقفى الموزون الذي قد يكون خاليا* من اي معنى(١). كبعض العاب الكرة، والعاب القفز على الارض المخططة والعاب الحبل وسوى ذلك(٢).

١٣. الفن خبرة:

صاحب هذه التفسير بلا منازع الفيلسوف المربي الامريكي جون ديوي الذي مضى بالفن الى ان يكون مجرد تجربة او خبرة. اي انه لا يعلو على مستوى الحياة العادية السوية (٣)، ولا الفنان تميزه مقدرة خاصة عن باقي الناس، او لديه اسلوب في اكتساب المعرفة ليس لدى الانسان العادي(٤). وهو يقترح لفهم التجربة الجمالية أن نرتد الى التجربة او الخبرة الحياتية العاديه، وتحليل هذه الخبرة يؤدي الى اكتشاف انها تجري في بيئة، وان التفاعل الانساني

---

(١) انظر: محمد عمران، ألعاب الأطفال وأغانيها في مصر، دار الفتى العربي، القاهرة، ١٩٨٣: ٩.

(٢) انظر: حسن الباش: اغاني وألعاب الأطفال في التراث الشعبي الفلسطيني، دار السجليل، دمشق، ١٩٨٦: ٧٣ وغيرها.

(٣) (١٨٥٩-١٩٥٢).

(٤) زكريا ابراهيم، فلسفة الفن: ١٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالحياة يتطلب تكيفاً -وهذه الخبرة تتطلب توازناً بين طاقات الانسان وطاقات الظروف الخارجية، ينشأ عن إشباع يحدث لصاحبه لذة (١). ولا بد لكل خبرة مهما يكن نوعها: عملياً أم جمالياً -من أن يلمح فيها نمط او نموذج (٢). ونسيج او بناء (٣).

١٤. الفن ضرورة:

هذه هي وظيفة الفن في راي الناقد ارنست فيشر (٤) اعلنها منذ أول سطر في كتابه " الاشتراكية والفن" بصيحة رقيقة مقتبسة من جان كوكتو عندما قال: " الشعر ضرورة وآه لو كنت اعرف لماذا " (٥) لكن ضرورة لماذا؟ ضرورة للتعويض عن حالة انعدام التوازن (٦) بين الانسان والعالم، فمهما ترقت المجتمعات فلن يكتمل التوازن بين

---

(١) انظر: المرجع نفسه: ١٠٢-١٠٤.

(٢) pattern

(٣) structure

(٤) ارنست فيشر، الاشتراكية والفن، (ترجمة اسعد حليم) دار القلم، بيروت، ط٢، ١٩٨٠.

(٥) المرجع نفسه: ١٣.

(٦) لريتشاردز راي في توازن الفنان وتفسير له ينبثق عن منهجه النفسي (انظر: ريتشاردز، مبادىء النقد الادبي: ٢٥٠-٢٦٠).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإنسان وعالمه وهذا يعني أن الفن سيظل ضرورة دائمة. ولكن الفن ليس مجرّد تعويض للحياة. إنه يعبّر عن علاقة أشدّ عمقاً بين الإنسان والعالم. فهو يشبع مجموعة واسعة ومتنوّعة من حاجات الإنسان. وبتغيّر المجتمعات تنشأ للفن وظائف جديدة.

واهمية نظرية فيشر انه يفكّر. وهو يبحث عن تعريف للفن وتحديد لوظيفته - في المتلقّي لا في الفنّان فحسب. فليم يقرأ الناس الكتب ويستمعون إلى الموسيقى ويشى دون المسرح ويرتادون السينما؟ هل هو البحث"عن الراحة والمتعة وفراغ البال"(١)لم يشعرون بالراحة والمتعة وفراغ البالعندما يغرقون انفسهم في حياة غيرهم ومشكلاتهم؟ لمَ يشعرون بذل وهم يبحثون عن انفسهم في قطعة موسيقية او لوحة او إحدى شخصيات رواية او مسرحية ؟لم يخيّل اليهم "أن هذا (اللاواقع) إنما هو واقع مركز"؟ وماهذه المتعة الغريبة المبهمة؟"(٢) هل هو الفرار من وجود، لايرضيهم إلى وجود اغنى؟ وانهم يريدون اكتساب خبرة دون التعرّض لمخاطرها؟ ومامصدر هذه الرغبة في تحقيق الحياة التي لم تتحقّق من خلال الشخصيّات الاخرى؟(٣)

يجيب فيشر:"من الجليّ ان الإنسان يطمح الى أن يكون أكثر مما هو. يريد ان يكون اكثر اكتمالاً. فهو لايكتفي ان يكون فرداً منعزلاً، بل يسعى إلى الخروج من جزئية حياته الفرديّة إلى "كليّة" يرجوها ويتطلّعبها، إلى كليّة تقف فرديتّه بكل ضيقها حائلاً دونها. إنه يسعي إلى عالم اكثر عدلاً، واقرب إلى العقل

---

(١) المرجع السابق: ١٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمنطق.وهو يثور على اضطراره إلى إفناء عمره داخل حدود حياته وحدها، داخل الحدود العارضة لشخصيته وحدها. انه يريد أن يتحدث عن شيء اكثر من مجرّد (أنا) شيء خارجه ومع ذلك جوهري بالنسبة اليه. إنه يريد ان يحوي العالم المحيط به ويجعله ملك يده. وهو - عن طريق العلم - يمدّ هذه (الأنا) المتطلّعة المتشوّفة لاحتواء العالم، إلى أبعد مجرّات السماء وإلى أعمق أسرار الذرة. كما يربط - عن طريق الفن - هذه (الأنا) الضيقة الكيان لمشترك للناس، وبذلك يجعل فرديته اجتماعيه..والفن هو الاداة اللازمة لإتمام هذا الاندماج بين الفرد والمجموع، فهو يمثل قدرة الإنسان غير المحدودة على الالتقاء بالآخرين، وعلى تبادل الراي والتجربة معهم"(١)

ولكن فيشر مايلبث أن يتساءل: هل الفن هو هذا الاندماج فقط؟ الا يحوي الفن نقيضه؟ الا يحوي عنصر الرفا والمتعة الذي لاينشأ عن ارتباط المتلقي بالفن بل عن انفصاله عنه؟ إذ يتغلّب عندئذ على التأثير المباشر للواقع، ويعيد تصويره على واه (٢)؟"فيجد في الفن عن هذا الطريق تلك الحريّة السعيدة التي لايجدها في حياته اليوميّة بقيودها ومتاعها؟"(٣) الا يجد المتلقي ذلك الازدواج نفسه وبين الفناء في الواقع من ناحية ونشوة السيطرة عليه من ناحية أخرى -في أسلوب عمل الفنا؟"(٤) إذ ان "العمل بالنسبة للفنان عمليه عقليه واعية وليس مجرّد انفعال او إلهام، وهو عمل

---

(١) المرجع السابق: ١٥ -١٦.

(٢) انظر: المرجع السابق: ١٦.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ينتهي بخلق صورة جديدة للواقع، تمثل هذا الواقع كما فهمه الإنسان واخضعه لسيطرته "(١)

إن على الفنان "أن يتحكّم في التجربة ويحولها إلى ذكرى، ثم يحوّل الذكرى الى تعبير، أي يحوّل المادة إلى شكل. فليس الانفعال كل شيء بالنسبة للفنان. بل لابد له أن يعرف حرفته، ويجد متعة فيها. ينبغي أن يفهم القواعد والاشكال والخدع والأساليب التي يمكن بها ترويض الطبيعة المتمرّدة وإخضاعها لسلطات الفن. إن الاشواق التي تحرق الفنّان السطحي تخدم الفنان الحق": فهو لايقع فريسة للوحش بل ينجح في ترويضه "(٢)

إن الفن "يحمل في أعماقه التوتّر والتناقض. فهو لايصدر فقط عن معاناة قوية للواقع، بل لابد له ايضاً من علمية تركيب، لابدّ له من اكتساب شكل موضوعي. ومايبدو من حرية الفنان وسهولة أدائه إنما هو نتيجة لتحكمّه في مادته "(٣)

١٥. <u>الفنّ تغيير /ثورة</u>:

يقول برتولت برخت: "إن مسرحنا يجب ان ينمّي لدى الناس متعة الفهم والإدراك، ويجب ان يدربّهم على الاغتباط بتغيير الواقع. لايكفي أن يسمع متفرّجونا كيف تحرّر بروميثيوس، بل يجب ايضاً ان يتدرّبوا على تحريره والاغتباط بهذا التحرير"(٤)

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق: ١٦ -١٧.

(٣) المرجع السابق: ١٧. اسرفت في الاقتباس من فيشر والاسترسال في عرض رأيه لأهميته الخاصة التي ستتضح فيما بعد في نظرية ادب الأطفال.

(٤) المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول برخت إن على الفن" في مجتمع يحكمه صراع الطبقات أن يكون اثره المباشر إخفاء الفروق الإجتماعية بين المتلقين بحيث تنشأ منهم في اثناء استمتاعهم بذل العمل "جماعة لاتنقسم إلى طبقات، وإنما تكون وحدة إنسانية شاملة "(١)كما ان على أن يمتلك المتلقين "لاعن طريق المطابقة السلبية بينهم وبينه ، بل عن طريق مخاطبة العقل، ودفعه إلى اتخاذ مواقف وقرارات "(٢)، ولذلك كان على الفن "ان يعالج القواعد التي يضعها الناس لسلوكهم على انها قواعد (مؤقته) بعيدة عن الكمال "

وبرغم هذه النظرة المتحركة للفن إلا" أن فيشر يلحظ أن في الفن شيئا" يعبّر عن حقيقة ثابتة (٣)..وهي التي تجعل أبناء القرن العشرين - مثلا" - يستجيبون الفن البدائي المنقوش على جدران الكهوف من عصور ماقبل التاريخ(٤).

ونحن نتساءل أليست هذه الحقيقة الثابتة هي الجزء الإنساني"المطلق - إن جاز الإطلاق -في الفن؟ إن هذا لا الفن الذي وُصف بـ"الخالد"هو الذي يحتفظ بتأثيره الدائم في فترات ابعد من اللحظة التاريخية التي نشأ فيها"(٥)وهذه المسألة اكدّ عليها

---

(١) المرجع السابق:١٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: المرجع السابق:١٩.

(٤) انظر : المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق: ٢١.لريتشارد راي مخالف في الخالد من الفن، فهو يرى أن النتاج الروئ يحظى بالخلود وأسوة بالنتاج الجيّد، ويرفض فكرة الجوهر الخالد في الفن، ويفسر الخلود بتجانس الدوافع التي يبدأ بها العمل الفني، أو تشابهها (أنظر :ريتشاردز ،مبادئ النقد الأدبي :٢٨٧ -٢٨٨).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ماركس، واندرية مالرو(١)فيما بعد الذي رأى أن الفنان يخلد أحلام الناس، وأن الفن "لاينزع نحو رؤية العالم، بقدر ماهو سيفال إلى خلق عالم آخر"(٢)وأن الفن ليس "مجرد لغة أو تعبير، بل هو أيضاً اداة تحوير أو تغيير"(٣)

١٦. الفن خلق

يتكرر القول إن الفن خلق نشاط خلاق، إبداع، نشاط، إبداعي..وهذا يعني بالضرورة أن الفن أو جزءاً مهماً منه عملية واعية بمعنى أن الفنان يسيطر على عملية الخلق عن وعي. وهذا يرد على اعتبار الفن إلهاماً أو عملية نشوة يفقد فيها الفنان سيطرته على نفسه(٤)، أو عملية لا عقلية، على عكس ما قال أفلاطون عن الفنان في محاورة إيون من انه "ملهم ومجذوب"(٥).

إن عملية الخلق عملية إرادية يتحكم فيها الخالق(الفنان) في نمو عقله، ويصوغه عن وعي في القالب الذي يريد ان يأخذه. صحيح أن الدافعيه وراء الخلق والإبداع مسألة مهمة، لكن الجانب الواعي في الخلق جانب مهم. وهذا لاينبغي أن يتم على حساب تلك الشرارات التي تؤجج شهوة البداع وتجعل الفنان يبدو من شدة استغراقه في التجربة مجذوباً او مأخوذ اللب. فمهما تكن العملية والمراحل التي يتم دخول الفنان منها لينتج عمله الفني، فإن مخاضة سيضع بين يديه مخلوقاً جديداً اسمه عمل فني جديد. وصحيح ان اللاشعور

---

(١) Andre Maloroux

(٢) زكريا ابراهيم، فلسفة الفن:١٥٦.

(٣) المرجع نفسه: ١٥٥.

(٤) انظر: جيروم ستولنيتز، النقد الفني: ١٣٤.

(٥) المرجع نفسه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تيضافر مع الشعور، لكن كلما وعى الفنان تجربته- مع امتلاك أدواته كان فنه أصدق وأكثر حرارة..

إن تشبيه عملية الخلق الفني بالجمل، فالمخاض، فالوضع فجدلعما صدى لدى الفنانين عموما، ويجري التشبيه في مجازات مختلفة عن"رسالة في صندوق بريد" "إناء المربي"، "اختزان البئر"(١)

إن الانجذاب أو الاستغراق الذي يبدو عليه الفنان أثناء الخلق لايعني بالضرورة انه أسير قواه اللاشعورية فالصانع الشديد البراعة الذي يندمج ويستغرق تماما في عمله كثيرا ما يحس بهذا الشعور.ولو مضى عمله في طريقه بلاجهد، ولم يصادف عقبات. فقد يشعر فعلا بأنه يستخدم قدراته الخاصة. بل يشعر كأن العمل يصنع ذاته...ولكن هذا الشعور لن يتملكه ... إلا لأن مهاراته قد بلغت من النمو حدا يستطيع أن يسير في طريقة بلاصعوبة"(٢) . وبرغم أن الإلهام يبدو مستغرقا الفنان، فإن الخلق يظل مع ذلك واعيا فليس صحيحا أن عقل الفنان يفارقه، ذلك أن عليه أن يتأمل عمله بإمعان ويصدر بشأنه حكما على أعظم جانب من الأهمية"(٣)وهو الحكم بأن هذا العمل كاف او مرض.ومن ناحية ثانية فإن الإلهام وحده ليس ضمانا لجودة العمل الفني(٤). ذلك أن على الفنان عندما يقدم إليه الإلهام شيئا أن يعيد صياغته وأن يدرسه بوعي وبطء(٥)

---

(١) انظر المرجع السابق:١٣٦.

(٢) المرجع السابق: ١٣٧.

(٣) المرجع السابق: ١٣٨.

(٤) انظر المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق:١٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفن خلق" ..يعني أن الفن لايأتي لأولئك الذين لايكرسون وقتهم جهدهم وإخلاصهم لفنهم. فالإلهام حتى يكون مؤثرا" وفاعلا" يحتاج الى يأتي إلى اناس يمتلكون فيضا" من التجارب والمعارف والمواد المتراكمة (١)فالإلهام يأتي الشاعر فيخلق شعرا" ، ويأتي الرياضي فيبتدع طريقة في حل المعادلات الرياضية مثلا" ، ولايعطي خلق هذا ذاك.

الفن خلق..ولذلك فإن الآلام التي عانى منهاكولبردج في أثناء كتابة قصيدته "كريستابل" (٢) تشبه آلام المخاض. والشاعر ستيفن قد أكد هذا عندما قال:"إنني أشعر بالرعب من كتابة الشعر...القصيدة جلسة مخيفة وجهد مؤلم من أجل تركيز الخيال" (٣). وكذلك كانت مشاعر فرجينيا ولف .

١. <u>الفن إعادة صياغة الواقع</u>:

برر" هذه النظر"ية على عدد من النظريات التي ترى الفن تصويرا" أمينا" للواقع (المحاكاة) او تحريفا" أو تعديلا" فيه ، أو تطهيرا" له ، أو تأثيرا" فيه ،..أو تعبيرا" عنه .....

ربما يكون أقرب النظريات المشار إليها إلى هذه النظرية هي أنه ثورة على الواقع، والثورة منطلق لإعادة صياغته. وتعترف هذه النظرية بمكو"نات الواقع :الإنسان، الطبيعة، العلاقات الإنسانية (المجتمع)، ولكنها تقترح صياغة جديدة لمفردات واقع يشكو من خلله...

ولما كان الإنسان يصنع الواقع وقوانينه ليكتشف بعد ذلك أنه بحاجة إلى أن يغير هذا الواقع ويخترق هذه القوانين، فإن" الفن

---

(١) أنظر المرجع السابق.

(٢) Christatble.

(٣) المرجع السابق:١٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو المؤهّل ليقود هذه الحركة باستمرار. فالخطاب السياسي الاجتماعي وميادين النشر الواسعة تشير وتحلل وتدرس وتبحث وتدلي بالنتائج، ولكن الفن بأدواته الخاصة، و(مباشرته)، وروحه المندمجة بالواقع والمنفصلة عنه في أن معاً هي التي تؤهله لأن يصنع واقعاً موازياً، واقعاً فنياً يبشر بالمستقبل، ويصفه، وهذه من جهة نبوءة الفن واستشرافه.

إن إعادة صياغة الواقع تعني خلقاً ولكن لاعلى المحاكاة -أي تكرار النموذج، أي النمطية (١) فذلك أن هذه الصياغة تحاتج كل العبرات والتفاعلات الثقافية والروحية والرؤى والآلام التي تتسلزمها عمليّة الخلق.

إذ لايكفي ان يصف الفن مجتمعاً فاسداً أو علاقات الاستغلال، بل عليه حسب هذه النظرية -أن يشير، ولو إشارة محمولة بدلالاتها الى طريق الخلاص. إن أحلام الفلاسفة في مدن فاضلة (أفلاطون (٢)، الفارابي(٣)، الدوس هكسلي(٤))تعبير غامض عن هذه النظرية أو الإحساس الفطري بها -بطريقة ما-.

---

(١) Stereotype

(٢) جمهورية افلاطون.

(٣) الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، دار العراق، بيروت، ١٩٥٥.

(٤) الدوس هكسلي، الجزيرة، (رماية) ترجمة سامي خشبة. دار التنوير، بيروت، ١٩٨٣ ومن مقدمة المترجم "ربما لم تكن هذه الرواية..آخر ما أبدعه ادباء الغرب المفكرون من رؤى تحاول تجسيد حلم: المدينة الفاضلة. ولكن ليس هناك شك في أن مدينة الدوس هكسلي - أوجزيرته - الفاضلة تنفرد بخصائص فنيه وفكرية تضعها في مصاف أجمل المدن الفاضلة في القرن =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن هذه النظرية تتعامل مع أحلام الفنانين الطوبائية التي يستحيل وجودها على أرض الواقع (كالمدن الفاضلة المشار إليها)، بل تلك التي تبحث فيه، وتدرسه، وتعرفه، وتميّز التقدمي فيه من المتخلف. لالتعيد إنشادية وثائقية لهذا المتخلف أو بكائية على آلام المعذبين في الأرض، وينتهي المشهد، إن الفن - من منطلق هذه النظرية - يبدأ من الواقع حيث هو، ولكنه من حيث هو يصور تناقضات التطور الاجتماعي. وينفذ إلى بنية المجتمع واتجاه تطوره في المستقبل (١)

والآن .....

ها هي ذي نظرية نقدية شتى نظرت إلى الفن من زوايا متعددة شديدة التباين. حاولت أن تجيب عن السؤال: لماذا الفن؟ الذي يصب في طبيعته ووظيفته معاً، لذلك أن "في أية مناقشة متماسكة لابد ان تكون طبيعة الأدب ووظيفة متلازمتين، فاستعمال الشعر ينتج من طبيعته "(٢)

= العشرين، رغم انها أكثرها تشاؤماً...أما نسيج الجزيرة الفاضلة القائم على الامتزاج بين كميات من تكنولوجيا الغرب، وتصوف الشرق، وعدالة البدائيين، ونزاهة الفلاسفة وصلابة الرياضيين، وجدية العلماء، وتهكم اهل الفن...فهو السر الأول لجمال هذه الجزيرة الفريد والوعي المجتمع الذي لمنحه لمن يرتحل منها .٢٢ (ص ٥ -٦).

(١) رينيه ويليك، مفاهيم نقدية، (ترجمة د. محمد عصفور)، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٧: ١٩٥.

(٢) رينيه ويليك، نظرية الأدب: ٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكننا ونحن بين يدي نظرية في أدب الأطفال نحتاج أن نلمّ بشتّى هذه النظريات جميعاً، وأن ننفي مابينها من تناقض - إلا التناقض الخلاّق - وأن ندمجها دمجاً لنقترح توظيفها بشكل فعّال في نقد أدب الأطفال -بما يتلاءم مع هذه المخلوقات التي مورس عليها الاهمال والأذى بصور شتّى عبر التاريخ، والتي مانزال نتعرّض في وفي النظريّات التربوية إلى هذا الأذى، خصوصاً في مجتمع عربي نعلم مقدار تخلّفه واستقباله السلبي الساكن لكل ماينتجه (الآخر) من نظُم وتقنيات ونظريّات وسواها....

لقد رأينا ونحن نستعرض النظريّات إن عُدلت واستكمل مافيها من نقص التصوّر، أو محدودية في النظر ستفي بحاجة نظريّة في أدب الأطفال. لذلك فإنّ الحديث النظريّ الاستعراضي السابق يدخل في صلب النظرية على النحو التالي.

ما أدب الأطفال؟

إننا سنسارع إلى اعتباره جنساً أدبياً يُضاف إلى الأجناس الأدبية المعروفة: الشعر والقصيدة (١)، القصة القصيرة، الرواية، المسرحية. وليس الهدف من هذا الاعتبار أن نسلط سيفاً فوق رأس الكاتب ليلتزم بالحدود (الشرعية) التي بين كل جنس وآخر، ذلك أن أدب الأطفال كجنس أدبي-في داخله ايضاً أجناس أدبية هي: القصيد (والنشيد)، والقصة القصيرة، والرواية، والمسرحية، والكتاب المعرفي، ومادة البرنامج التلفازي، والإذاعي...الخ)

---

(١) نستعمل "القصيد" مع الشعرلأن مفهوم الشعر لدينا مطلقٌ، وله تجليّات كثيرة منها القصيد، ومنها القصة، ومنها الرواية والفن التشكيلي.. وهذا التجلّي في هذه الأجناس ليس حتمياً بل يتوقف على المبدع ومدى اقترابه من هذا المفهوم الجذري الكليّ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن إعتبار ادب الاطفال بين الأجناس الأدبية التي في أدب الكبار ضرورة ماسة لأخذ الموضوع نقدياً بجديّة لازمة من جهة ، ولأننا سنرى أن هذا الأدب لايمكن فصله عن مجمل الطرح الفلسفي حول الفن وقضاياه ومسائله المتشابكة ، رغم خصوصيته من حيث المتلقّين ، التي تشير إلى ذلك الطيف من الغائية والتوجيه كما كنّا اشرنا في مطلع هذا الباب.

وإذا كنّا لانريد أن نمضي إلى التشكيك بنظرية الأجناس الأدبية التي لانعتقد بقدسيّتها ، والتي أشار رينيه ويليك وأوستن وارين إلى تشبيهها بمؤسسة الكنيسة أو الجامعة أو الدولة (١) ، وماعنيه ذلك من قوانين صارمة وضبط ستؤدي مع الوقت الى الحرفية والشكلية ...فإننا نعتقد في الوقت نفسه أن حاجة الأطفال والمجتمع العربي والأدب العربي ماسّة الى اجلال أدب الأطفال وإيلائه الاهتمام والعناية اللازمين..هذا من جهة . ومن جهة ثانية فإن لدى أدباء الأطفال انفسهم حرية تطوير الشروط الفنية لكل جنس أدبي، لأن الفن إن فقد روح التجديد والمغامرة ودخل في دورة المعاد المكرور في شكله وطرحه لم يعد فناً بل صار حرفة ...ذلك "أن اختلاط الفن بالحرفة كان يضعف استقلال الفنّان مادياً ومعنوياً ويقلل حريّة مبادهته وتقدّمه (٢) كما قال شارل لالو. فكما ادّى اختلاط الفن بالحرفة إلى دحر الفن بوصفه إبداعاً ، وتحويله إلى إدارة حفاظ دائمة على التقاليد البالية او على العادات الآلية . وكان عائقاً لكل تقدّم "(٣) فكذلك يصير الأمر في مسألة الأجناس الأدبية لدى الجمود عند تقاليدها ، لأنها ستبلى، ما في ذلك شك.

---

(١) رينيه ويليك، نظرية الأدب: ٢٣٧.

(٢) شارل لالو ، الفن والحياة الاجتماعية: ٤١.

(٣) المرجع نفسه: ٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا كان هذا الكلام سابقاً لأوانه، إلا أنه يُساق هنا تحذيراً مُطلقاً في عالم نقد أدب الأطفال، حتى لايصبح للأدوات التي نصقلها بأنفسنا ونبتدعها بخبراتنا وتجاربنا سطوة قهريّة تمنعنا من التطوير والترقي، ومن التجديد والنّمو السليم.

ونعود الآن إلى النظريات السابقة.

فهل يكتب الأديب ليعظ؟ إننا نستطيع أن نجمل النظريات التي تتناول الأخلاق والوعظ والتعليم والدين تحت عنوان واحد هو "الفن للمنفعة" ومن المؤكد أن أدب الأطفال لايدّعي ابتعاداً عن هذا المفهوم بمعناه الواسع. بمعنى أننا نكتب أدباً للأطفال لننفعهم: نعلّمهم، ونهذبهم، ونهذب نفوسهم وسلوكهم واتجاهاتهم، وننقل إليهم تراثهم...ولكن....هل يتم ذلك بالوعظ؟ من المؤكد والثابت أن أضعف مؤسسات وأساليب تعليم القيم للأطفال هو الوعظ. ذلك أن الوعظ يفرض على الأطفال القيم من خارجهم، ولذلك فإن اكتسابها منهم يتم لفترة قصيرة الأجل تتصل بدوام السلطة التي وعظتْ "ولاتنطوي على اية دافعية داخليّة ذاتية"(١) ولذلك فإن مؤسسة العقاب- كتقنية في تعليم القيم تفشل فشلاً ذريعاً وهو مايحرص عدد كبير من كتب الأطفال والكتب المدرسية على استخدامها والثلوج بها.

إن أدب الأطفال - من بين مهماته ووظائفه المتعددة يعلّم الأخلاق. ولكن اي أخلاق؟ إن مفهوماً مستنيراً واعياً ينبغي أن يمتلىء به اديب الأطفال قبل أن يلقي بكل ماحفظه وبكل، ماوصل اليه من مجتمعه من غيطات أخلاقية وتفسيرات جنسوية عن أدوار الرجال والنساء ومساوىء الاختلاط، والتركيز على المفهوم الضيّق للأخلاق..إن

---

(١) عبد الملك الناشف، القيم وقابليتها للتعليم والتعلّم، مجلة المعلم/ الطالب، معهد التربية، الأونروا/ اليونسكو. عمان، ١٩٨١: ١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قيم تحمل المسؤولية، وإتقان العمل، والغيرة على المصلحة العامة، والمحافظة عليها، والعمل التطوعي، والعمل الجماعي... كلها مما لايجوز إغفاله من أجل مجموعة عظات عن الأمانة والصدق وسواها (على أهميتها) والاكتفاء بها.. كما لابدّ من مراعاة أن الأخلاق نسبية، وأنها ليست دساتير قدسية لاتُمَسّ، بل تتطور، وتنمو وتموت كما الإنسان.

هل أدب الأطفال للمتعة؟

اننا هاهنا سنرى الأديب يتوارى، لأنّ شأنه لايهمّنا كثيراً. فالمتعة التي نريدها للأطفال وآتية: من أدبهم إليهم. فأدب غير ممتع لايجذبهم..فإذا لم يجذبهم الأدب فما قيمة هذا الأدب إذن؟

ولكن للمتعة في أدب الأطفال مقومات، فما هي:

أول هذه المقوّمات "التشويق". فهذا عنصر مهم في بنائية أي عمل فني للأطفال.

وثانيهما الإيقاع والحركة، فالطفل لايحب أن يتعامل مع ساكن، إنه ينطق الدمى، ويتحاور مع المقعد، ويسمع الأشياء تناديه والطبيعة تفتح ذراعيها...فكلّما امتلأ النص الأدبي بالحركة والإيقاع كان ذلك إليه أطرب وأقرب وأجذب.

وثالثها الخيال... فالخيال خصيصة من خصائص البدائي والطفل انه وسيلتها في تفسير العالم. إنه جزء أساسي وجوهري في تغليف الرؤى والتطلعات وفي فهم الواقع. فالطفل لايتعامل مع الحقيقة بعريها وصلافتها، ولكنه يجمّلها دائماً..يمنح لها أجنحة..يجعلها تنفجر بالمدهش والجميل والخرافي واللامتوقّع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورابعها المصداقية.. فالمجتمع في أدب الأطفال هوذلك الذي لايكذب، والكذب شيء والخيال شيء آخر. إن الطفل قادر ان يكتشف اين نسي الكاتب بعض التفصيلات، ومتى جعل شجرات السرو اربعة، ومتى جعلها خمسة. إنه في تتبعه للسياق يشغّل العقليّة الفطريّة ويكتشف عيوب الكتّاب وكذبهم وادعاءاتهم ويسخر من احداث لايمكن أن تحدث في الواقع، ولايمكن ان تكشف عن جمالية في الخيال، أو جمالية في السلوك...

والذي يجعل من أدب الأطفال ممتعا انه يلبّي حاجة لدى الطفل" فالأدب الذي يتعامل مع الأطفال على انهم راشدون، او على انهم لايفهمون، لايدركون أو على انهم مكتفون...يرفضه الأطفال.يريد الطفل ان يجد نفسه في الأدب. يريد أن يقرأ ويسمع عما يعنيه، ومايتصل بعالمه، ومايتعلّق باهتماماته، ومايشبعه ويغايره في وقت واحد..

هل أدب الأطفال للتطهير؟

قد يستعمل الأدب لذلك.. ذلك ان شيئا من أدب الأطفال يستخدم علاجا، فالأدب بمفهومه الواسع يزوّد الأطفال بمعرفة مناقضة للأفكار المستشكلة لديهم عن الواقع الذي يرفضونه أو يتجون عليه ولكن الأقرب إلى أدب الأطفال انه مجال لإثارة "اية انفعالات نسمح لأنفسنا أن نثيرها؟ الخوف، البكاء، السعادة، الفرح، الكره، الحب، مواجهة الموت إن الأدب العالمي لايتورّع عن أن يعالج هذه المشاعر، ووجهة نظرة في ذلك هو أن مواجهة الطفل للشعور السلبي في ظلال إحساسه بالأمن - يخفف تدريجيا من انفعاله الشديد بصدده.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن ليس المقصود من هذا تلك البكائيات التي يسوقها الأدباء لدينا ليجعلوا ادبهم مسرحاً لدموع: سخيفة تقف حاجزاً في سبيل النضج الانفعالي للأطفال.

إن تصعيد المشاعر وتخليص الطفل من توتراته مهمة أدب الطفل نفسه في مواجهتهما. وأدب الأطفال تأثير:

إنه يطمع أن يؤثر في متلقيه. أن ينقل إليهم إحساساً بالجمال، حيوية شخصية، أسلوب تفكير، طريقة معالجة، لغة شفافة، سماحة وجهة نظر. بكل ما يعمد إليه الكاتب من أسلوب ومجاز وطريقة تناول.

وأدب الأطفال محاكاة - بصورة ما - لجانب من الواقع الذي هو الطبيعة، نظام الكون، خصائص الثقافات والبشر... ولكنه ليس محاكاة أمينة، والا قتل الفن.

وأدب الأطفال عدوى؛ وإن كنا لانقيس أهمية الأدب بانتشاره بين الأطفال، فذلك يعتمد على أساليب الإغراء التي تتقنها اليوم التقانة الحديثة في الغرب. فأسوأ المسلسلات في التلفاز ينحبس أمامها الأطفال لساعات، رغم دابرة المضمون وسوئه.

وأدب الأطفال ترفيه أيضاً، فليس كل مافيه جداً خالصاً فالطفل بحاجة الى الترفيه حاجة ماسة وإذا دخل الأدب الى الطفل من تدخل اللعب كان ذلك أدعى الى الاحتفاء به. ويكون ذلك حيناً في إخراج مادة الأدب وانتاجها (الكتب المصورة، المتحركة، المجسمة، المائنة) او من خلال استراتيجية متحركة ومفات التلقائية والتنفيس والنظام والحرية التي هي خصائص للعب.

وأدب الأطفال خبرة، لأنه يقدم للطفل خبرة جديدة. وهو ضرورة لان الأدب يساعد الطفل أن يجد توازنه - أثناء نموه - بين العالم وبين نفسه. فالطفل كما الراشد يطمع أن يكون أكثر مما هو - كما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال فيشر- إنه يريد أن يكبر ويفهم ويعرف ويحقق إنجازاته، إنه يثور احياناً على ضآلة جسده، وضآلة قدراته، ويتمرّد على قوانين جسده ونموّه وعقله ليكتشف ويفهم ويجرّب.

وادب الأطفال للتغيير وإعادة صياغة الواقع. فإذا كنّا نكتب للاطفال ليكونوا المستقبل الأفضل، فإن علينا أن نشترط في أدبنا أن يعدّهم لذلك بأن يروا أمامهم نماذج لعوالم ذات علاقات أفضل، أو او عوالم تحل مشكلاتها بطرق موضوعية وتقدّمية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم' هذا الفصل ؟

تأتي الحاجة إلى هذا الفصل من أن" مكتبة الطفل العربي وبرامج الأطفال في وسائل الإعلام ومجلاتهم وصحفهم تحفل بمواد قرائية مضطربة من حيث المستوى والمضمون. وأن معظم مشكلات الكتابة للأطفال تنبع من جهل الكتّاب ماذا يكتبون، وغياب برنامج او ورقة عمل لدى الادباء في الاولويات التي عليهم أن يعوها قبل أن تنبثق في نفوسهم شرارة الإبداع او شرارة الفكرة المبدعة. بل إن هذه المشكلة لاتخص" الكتّاب المبتدئين وحدهم، فإن كتّاباً كباراً وقعوا في محدودية ماكتبوا، وتنتظرهم آفاق اخرى عليهم أن يفتحوها.

مصادر ادب الاطفال

من اين يستلهم اديب الاطفال ادبه ؟ بعبارة اخرى: ماهي مصادره ؟ هل هي تجربته الشخصية ؟ ام هي تجارب الآخرين في محيطه وبيئته ؟ ام من تجارب الماضي؟ ام انها تجارب الشعوب؟ ام انه ابتداع خياله ؟

١. الخبرة:

تقول "جين يولين" مخاطبة كاتب الأطفال:

" إن عقلك مثل كومة (خردة). ليس هذا وصفاً لطيفاً، ولكنه دقيق. إن كل ماشاهدته في حياتك، وكل ماسمعته، وقرأته، وشعرت به مخزون هناك قطعاً واجزاء صغيرة. بعض هذه (الخردة) يتصدّر الواجهة: ارقام هواتف الأصدقاء، قوائم البقالة، مواعيد أعياد الميلاد لأطفالك، عطر ابيك المفضّل (بعد الحلاقة)، كلمات أغنية مفضّلة ...وثمة (خردة) اخرى ظننتَ انك نسيتها. إنها تنتظر هناك لتُستعمل ...إنها تطفو على سطح الذاكرة فجأة. وهذا ماندعوه بالإلهام "(١)

---

(١) Yolen, Jane; Writing Books For Children, p. 10.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لاشك" أن" هذا الإلهام الذي وصفته "جين يولين" إلهام مضحك بالقياس لما وصفه وشرحه الإغريق والشعراء العرب والنقّاد فالفكر البراجماتي الذي يعتمد على مقولة "الفن خبرة "(١)يظهر جليا" في هذه العناصر التي ترى هذه الكاتبة أنها هي مكوّنات مصادر أديب الأطفال في أدبه . فإن ديوي قد بدأ من أجل فهم الظاهرة الجمالية -بتحليل الخبرة العادية الحياتية اليومية ، معتبرا" أنها الشكل الفعّال لتلك الظاهرة ، ولذلك فإنه رفض معظم النظريات التي تفسّر الفن لأنها تبدأ - حسب رأيه - من نزعة انفصالية سابقة أو من تصوّر روحي للفن. وأن التفسير الصحيح ينبغي أن ينبثق من صميم الخبرة الملموسة التي لاتعدّ عادة ذات طابع جمالي. هذه الخبرة التي تحدث دائما" في بيئة ، وتحتاج إلى تفاعل الإنسان معها من أجل التكيّف لها (٢) .

وبغضّ النّظر عن هذه المفردات(٣) التي تنتمي إلى الحضارة البورجوازية الاستهلاكيّة الأميركيّة بالذات(عطر مابعد الحلاقة ، تواريخ أعياد الميلاد...الخ) إذ لايعني أن يعيد أديب الأطفال العربي إنتاجها ، فإنّه مستطيع أن يحلّ" محلّها مفردات ثقافته ومجتمعه ، بحيث لايحدث التغريب الذي يحدثه عادة معظم الكتب المترجمة للأطفال -وخصوصا" تلك التي تحمل الطابع التجاري(٤) ،

---

(١) جون ديوي، الفن خبرة ،(ترجمة زكريا ابراهيم ، مراجعة زكي نجيب محمود) ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٣.

(٢) انظر زكريا ابراهيم ، فلسفة الفن:١٠٢.

(٣) المفردات هنا بمعنى عناصر وأحداث.

(٤) من أمثلة هذه الكتب: سلسلة "كتاكيت الغابة" وسلسلة "مغامرات في الغابة "وسلسلة "قصص مختارة "، وسلسلة "حكايات وأساطير" وكلها صادرة عن الشركة الشرقية للنشر والتوزيع، بيروت، =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولايحصر نفسه في معطيات الثقافة الاستهلاكية الوافدة على المجتمع العربي من خلال وسائط الإعلام (الجينز، الهامبرجر، ماركات الملابس الشهيرة ولكن" مفردات ثقافته ومجتمعه تأخذ - من حيث هي خبرة "لا سيرا" مطردا" غير منقطع أو مجرى" متدفقا" مستمر" ا" "(١) بل شكل أقاصيص تمتاز بحبكتها الروائية وإيقاعها الخاص، وطابعها غير المتكرر(٢)، ولذلك فإن خبرة الحياة اليومية العادية. يمكن اعتبارها مصدرا" مهما" من مصادر أدب الاطفال، لأن" الطفل لاينتظر منا" ان نغرقه بتنظيراتنا الفلسفية أو عظاتنا الأخلاقية أو عمقنا الفكري".. إنه ينتظر أن نقدم إليه الحياة لابمعنى المحاكاة المطلق، لكن بمعنى امتلاء أدبه برائحتها وتموراتها وملمسها ووقعها على حواسه.

ولكن الخبرة كمصدر من مصادر أدب الأطفال-لاتعني أنها مصدر مباح يغرف منه الاديب كيف يشاء. فليست كل تجربة من تجارب الطفولة أو الشباب تصلح ان تقدم للطفل، خصوصا" إذا كان سقف المعاناة في هذه التجربة عاليا" أو لاإنسانيا". فمشاهد الدم والقتل والتعذيب والضياع والخوف وماشابه ذلك لا يجوز ان يقدمها اديب الأطفال في أدبه على انها جزء من الواقع ومحاكاة له. إنه

= لبنان؛ وسلسلة "حكايات كل زمان" وسلسلة "الرياض الزاهرة"، وسلسلة "سلوة الصغار" وكلها من منشورات مكتبة سمير، بيروت، لبنان؛ وسلسلة "مجموعة عروستي" وسلسلة "مجموعة هيا نجري" وسلسلة "مجموعة لعبتي"، وسلسلة "مجموعة الأصدقاء العشرة" وكلها صادرة عن :دار المعارف بلبنان.

(١) زكريا ابراهيم، فلسفة الفن:١١٣.

(٢) انظر المرجع نفسه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يدمّر- من حيث لايدري -شيئاً ما في الطفل، طمأنينته، إحساسه بالأمن، هذا الذي لاتستطيع الحياة أن تبني لديه بناءها الإيجابي من دونه (١). ويبدو أنّ هؤلاء الكتّاب لايتساءلون لحظة ما الذي يستطيع الطفل أن يفعله لوطنه - مثلاً - إذا كان خائفاً ومذعوراً؟ وما الذي يستطيع أن يفعله للحياة إذا كان حاقداً؟

إنّ الكتابة للأطفال تشبه فيما يتّصل بحقل خبرة الكتّاب وخصوصاً الكتّاب الذين ينتمون إلى مجتمعات مضطربة النموّ مشوّهة البنية الثقافية -السّير في حقل الغام.

---

(١) يظن بعض الشعراء الذين يكتبون للأطفال أنّ الحديث عن الوطن المفقود مثلاً لا يكون نافعاً ومحرّكاً لوجدان الطفل إلا إذا كان دموياً أو عنيفاً..انظر مثلاً قصيدة "العصفور المأسور" (يوسف حمدان،غنّوا لفلسطين، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمّان، ١٩٨٥: ٣٨-٣٩):

... اكتب عن عصفور
في قفص مأسور
من فوقه الغربان
والصقور والنسور
من تحته الأسود
والذئاب
والضباع والنمور
مخالبٌ تمزّق
الصخور
وأعينٌ من حوله
تدور

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أي الخبرات يتجاهلون؟ او واي" الخبرات يصطفون؟ واي الخبرات يقدّسون؟ تلك معضلة تحلّلها لهم شروط ثقافتهم المكتسبة بالجهد الوعي والدرس والإطلاع، وهو ما فصّلناه في الفصل الأول من الباب الثاني.

التراث الشعبي

يعتبر التراث الشعبي مصدراً مهمّاً من مصادر الأدب،

تطايرت شرور
امضى لهم مقهور
اغض لهم مذعور
ولم يزل محاصراً
في القفص الصغير
وصامداً
وصابراً
يحلم أن يطير
فهل تعلمون
من يكون
ذلك العصفور".

وانظر ايضاً "ارض البطولات" (على البتيري، القدس تقول لكم، منشورات رابطة الكتّاب الأردنيين، عمان، ١٩٨٣: ٤٧ -٤٨) :

... إنني طفلٌ ولكن
لستُ من يخشى المنية
ادفعُ الاعداءَ انفيهم
عن الأرض الزكيّة
بالكفاح المرّ ياحيفا =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخصوصاً أدب الأطفال . إن كبار الكتّاب في العالم قد احتفوا بالتراث الشعبي الخاص بأممهم ، وبالتراث الشعبي العالمي، على النحو الذي عرفناه من احتفائهم بألف ليلة وليلة ، بل إن هذا

ويايافا الوفيّة*

بالدّم الجاري على

أرض البطولات الأبيّة*

اصبري يا أمنّا

فالصّبر مفتاح القضية*

ابشري يا أمّنا

قد صار عندي بندقيّة*....."

هل يعلم هذا الشاعر ماذا يعني أن يحمل الطفل بندقية ؟ وما معنى أن لايخشى المنيّة ؟ وهل هذه هي التربية الوطنية من خلال الشعر؟؟

ومن أمثلة ذلك في القصة مناظر الجثث(في النص اللغوي وفي الصور) والجرحى والدمار والدم (روضة الفرخ العدهد ، الزمن الحزين في دير ياسين"،سلسلة حكايات بطوليّة للأطفال"، عمان، د.ت ٢٥- ٢٧): "وتسقط بالقرب من حياة قذيفة ، وترى الشيخين ...وقد قضت عليهما الدبابة وتجيب زينب بكل لغة وخوف: الحقيني يا معلمتي، والدي في خطر، الدم، الدم...تصل زينب مع معلّمتها حياة البلبيسي إلى بيت الحاج عايش، وترى حياة امرأة عجباً تقشعر له الأبدان. ترى الأعداء يصعدون بيت الحاج عايش ويرمون جثّته من السّطح يارب" !ماهذه الوحشيّة ! عجوز في الثمانين ويرمونه بلا هوادة ؟".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاحتفاء،قد تجاوز المبدعين إلى النقّاد فقد إستعمل النقاد الانجليز ببشلاً حكايات الف ليلة وليلة "على انهّا اساسيّات نقدية في تقويم وتثمين الاعمال الروائية والقصصية الإنجليزية (١) في الفترة مابين (١٧٠٤ -١٩١٠) ونرى ناقد مجلّة "الناقد البريطاني" (٢) يعمد إلى مدح روايات سكوت عند ظهورها عام ١٨١٤ مشيراً عند مقارنتها بحكايات شهرزاد إلى انهّا (اي روايات سكوت) "يجب أن توضع في المستوى نفسه مع ليالي السّمر العربية ، حيث انّ في الليالي تبدو القصّة -مهما جلبت انتباهنا لبرهة -اقلّ اهميّة بالمقارنة مع الصورة الأمينة المطروحة فيها لطباع الشرق وعاداته" (٣) كما أن نقاد القرن التاسع عشر الانجليز "رضوا عن عناصر معيّنة في الليالي ماكانوا يسمحون بها في غيرها من الأعمال" (٤).

هذا عن النقّاد، ناهيك عن الشعراء أمثال:ووردزورث، وبكفورد ووينرايت، وكوليردج، ولي هانت وكونكلنغ وتنسون مود (٥) ، والقصاصين امثال: سكوت(٦)وروبرت لويس ستيفنسن (٧).كما ان اثر الف ليلة وليلة لايمكن إغفاله ولااختفاؤه في اعمال الروائي

---

(١) محسن جاسم الموسوي، الوقوع في دائرة السحر:الف ليلة وليلة في نظرية الأدب الانجليزي، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٦ :١٨٢.

(٢) British Critic.

(٣) المرجع نفسه : ١٨٣.

(٤) المرجع السابق.

(٥) انظر : المرجع السابق: ٩٣ -٩٤.

(٦) انظر: المرجع السابق :١٨٢.

(٧) انظر: المرجع السابق ١٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز وخصوصاً في رواياته :"خريف البطريرك"،و"مئة عام من العزلة"، والحب في زمن الكوليرا"، وخصوصاً في خاميّة "العجائبية" التي تشكّل شكل الرواية ومضمونها في آن معاً، وهو اثر مستقى من أجواء وعوالم وتفصيلات الف ليلة وليلة. كما ان هذا الاثر الخالد قد الهم عدداً من المبدعين العرب طه حسين، توفيق الحكيم، نجيب محفوظ، غيرهم وهذا الاخير كتب إحدى أجمل رواياته واقواها "ليالي الف ليلة"..

كل ذلك لنمهّد تمهيداً لايحتاج إلى دليل كبير انّ التراث الشعبي بأدبه واشيائه الاخرى يمكن أن يكون ملهماً لاعمال ادبية وفنية خالدة (١).

وفي مجال ادب الاطفال ، فإن الاخوين غريم (٢)قد دوّنا لأوّل مرة في الآداب الاوربية مجموعة من الحكايات الشعبية الشهيرة مثل :"موسقيتو مدينة بريمن" و"الجمال النائم" و"رابونزيل"(٣) (٣)وسواها خميصاً للاطفال . وثمة شعوب كثيرة قد جمعت قصصها

---

(١) لم يتوقف اثر الف ليلة وليلة مثلاً - على الشعر والادب والنقد فحسب، بل تجاوز إلى الفن التشكيلي. وفي ملاحق كتاب :"الوقوع في دائرة السحر" عدد من صور بعض هذه اللوحات التي رسمت وصوّرت بعض أجواء وشخصيّات الف ليلة وليلة (رسوم ادموند دولاك، فورستر، سميرك)

(٢) انظر: <u>حكايات الاخوين غريم</u>، (ترجمة عبد الرحيم صالح الرحيم ولمعان عبد العزيز السعدون ، رسوم نبيل يعقوب) دار ثقافة الاطفال ، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٧.

(٣) هي نفسها حكاية "سيسبان بنت الغول" المعروفة في الادب الشعبي العربي، وقصص الاخوين غريم لاتخلو ابداً من تاثيرات القصص الشعبي العربي وخصوصاً "الف ليلة وليلة".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعبي وقدمته لأطفالها، ومن هؤلاء أدباء الأطفال العرب(١) أمثال: كامل كيلاني، والدكتورة سهير القلماوي، وتوفيق الحكيم وكثير من دور النشر العربية. بل إن الأمر لم يقتصر على الأدب الشعبي لأمة بعينها فقد تجاوزوا ذلك إلى آداب الشعوب الأخرى ينقلون منها لأطفالهم لما فيها من سحر الخيال، ومذاق الحضارات والثقافات المختلف، ومايحمله ذلك من غرائب ودهشات لاتنتهي.

غير أن هذا التراث، ما صار منه مدوّنا ومايزال على السنة الأمهات والجدّات والآباء والأجداد والعامّة يحتاج من أديب الأطفال إلى جهد الاختيار والتطوير والتصفية والتعديل حتى يلائم حاجات الطفل وتطلعات فلسفة مجتمعه الى بنائه واكتماله بما في ذلك فلسفة التربية، فليس كل مافي هذا التراث خير، إذ ان من أبرز خصائص الأدب الشعبي انه ينمو عبر العصور، وأنه لذلك يحمل قيما متعارضة ومتناقضة. كثير منها ايجابي، وكثير منها سلبي. ألم نعرض في الفصل الأول من هذا البحث إلى أغاني ترقيص الأطفال وما تؤسسه من قيم تناسب المجتمع الذكوري، مع نظرة دونية نحو

---

(١) من امثلة ذلك: تاكاشي شيموكا. أميرة ضوء القمر، (حكايات شعبية من اليابان) - ترجمة عبد المقصود محمد - دار ثقافة الأطفال، بغداد، ١٩٨٨؛ البطة الصغيرة العرجاء (حكاية شعبية اكرانية)، دار نشر دنبرو، الاتحاد السوفياتي؛ وعبد الفتاح الجمل، حكايات شعبية من مصر، (رسوم إيهاب شاكر)، دار الفني العربي، القاهرة، ١٩٨٥؛ وسهير القلماوي، من حكايات جدّتي (إعداد عبد التوّاب يوسف) =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المرأة؟؟ إن صورة المرأة بالذات في التراث الشعبي تتبلور أحيانا" على نحو تقدمي وتكون رمزا" للمرأة العربية الواعية الذكية المثقفة المخلصة الحكيمة المحنكة، كما ظهرت لنا شهرزاد في ألف ليلة وليلة ...وأحيانا" تبدو على نحو قبيح من الخيانة والخداع والنميمة والانتهازية وشريط طويل من الصفات المهينة، كما ظهرت" في كثير من قصص ألف ليلة وليلة نفسها.

ومع اهمية هذا المصدر في إثراء الخيال والامتلاء بروح الأمة الشعبية الا" أن" الوعي على هذا التراث، كما هو الوعي على

رسوم فريدة عويس)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣؛ وعصفورة وجرادة (سلسلة اجمل الحكايات الشعبية) إعداد يعقوب الشاروني، رسوم حلمي التوني- دار الشروق، بيروت،ط ١، ١٩٨٣؛ والأميرة البيضاء أو بياض النهار، (بروبها توفيق الحكيم، رسوم مصطفي حسين)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨؛ و"سلسلة قصصنا الشعبي"، بيت الحكمة، بيروت،وسلسلة "حكايات شعبية "دار ثقافة الأطفال، بغداد؛ وسلسلة "حكايات شعبية" دار ثقافة الأطفال، بغداد؛ وسلسلة "من حكايات الشعوب "دار الفتى العربي، القاهرة، وسلسلة " ألف ليلة وليلة المصورة" - هذبها واشرف على إخراجها المحامي سهيل ايوب. دار كرم بدمشق؛ وشواطيء الأحلام: حكايات لأدباء روس (ترجمة برهان الخطيب) دار رادوغا، موسكو، ١٩٨٣ وقد جاء فيها "الحكايات التي تضمنها هذا الكتاب من نتاج الأدباء الروس في القرن التاسع عشر؛ من بينهم الشاعر العظيم الكسندر بوشكين، وفلاديمير دال العالم اللغوي البحار الطبيب العسكري الذي جاب جميع أرجاء روسيا، ثم الفيلسوف والموسيقار فلاديمير أودويفسكي، والمربي البارز قسطنطين =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التراث المكتوب، ضرورة ماسّة لايتخلّى عنها اديب الأطفال وإلا سقط سقوطاً ذريعاً.

٣. التراث المكتوب

يعتبر التراث المكتوب ملهماً ضرورياً واساسياً في نظريّة أدب الأطفال التي نطرحها. فقد لاحظنا -من جهة- تلك القطيعة التي تتمّ بين اطفالنا وبين تراثهم في مجتمع وضّحنا انه مخترق، وانّه

= اوشينسكي، وآخرون.نظر الكتّاب الروس إلى حكايات الشعوب الاخرى ذات النفس الشعري بشغف عميق، فقد استوحى ميخائيل ليرمنتوف حكايته من ملحمة قفقاسية، كما استثمر الكاتب المهندس الرحالة نيقولاي غارين الفولكور الكوري، بينما صوّر ليف تولستوي والكسندر كوبرين في عمليهما هنا الحكمة الشرقية .ورغم تنوّع الحكايات هنا، فإن مايوحدها الطموح إلى الحقيقة والخير واحترام العمل، وحب الارض الام".

كما اننا يجب ان لانسى مافعله وبسّطه ونقحه وقدمه للأطفال الكاتب العربي "كامل الكيلاني"، فمما قدمه من قصص الف ليلة وسواها: كامل الكيلاني شهرزاد بنت الوزير (عربي انجليزي) دار مكتبة الأطفال، القاهرة، د.ت.، قالت شهرزاد: صانع الأعاجيب، دار مكتبة الأطفال، دار العهد الجديد للطباعة، القاهرة؛ قالت شهرزاد: عجيبة وعجيبة، دار مكتبة الأطفال (اول مؤسسة عربية لتثقيف الأطفال) القاهرة، علاء الدين (قصص من الف ليلة وليلة، دار المعارف بمصر؛ بساط الريح (للصف الاول الإعدادي)، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٦٤؛ القمر الهندي (اساطير العالم للأطفال)، دار المعارف، القاهرة، في غابة الشياطين (قصص هندية)، دار المعارف، القاهرة، ط١١، ١٩٨٤....وغيرها كثير جداً.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعاني من ازدواجية ثقافية وحضارية، وأنه ينتج مؤسسات مشوّهة تعيد إنتاج النماذج الثقافية المشوّهة والقيم المهينة التي يضطرب بها هذا المجتمع. فالهتك الثقافي(١) الذي يتعرض له أطفالنا له أسبابه، ومن بينها ضلال وسائط الإعلام، وعجز النظام التربوي والتعليمي، والتغريب المستمر أو التحجّر الفكري اللذين يتجليّان على طرفي نقيض فيما يكتب للأطفال العرب....

إننا نعتقد أن عودة صحيحة وسليمة إلى هذا التراث تتجلّى في الاطلاع عليه ودرسه واختياره وانتقائه وتعديله بما يناسب الطفل وقدراته، ستساهم في إنضاج حركة في أدب الأطفال موصولة بجذورها، غير منبتّة عن أصولها. ومن أساليب هذه العودة مايلي:

١. تبسيط النصوص وتيسيرها،

على نحو ما نعرف من تيسير أيام طه حسين(٢)، وأهل كهف توفيق الحكيم (٣)، وبعض مؤلفات يحيى حقي(٤) وتيسير البخلاء للجاحظ، وكليلة ودمنة لابن المقفع - كما أشرنا من قبل-.

ونقترح تيسيراً لبعض المقامات، وهذا مالم يتّم حتى الآن، مع أن في فن المقامة خصائص مغرية للطفل بما فيها من قصّ وإيقاع وإثارة وسواها.

---

(١) انظر: زليخة ابو ريشة، الأطفال والمستقبل: التعليم، بحث مقدم لندوة "الطفولة في مجتمع متغير، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ١٩٨٨: ٣٠.

(٢) أيام طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

(٣) توفيق الحكيم، أهل الكهف "للأطفال" (سلسلة حكايات توفيق الحكيم، رسوم مصطفى حسين)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠.

(٤) عن الهيئة المصريّة للكتاب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢. التأليف على هامش التراث:

كقصص القرآن الكريم، وإعادة سرد السيرة النبوية وسير العظماء والنابهين، وبعض الوقائع المهمّة وسواها، وهذا كثير في مكتبة الطفل العربي.

٣. تقديم التراث كما هو:

وهذ الأسلوب نقترحه في إطار نظرية لأدب الأطفال ونزعم انه يُطرح على هذا النحو- ربما- لأوّل مرة في أدب الطفل العربي، مدركين أن الكتب المدرسية الأولى قد تضمّنت نصوصاً أصلية لشعراء وناثرين كبار، وخصوصاً كتب المطالعة، ولكنّ مثالب النصوص كانت أكثر مما قدّمته من فائدة، وخصوصاً انها كانت مغرقة في انغلاقها من حيث اللغة والمفاهيم، خصوصاً إذا علمنا ان ما نطرحه مقترح لجميع مراحل العمر القرائي، لا لأولئك الذين يتمتعون بعمر قرائي متقدم فحسب.

ويتمّ هذا الأسلوب على مراحل وبخطوات هي:

أ. الإطلاع الواعي على التراث المكتوب:

شعراً ونثراً فنياً ومعاجم لغة وكتب أخبار وقصصاً وسواها..ومن هذا التراث: الأغاني، العقد الفريد، المقامات، الحيوان للجاحظ، قصص الحيوان الكبرى، الأمالي، معاجم اللغة: المخصص لابن سيدة، فقه اللغة للثعالبي، الألفاظ الكتابية للهمذاني، لسان العرب، كتاب الخيل للأصمعي، كتاب العين للخليل، الإحاطة في أخبار غرناطة.... وغيرها.

ب. تخيّر مواد مناسبة من هذا التراث للأطفال

والمناسبة تعني ملاءمتها لخصائصهم النمائية وأهم ماينبغي الاهتمام به في هذا المجال اهتمام الطفل بموضوع النص وتوافر عنصر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"المقروئية" في هذه المواد والمقروئية تعني: قابلية النص للقراءة والفهم معاً، أي أن يكون الطفل قادراً على قراءة هذه النصوص والمواد المختارة وقادراً على فهمها. فهل في التراث مواد من هذا النوع ؟

جـ. إعداد مقترحات للإخراج

قد نجد نصوصاً يستطيع الطفل أن يقرأها، ولكن الفهم يغمض عليه أحياناً بسبب بُعد الشقّة عن استعمال ألفاظ بعينها، أو اختلاف البيئة الطبيعية أو الاجتماعية. فماذا نفعل؟

في ظلّ التطور التكنولوجي لم يعد عسيراً أن يقدّم النص اللغويّ مصاحباً بما يتاح من تصوير متقن دالّ، أو أشرطة تسجيل أو أشرطة (فيديو)، فما لاتشرحه اللغة -إذ أن هذا الأسلوب يتطلّب عدم تدخّل لغويّ البتة من الكاتب أو المعدّ- تشرحه الصورة (أو الشريط).

إننا نعلم أنّ التراث العربي غنيّ بنصوص يستطيع الأطفال قراءتها ولا يستحيل عليهم فهمها، وسيطربون للاتّصال بها.. نصوص من الشعر الجاهليّ، ونصوص من خطب العرب وأمثالهم، ونصوص من القرآن الكريم، ومن الحديث الشريف(١)، ونصوص من معاجم اللغة مختارة

---

(١) من المؤسف أن المسلمين يتحرّجون أن يقدّموا لأطفالهم القرآن الكريم مع صور خلاّبة تفسّر لهم الجوّ، وتقرّب إليهم المعنى : كما أنهم لم يفكروا حتّى الآن أن يصاحبوا شيئاً من كتبهم الاسلامية والدينية للأطفال بأشرطة مسجلة وسواها، مع أننا نظنّ - بل نعتقد -أن استخدام تقنيات الرسم والتصوير والتسجيل المرئية والمسموعة لاتتعارض مع مبادىء الإسلام وقيمه، إذ أن من المتفق عليه - حتى لمن ينكر التصوير أن التصوير مباح إذا كان لغايات التوضيح والشرح.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بدقة كبيرة (١) ..ونصوص من كتب الأدب والأخبار - كما ذكرنا .

ولذلك، وبعد أن يختار الكاتب مادته يعد مقترحاته وتصوراته لإخراجها، ونوع الوسائط السمعية والبصرية التي يحتاج إليها، وقد يلجأ إلى وضع دليل مصاحب يستعمله الطفل وحده أو بإشراف الراشدين...

ولابد أن نشير إلى أن الاهتمام بالتراث ينبغي أن يتم بعين عصرية تقدمية تعي ماتفعل غير مندفعة بالعواطف المعتادة نحو القديم لقدمه، نحو الماضي لأنه كان حاضر أجدادنا (العظام)!

٤. <u>التراث العالمي</u>

وهذا التراث يمد في مخيلة الكاتب، ويثريه بالأفكار، ويقدم اليه الثقافة التي يحتاج إليها الأديب عموما في اطلاعه على كلاسيكيات الادب، ودرسه لتقنياتها، فتجارب الآخرين، وخصوصا من تقدموا علينا في مجال الاهتمام بأدب الأطفال، تغني تجاربنا، وتقدم إلينا مستويات متنوعة من التعامل مع الطفل في الأدب، وتخبرنا ما الذي لدينا وما الذي ينقصنا.....وغيرذلك.

---

(١) لدى الباحثة مشروع متكامل عن "تقديم التراث كما هو" للأطفال اسمه "صفحة من كتاب" تخيرت مواده من معاجم اللغة واقترحت إخراجها إخراجا فنيا باهرا مع دليل تنشئه وشريط تسجيل تسجل عليه مواد لها علاقة بالنصوص المختارة. ومن الجدير بالذكر أن هذا المشروع قد جرب على الأطفال في صورته الأولية واثبت ملاءمته لهم (كان ذلك عام ١٩٨٠ في مدرسة إناث النزهة الإعدادية للبنات وكالة الغوث، عمان).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥. الإبداع الذاتي:

وهو الذي تتم فيه ولادة الأدب من مخاض كل ما سبق، جديدا وإضافة. وهذا يعتمد على ملكات الأديب الإبداعية وثقافته وإخلاصه في العمل والتوجه للأطفال ومعرفة ما الذي لم يقله من سبقوه، وما الذي عليه ان يقوله في هذا الزمان في هذا المكان في هذا الظرف .....

إن المخيلة واللغة والأسلوبية، اي مهارات الكتابة الإبداعية هي التي يفجر امتلاكها تلك التجربة الحسية او الروحية او الثقافية التي يريد الأديب ان يعبر عنها او يريد إخراجها للأطفال ..التجربة المعاشة او التي ينبغي ان تعاش من حاضر العصر وهمومه وقضاياه. إن هذا المعادل (الإبداع الذاتي) هو الذي يعدل الكفة مع جانب التراث فلا يطغى احدهما على الآخر، ولانستغرق في الماضي ونسى الحاضر (١)...

محاذير في أدب الأطفال

لما كانت الكتابة للأطفال- كما ذكرنا - خطرة كالسير على أرض زلقة فإن معظم من كتب في الموضوع قد حذر من مغبة وقوع الكاتب فيما يسمى مجازا بـ" الأخطاء المميتة " ذلك ان تهشيم نفس الطفل وعقله من اسهل الأمور وايسرها، وسبيل ذلك في مجال ادب الأطفال ان نقدم إليه مواد لاتراعي النزاهة والدقة او مواد

---

(١) انظر توسعا وإطارا للموضوع: زليخة ابو ريشة (معقبة)، الرؤيا الثقافية للطفل العربي، (تعقيب على بحث الدكتور محمد ابراهيم حور) الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت، ١٩٨٨ : ١٣٦ -١٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مدمّرة تخرّب بنيته الأخلاقية وأسلوبيته العقلية وتقلب له قيم الحياة وقوانينها وتعطّل قواه الروحية والتفكيرية (١).....وغير ذلك.

والمحاذير التي سنقدمّها الآن مستخلصة من التجربة الشخصية ومن آراء الكتّاب في الموضوع. وسنصوغ العناوين القادمة على شكل تحذير:

١. تجنب الوعظ والإعلان عن الغاية الاخلاقية او المغزى إذ أن الوعظ -من حيث هو اسلوب في التربية- كما ذكرنا اضعف الأساليب تأثيراً في الناس، وأقلها مردوداً. ناهيك عن أن التجربة -تجربتنا الشخصية التربوية الطويلة- هدتنا إلى أن الطفل ينفر من جفاف أسلوب المواعظ، ويسخر من مباشرتها، وهو عندما يقرأ يبحث عن المتعة، فإذا استفاد في اثناء ذلك فلا بأس. تقول جون إيكن: "انا شخصياً، أعتقد انه يجب تجنّب الرسالة الأخلاقية الصريحة كتجنب الطاعون.. يفترض في الكتاب ان يكون للتسلية .. فمن انت على اي حال لكي تلقي المواعظ الاخلاقية على الصغار؟" (٢) ولكن التسلية التي تشير إليها إيكن ليست ملء الكلمات المتقاطعة أو القراءات الخفيفة أو المسلسلات (الكوميدية) (٣)، بل تعني المتعة.

---

(١) انظر على سبيل المثال التوجّه والأمثلة التي قدّمناها في مقالتنا: زليخة ابو ريشة، أدب الأطفال العرب والانحراف، مجلة المستقبل العربي، العدد ٩٤ شهر ١٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٦: ٩٥.

(٢) جون إيكن، كيف تكتب للأطفال: ٢٠٨.

(٣) Comic.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢. تجنب وصف العنف وما يتعلّق به من وصف لعمليّات القتل وسيلان الدم. وهذا الشرط لا تساهل فيه، لأن كل الدراسات تشير إلى خطره المروّع(١).

٣. تجنب الاستغراق بروح الجدّ، والمراوحة بين الروح الفكهة والخطاب الجاد. فروح المرح والسخرية والفكاهة كلها يمكن أن تكون سمات لأدب ممتع للأطفال ومفيد في آن معاً. إن سلسلة من افضل ما انتجته المكتبة السوفياتية للأطفال -مما ترجم الى العربية- تعلّم الطفل حقائق الحياة، وكثيراً من تفصيلاتها، وتربي، وتهذب، (دون أن تعلن عن غايتها الأخلاقية) وذلك بأسلوب فكه شائق مرح. واسم هذه السلسلة "حكايات الجاهل"(٢)، وهي تعرض في كل كتاب حادثة للجاهل الذي يحب في كل مرة ان يكون شيئاً، مرة شاعراً، ومرة رساماً، ومرة عازفاً، ومرة عالماً.... وهكذا في اثناء مغامرات جهله المضحكة يجري حوار بينه وبين شخص مرجعيّ، بحيث يقرأ الطفل ما يقوله الجاهل وما يتنكّب كل الحقائق للتمسك برأيه، ليرى صورة

---

(١) انظر: زليخة ابو ريشة، ادب الأطفال العرب والانحراف: ١١٧-١١٨ وانظر ايضاً لينا غريس، اثر نتائج السلوك العدواني المتلفز على سلوك الأطفال العدواني، (رسالة ماجستير)، الجامعة الأردنية، كلية التربية، عمان، ١٩٨٢. (غير مطبوع)، انظر ايضاً دراسات انحراف الأطفال وما تحذر منه.

(٢) نيقولاي نوسوف، كيف صار الجاهل موسيقاراً؛ وكيف ابتكر العالم الكرة؛ وكيف ركب الجاهل السيارة الفازية، وكيف نظم الجاهل شعراً (سلسلة حكايات الجاهل)، ترجمة غائب طعمة فرحان، الرسوم لبوريس بيكر كالاؤوشين دار رادوغا، موسكو.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نفسه المعاندة أو المكابرة. وكم تبدو ردوده سخيفة (لكن بمرح)! وكم يستمتع الأطفال ويتعلمون(١).

---

(١) نقتطف هنا مقطعاً من قصة "كيف صار الجاهل موسيقاراً":

"كان الجاهل إذا اقبل على عمل، لم ينجزه كما يجب، بل كان يخرج من بين يديه على غير مايجب. تعلّم القراءة ولكنه لايقرأ الكلمة، إلاّ مجزأة والكتابة ينقشها نقشاً. كان الكثيرون يزعمون أن دماغ الجاهل فارغ تماماً، ولكن هذا غير صحيح، وإلاّ فكيف كان بإمكانه ان يدبّر اموره؟ بالطبع، كان يدبّرها بشكل سيء، ولكنه كان يرتدي الحذاء في رجليه لا على رأسه. إن هذا ايضاً يحتاج إلى تدبير.

لم يكن الجاهل رديئاً فقد كان يرغب كثيراً ان يتعلّم شيئاً ما، ولكنه لم يكن يحب ان يصبر. كان يحبّ أن يتعلم واساً، ودون بذل أي جهد. وهذا ماكان من الممكن ان يحصل، بالطبع، حتى لأكثر الأقزام ذكاءً.

كان الصغار والصغيرات يحبّون الموسيقى كثيراً. وكان السنطور موسيقاراً رائعاً. كانت له ادوات موسيقية متنوعة. وكان غالباً مايعزف عليها. وكان الجميع يستمعون إلى الموسيقى ويثنون عليه كثيراً. وكان الجاهل يحسد السنطور على ثناء الناس عليه، ولهذا اخذ يرجوه:

- علمني العزف. انا ايضاً أريد أن أكون موسيقاراً.
- تعلّم - قال السنطور موافقاً - على اية الة تحبّ ان تعزف؟
- ماهي أسهل آلة يمكن التعلم عليها؟
- البلالايكا. =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤. تجنب" المآسي العنيفة، ومشاهد الموت والكآبة والسأم واليأس ذلك ان الكبار " قد يكون ماسو شيين يتلذذون بالاضطهاد الذي ينزل بهم "(١)ولكن الأطفال ليسوا كذلك. إن تعذيب الأطفال بانفعالاتنا المفرطة واحزاننا الهائلة ومشكلاتنا الإنسانية والوطنية والسياسية والاقتصادية ليست مهمة الأدب على أية حال.

- طيب، هات البلالايكا .وساجرب. اعطاه السنطور البلالايكا . ضرب الجاهل على الأوتار، وبعد ذلك يقول:
- لا، عزف البلالايكا واطىء جدا" أعطني شيئا" آخر، أعلى صوتا" . اعطاه السنطور الكمان...:
- لايوجد أعلى صوتا" من هذا؟

...نساوله السنطور البوق النحاسي الكبير. حالما نفخ الجاهل فيه زار البوق زئيرا"عاليا" .

- هذه الآلة جيدة ... إنها تصدح بصوت عال .
- حسنا، تعلّم النفخ في البوق، إذا كان يعجبك.

قال السنطور موافقا" . فأجاب الجاهل:

- ولماذا اتعلّم؟ انا متعلّم (لحالي)
- لا، انت لم تتعلّم بعد.
- متعلم، متعلم. هاك اسمع.

صرخ الجاهل، واخذ ينفخ في البوق بكل قوة صدره:

- بو - بو - بو - غو - غو - غو

أجاب السنطور :

- انت تنفخ فقط، ولكن لاتعزف.
- كيف لا أعزف ؟ بل واعزف عزفا" جيدا" جدا" بصوت عال....."

(١) جون إيكن، كيف نكتب للأطفال: ٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بل هي ليست مهمة إنسانية أبداً. ذلك ان (عدوى) الانفعال تنتقل بيسر إلى الطفل بسبب حاسية استقباله للمثير ونقائه.

٥. تجنب مشاهد التخويف(١)والأحداث المرعبة، فإن يقظة الطفل على تقبلٍ الحياة والنمو بها والتعلّم منها وفهمها كما هي لاتعني أنه مستعدٌ للفزع لأن في الحياة فزعاً، ولاتعني أنّ عليه ان يفرّع ليكفّ عن ان يكون (خوّافاً)..

٦. تجنب التبسيط (٢) المبالغ فيه الذي يعامل الأطفال على انهم مغفلون او بلهاء، والذي يسخر من عقولهم المتحفّزة وذكائهم الفطري الذي يساعدهم على اكتشاف سذاجة الكاتب والسخرية منه بالمقابل (٣)

---

(١) راجع الموضوع في الفصل الثالث من الباب الأول.

(٢) المرجع نفسه: ٤٤. الكتب، والكثير منها كان هذا المعنى.

(٣) في مراقبة الباحثه الطويلة لابنتها (٥ر١٣) ولابنها (١١سنه) فيما يقرآن كاناً كثيراً: ميا يلقيان بكتب من هذا النوع، ويتداولان السخرية من الكتاب. وكثيراً ما سألت الطالبات في مسابقات المطالعة عن آرائهن في بعض الكتب، وكثير منها كان بهذا المعنى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لِمَ هذا الفصل ؟

يحاول هذا الفصل أن يتناول بعض القضايا الفنّية التي تتصل بالكتابة للأطفال. ولأنّ الحديث في لغة الأطفال وخصائصها قد تمّ في فصول سابقة، فإننا سنكتفي بما لم يتم بحثه مما يتصل بموضوع اللغة. وسنتناول من مجمل القضايا الفنية مسائل الأسلوب، والمجاز، والخيال. وذلك حتى تستكمل النظرية ملامحها من حيث هي طرح متكامل لماهية أدب الأطفال وصورته المقترحة.

اللغة :

إن اختلاف لغة الأطفال عن لغة الكبار يستدعي ضرورة أن يختلف الخطاب في أدبهم. والدراسات التي أشرنا إلى بعضها في الفصل الثالث من الباب الأول تعيننا في تصوّر ماينبغي أن تكون عليه اللغة في أدب الأطفال. فإنّ الكتّاب كثيراً ما يقعون في خطأين فاحشين؛ الأول أن تتضمّن كتابتهم خطاباً للراشدين (بلغة الراشدين) بموضوعات تهمّ الأطفال، كأن يتحدّث الكاتب إلى الأطفال عن دُماهم ولكن بلغة عالية ومجاز مركّب. فالموضوع للأطفال واللغة لغة الراشدين.

والخطأ الفاحش الثاني أنهم يقدّمون موضوعات تهمّ الكبار بلغة الأطفال، كأن يقدّم إليهم الكاتب خطاباً سياسيّاً معقداً عن مباهج الوحدة العربية أو عن الامبريالية العالمية (١).. أو عن أخطاء

---

(١) انظر على سبيل المثال: عيسى جراجرة، أردنية تحلم بنصر في فلسطين، عمان، ١٩٨٥. وانظر دراسة تحليلية لهذه القصة في: زليخة أبو ريشة، أدب الأطفال العرب والانحراف، مجلة المستقبل العربي، وأدب الأطفال في الأردن في مواجهة =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الراشدين وعيوبهم(١). وفي الحالتين لن يفهم الطفل شيئاً ممّا قيل له هنا أو هناك.

لقد ذكرنا أن معرفة قاموس الطفل اللغوي ضرورة لمن يريد أن يكتب للأطفال. ولكن لاينبغي التوقف عنده أو أن تحدّد مفردات الأدب بمفردات الطفل، إذ أن من مهمة الأدب أن يثري اللغة، فإذا لم تحتو النصوص على مفردات جديدة كانت تعمل على إيقاف النمو اللغوي من خلال الأدب. إن الأطفال يحتاجون من أجل صحّتهم اللغوية أن يستمعوا ويقرأوا لغة غنيّة(٢)، فمن هذه اللغة يتزوّدون بمعلومات عن كيف تعمل اللغة، كما أن هذه اللغة معينهم لتطوير قاموسهم وذخيرتهم اللغوية. ففي دراسة لكازدن(٣) تبيّن أن الأطفال الذين تعامل الراشدون معهم بلغة في مستواهم أبطأ نموهم اللغوي، في حين أن الأطفال الذين استخدم معهم الراشدون جملاً أكثر تركيباً وكلمات جديدة تقدّموا لغوياً عن الفئة الأولى.

إن أدب الأطفال إطار مهم للنمو اللغوي عند الأطفال(٤)، ذلك أن المفردات، والأنماط اللغوية تقدّم إليهم في سياق. إنه من الضروري

= المهيونية من عام ١٩٦٧ إلى ١٩٨٥، المؤتمر الثقافي الوطني الثاني، الجامعة الأردنية، ١٩٨٥.

(١) انظر مقدمة الشاعر سليمان العيسى لديوانه "ديوان الأطفال"، منشورات مكتبة النوري، دمشق، ط١، ١٩٦٩.

(٢) انظر: Glazer, Joan, Literature For Young Children, Charles E. Merrill Publishing Company, A Bell 11&Howell Company, Columbus second Edition, 1986, P. 77.

(٣) Cazden انظر: المرجع نفسه.

(٤) انظر المرجع السابق: ٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان يتم ربط اللغة بالخبرة من جهة ، وان تستخدم في سياق من أجل ان يكتسب الطفل المعنى ويفهمه (١).

وللسياق انواع، فمنه السياق القصصي، ومنه السياق الموقع كالاغاني والاناشيد والتهليل وسوى ذلك. لقد وجد تشوكوفسكي(٢) ان اطفالا ثلاثة كان يراقبهم قد استطاعوا ان يرددوا مفردات جديدة لانهم حفظوها في سياق مقفى ومن خلال العاب تستخدم التكرار والقافية (٣).

والآن، ما الذي يقدمه ادب الأطفال مسموعا أو مقروءا للاطفال في مجال اللغة (٤):

١ . يعرضهم للغة البالغين بجرعات محسوبة ودقيقة وغير مبالغ فيها .

٢ . يقدم إليهم قواعد مختلفة للغة بما يناسب مراحل العمر المختلفة .

٣ . يتيح لهم الاستمتاع باللغة المجازية .

٤ . يتيح لهم التعرف إلى بعض الفروق في اللهجات، وخصوصا التي ترد احيانا في الحوار .

٥ . يقدم إليهم المفردات في سياقها ، كما ذكرنا .

٦ . يقدم إليهم مفردات جديدة .

٧ . يتيح لهم اللعب مع اللغة (الاغاني، الاناشيد ، اغاني الالعاب الشعبية ...)واللعب باصواتها وانماطها ومظاهرها ومعانيها .

---

(١) انظر المرجع السابق: .

(٢) Chukovsky

(٣) انظر: المرجع السابق :٨٠.

(٤) انظر: المرجع السابق:٨١-٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨ . يطوّر لدى الأطفال المهارات النقدية للقراءة والاستماع .

٩ . يساعد الأطفال على أن يحسّنوا مقدراتهم اللغوية والكتابية والتعبيرية (١).

والتجريد مرحلة متقدّمة من اللغة من المفاهيم .فإن الكاتب عند استخدام المجاز يكون قد نقل اللغة من مستواها الحسي إلى مستوى آخر مجرّد إلى مستوى حسيّ /مجرّد ، وبذلك عليه أن يتأكد أن هذه المرحلة المتقدّمة من استخدام اللغة تصلح للطفل الذي يكتب له .فالشاعر سليمان العيسى يصف عصفور الطفل طلال بأنّه "شلاّل جمال" (٢)وهذا التشبيه البليغ المركّب ينتقل من عدة مستويات:

- المستوى الأول: عصفور طلال يشبه "

وحتى هنا الكلام طبيعي ومقبول لأنه في آفاق المحسوس.

- المستوى الثاني: عصفور طلال (يشبه)شلالا ..

وهنا يفقد الطفل الصلة بين العصفور من جهة وبين الشلال من جهة ثانية ، رغم أن المشبّه والمشبّه به محسوسان، وذلك لحذف كلمة (يشبه) من جهة ، ولأن العلاقة أوجه الشبه غير واضحة البتة بين العصفور والشلال.

- المستوى الثالث:عصفور طلال يشبه شلالا (من) الجمال.

طبعا تكثيف اللغة بحذف الفضول من الكلام (يشبه)و (من) يجعل المستوى اللغوي أكثر تعقيدا كما أن الصعوبة التالية هل للجمال شلاّل ؟فإذا فهم الطفل ان الجمال عندما يكون كثيرا ومتحرّكا ولاينضب يشبه الشّلال...علينا أن نعيده إلى الصورة الأولى، التشبيه

---

(١) انظر:المرجع السابق:١٠٦.

(٢) سليمان العيسى،ديوان الأطفال : ٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاوّل وهو ان هذا الشلال من الجمال المشبّه به للمشبّه المحذوف... وأية تعقيدات أكثر من هذه...؟فإذا شُرح هذا الكلام للطفل او مايشبه فسد الشعر وذهب التذوق أدراج الريح..

إن لغة الطفل ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنموّه العقلي.وهذا ماتدور حوله نظرية بياجيه، التي تقول إن الطفل يستطيع أن يعالج المجرّدات في مرحلة متقدّمة في نهاية المرحلة الابتدائية، حيث "يصبح قادراً على القيام بالإجراءات والعمليات الشكلية التي تتيح له أن يعالج المجرّدات"(١) حيث ان كلمة شكلي(٢)تعبّر عن نموّ شكل التفكير او بنيته"(٣)،ومع ذلك فإن الطفل في هذه المرحلة مايزال مرتبطاً بالخبرة المباشرة (٤) .

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن تقديم اللغة في ادب الأطفال من خلال الخبرة يجعل لغته تزداد غنى وثروة (٥)، ناهيك عن ان اللغة ايضاً ليست وسيلة تعبير واتصال فحسب بل اداة لاكتشاف الواقع(٦).

الأسلوب:

عندما يستعيض الفنان عن التولّد التلقائي للغة وأخيلتها بتنظيم متسق من اللغة والأخيلة يكون قد اكتسب أسلوباً "فالأسلوب هو تلك العملية الإرادية التي تعبر عن نشاط تنظيمي يرفض المصادفات، وينشد انقى الأشكال، وحينما يصبح للفنان أسلوب او

---

(١) جابر عبد الحميد، علم النفس التربوي:٨٦.

(٢) Formal.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) انظر المرجع السابق:١٧٣.

(٥) آرنست فيشر،اشتراكية الفن: ٤٢-٤٣.

(٦) المرجع نفسه : ٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طراز، فإنه عندئذ يكون قادراً على التحكّم في فنه وإنتاج مايريد إنتاجه"(١)، إذ ثمة علاقة وثيقة بين الأسلوب والحرفة لأن"الأسلوب إن هو إلا حرفة تسمح لصاحبها أن يعبّر عن نفسه وأن يكون نسيج وحده، ولكن المهم أن الفنان الحقيقي إنما هو ذلك الذي تجيء صنعته معبّرة عن شخصيته، لأن"الصنعة عنده هي في خدمة فكرة او نظرة خاصة إلى العالم"(٢). وهكذا نستطيع أن نقول إن اسلوب الفنان المصوّر الفرنسي مونيه (٣)يتلخّص "في طريقته الخاصة في النظر إلى العالم باعتباره مملكة النور"(٤)، كمانستطيع القول إن المصور سيزان(٥) كان له اسلوب يلخّص"نظرة فلسفية إلى العالم تجعله ينشد الملاءمة والدقّة والصراحة والثبات على طريقة اسبينوزا(٦) في نظرته العامة إلى الوجود"(٧).

---

(١) زكريا إبراهيم،مشكلة الفن:١٠٣.

(٢) المرجع نفسه:١٠٣-١٠٤.

(٣) Monet(١٨٤٠ -١٩٢٦).

(٤) المرجع السابق:١٠٤.

(٥) c ézanne.

(٦) فيلسوف هولندي ولد لابوين يهوديين، وقد طرد لأفكاره من اليهودية. وهو من اصحاب المنهج الهندسي في التفكير، لأنه يريد للطريقة الاشخصية في الكتابة أن تتغلّب.وهو يرى أن المنهج الهندسي "افضل وسيلة للتعبير عن الأفكار بدقّة كاملة "يمكن باتباعه تجنّب الأسلوب البلاغي والإطناب، واستخدام اقل قدر ممكن من الانفعالية التي تبعد ذهن القارىء عن الموضوع الحقيقي(انظر: فؤاد زكريا،اسبينوزا، وسلسلة الفكر المعاصر، دار التنوير، بيروت، ١٩٨١:٣٨.

(٧) زكريا إبراهيم،مشكلة الفن:١٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولايعني اسلوب الفنان او الكاتب انه "ثمرة لمجموعة من التاثيرات المتلاحقة وإنما هو وحدة تدرك لأول وهلة بطريقة مباشرة "(١) ...

فماذا يعني الاسلوب في ادب الاطفال ؟

إننا من المؤكد لسن نقف عند الأسلوب بمعناه المجرّد الذي طرحناه في الفقرتين السابقتين، أي بمعنى طابع الفنان او طراز في الكتابة من حيث هو (بصمته) المميّزة .ولكننا سنعمد إلى تحليل الأسلوب الى عناصره، او الأصح اقتراح عناصر له حتى يكون اسلوباً يمتلك تقنياته المناسبة للأطفال. هذه التقنيات التي وجدنا انها حققت تاثيراً باهراً في نصوصها الأصلية ..وسنقترح المصادر التالية للاستفادة من تقنياتها الأسلوبية :

. من أسلوبية القرآن الكريم

لقد فصّلنا في الفصل الاول من الباب الأول من هذا البحث القول في الخصائص الاسلوبية للقرآن الكريم، تلك التي وجدنا انها تجلت من سوره القصار مادة مناسبة للاطفال وسنعيد تلخيص هذه الخصائص فيما يلي:

- الجمل القصيرة .
- الإيقاع السريع في الوزن.
- السجع (او القافية) بحروفها المتفجرة حيناً -(الدال) كما في سورة الصمد-الهامسة حيناً آخر-(السين) كما في سورة الناس-.
- الأسلوب الانفعالي التاثيري العاطفي(لهجة الخطاب) .
- طرق الكليات (الإيمان بالله الواحد)-هذا لايعني تكرار هذا الموضوع في ادب الاطفال او التوقف عنده .

---

(١) المرجع نفسه :٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢. من أسلوبية الأدب الشعبي واشكاله التعبيرية

لانستطيع أن نأخذ الأدب الشعبي كماهو. إلا بقيد الاختيار الانتخاب لأن" من العناصر السلبية مايهدم كل مايمكن أن يبنيه الأدب الجاد. ولكن فيه خصائص فنية تجعله مغريا" ومشوقا" ومنها:

التكرار في عبارات بعينها تشكّل قرار القصة أو القصيدة.

الكلام المسجوع المقفى.

استخدام الأغنية في أجزاء معينة من القصة لتطوير الحدث.

الشخصية المحورية وملامحها الطيبة وصراعها مع الشر".

استخدام الأمثال (الشعبية) بما ينسجم والشخصية التي تنطق بها.

تطوير الروح المرحة وتوظيف الفكاهة والنكتة (١).

استخدام أسلوب التسلسل التصعيدي؛ وهو "نمط من البناء التركيبي القائم على ربط الأشياء أو الحوادث، بعضها ببعض، في شكل حلقات من غير تراكم كما يتمثل في الأغنية الشعبية المعروفة:

لفيته على حصاني	وحصاني في الخزانة
والخزانة عايزة سلم	والسلم عند النجّار
والنجار عايز مسمار	والمسمار عند الحداد
والحداد عايز بيضة	والبيضة عند الفرخة
والفرخة عايزة قمحة	والقمحة عند التاجر
والتاجر عايز فلوس	والفلوس عند المراف (١)

---

(١) انظر خصائص النكتة الشعبية والمثل الشعبي في: نبيلة ابراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨١: ٢٤٣-٢٦٢.

(١) فائق مصطفى أحمد، أثر التراث الشعبي في الأدب المسرحي النشر في مصر، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠: ٤٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استخدام الألغاز التي تحتاج إلى حلّ وتتطلّب من أبطال القصة او من القراء البحث عن جواب لها .وهو اسلوب مثير ومسلّ. وقد عرف الإنسان البدائي اللغز "واستخدمه بوصفه وسيلة سحرية عن موقف غامض"(١)

الموتيفة الإيقاعية بلا معنى(٢)وهذه تضفي جواً من المرح والجاذبية على الأدب.

توظيف روح المغامرة والبحث عن المجهول وكشف الأسرار.

توظيف الخيال توظيفاً إيجابياً لاوهمياً.

توظيف فكرة الصراع بين الخير والشّر توظيفاً مناسباً.

توظيف المفاجأة في تطوير الحدث.

---

(١) المرجع نفسه :٤٦٠.

(٢) مثال ذلك من الأدب الشعبي: قطيمشة ومنيمشة ، ويباباح يباباح في الأدب الشعبي العربي، و

Bon polo, bon polo, ponpolo, ponpolo, bolo bolo ponpolo, boto, boto ponpolo, boto, ponpolo.

(انظر من الأدب الشعبي الأجنبي

(Glazer, Children For Young Childrens, p.90)، وفي اغنية من تنزانيا يردد الكورس كلمة (آي ياكوتشي)" وهي كلمة لامعنى لها وتمثّل صوت المنشار الذي يقطع الخشب"(أحمد نجيب، اغاني الأطفال الشعبية في ٢١ لغة من لغات العالم، تقديم عبد الحميد يونس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣:٥٥)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣. من أسلوبية السحر:

لما كان الطفل يشبه الإنسان البدائي(١) فإن علماء اللغة تخذوه وهو الذي يعيش بين ظهرانيهم - أداتهم لمعرفة نشأة اللغة الإنسانية وتطوّرها(٢). ولأن الطفل يشبه الإنسان البدائي لذلك كان رس الفنون البدائية يعين على فهم الطفل بصورة أفضل. وبمعنى خر، ثمة تشابه كبير بين رسوم الأطفال من جهة، وبين رسوم الإنسان لبدائي(٣). وصلة هذا الكلام بموضوعنا تتعلّق باهمية موضوع لسحر في ادب الأطفال.

فالسحر -وهو نتاج ثقافي للشعوب البدائية -"يعتبر شكلاً بتدائياً للدين والفنون كلها بآن واحد"(٤)، ولذلك فإن درسه يمكن أن يلهمنا تقنيات فنية لأدب الأطفال تغني هذا الأدب.

ما السحر؟

يعرّف شارل لالو السحر بانّه "جملة طقوس تهدف إلى رفد الإنسان قوّة تأثير في ظواهر الطبيعة بوساطة قوى غامضة تنهض على هامش ديانة منتظمة(٥). ويذكر روبين كولونجوود بان هذه الكلمة

---

(١) انظر: شارل لالو، الفن والحياة الاجتماعية: ٢٩٥.

(٢) انظر على سبيل المثال: ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادىء والأعلام: ١٢٣ -١٣٨.

(٣) شارل لالو: ٢٩٥.

(٤) المرجع نفسه: ٢٨٣.

(٥) المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السحر) "تستخدم للدلالة على ممارسات معيّنة شائعة في المجتمعات الهمجية" (١). ومن المستطاع التعرّف إليها هنا وهناك لدى الفئات الأقل تحضّراً وتعلماً في مجتمعنا" (٢).

أما آرنست فيشر فيرى أن الأدلة التي تثبت أن أصول الفن إنما ترجع إلى السحر في تزايد (٣)، ويرى أن "الفن أداة سحريّة للسيطرة على دنيا واقعية لكنها لاتزال مجهولة" (٤). ولكن بعد أن أخذ الدور السحري للفن بالتراجع "أمام دوره في كشف العلاقات الاجتماعية، وفي تنوير الناس" (٥) وفي مساعدتهم على إدراك واقعهم الاجتماعي وتغييره "لم يعد في الوسع تصوير المجتمع المعقّد بعلاقاته المتشابكة وتناقضاته الاجتماعية في شكل أسطورة".

وإذا كنا لانتوي أن نقترح إحياءً للأشكال التعبيرية التي نشأت في ظلال ثقافة السحر، فإننا نرى أن هذه الأشكال وهذه الثقافة تحمل صورتها البدائية ما استطاع أن يعزّ الإنسان البدائي ويحرّكه شوقه. ولما كان الطفل أشبه مايكون بالإنسان البدائي، فلذلك كان اقتراحنا أن يتأثر أدبه ببعض تقنيات هذه الثقافة بما يجعل هذا الأدب مسموعاً منه أو مقروءاً. هذا إلى جانب أن في الفن نفسه

---

(١) يحتج كولنجوود على وصف المجتمعات البدائية بالهمجية. ويرى أن هذا الوصف أطلقه علماء الأنثروبولوجيا الأوربيون من منطلق إحساسهم بتفوّقهم الحضري (أنظر: روبين كولنجوود، مبادئ الفن: ٧٦ وما بعدها).

(٢) المرجع نفسه: ٧٥.

(٣) انظر: آرنست فيشر، الاشتراكية والفن: ٢٣.

(٤) المرجع نفسه.

(٥) المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عموماً "بقية من السحر لايمكن التخلّص منها تماماً ، لأن الفن بفير هذه البقية من طبيعته الأصلية لايكون فنّاً على الإطلاق"(١)... وليست جميلة هذه الصيغة التي أطلقها فيشر في كتابه :

"إن الفن في أي صورة من صوره ، جاداً كان أم هازلاً ، رامياً إلى الإقناع أم إلى الإيحاء ، متعقلاً أم متخلياً عن العقل ، ملتزماً الواقع أم ممعناً في الخيال ، لابدّ أن يكون متصلاً بالسحر اتصالاً ما . إن الفن لازم للإنسان حتى يفهم العالم ويغيّره . وهو لازم أيضاً بسبب هذا السحر الكامن فيه "(٢).

والآن ، ماهي التقنيات الأسلوبية التي يمكن لأدب الأطفال أن يستفيد منها ويكتسبها لصالح أدب أكثر ملاءمة للطفل وأكثر انسجاماً مع الفطرة البشرية في صورتها البدائية الأولى(٣) ؟

١. التكرار:

يبدو أن تكرار بعض الصيغ والعزائم والرقى في الثقافة السحرية التي كانت في الأصل صيغاً غنائية (٤) ، كان يُستخدم لإحداث الشفاء أو إيذاء العدو أو سوى ذلك.. ويمكن استخدام التكرار لغايات عمرية تتناسب والرؤية التقدمية لأدب الأطفال.

---

(١) المرجع السابق:٢٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) كان هيجل يعتبر السحر ديانة عفوية (انظر:شارل لالو ، الفن والحياة الاجتماعية:٢٩٠)

(٤) المرجع نفسه : ٢٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢. الأصوات التي لامعنى لها :

وهذه فيما يبدو تطورت عن غناء الجوقة ، لمجرّد منح النص إيقاع .ولعل هذه الأصوات"ذكرى سبل العمل القديمة السحرية "(١)أو تحريف هازل لها ، مما كان يستخدم شعائريا" .

الطوطمية :

تدل الكلمة "طوطم" في آن واحد"على الحيوان(أو أحيانا" على النبات، وفي النادر جدا" تدل على الشيء)الذي يحمي العشيرة وكل من اعضائها ، ثم" على اللقب، الاسم ، الشعار الجمعي، علاقة التملك أخيرا" على الجدّ الأسطوري الذي تعزى إليه القرابة التي يتحلّى بها جميع أفراد العشيرة "(٢) .

وقد كان البدائيون يرسمون طوطمهم على جميع ممتلكاتهم : روعهم ، خيمهم ، قشور الشجر ، قواربهم ، قبورهم ، فوق أعمدتهم الملونة ، على الأرض، على أجسادهم (٣).

وللاستفادة من فكرة الطوطمية في أدب الأطفال لابدّ من تطويرها . إن الطفل يسعده أن يجد طوطمه في الأدب الذي يقرأه ، بمعنى أن يجد تلك السمة أو الفعل أو الشخصية التي تتكرّر في الأعمال التي يقرأها في المجلة الواحدة ، أو السلسلة الواحدة ، أو البرنامج المسلسل الواحد... ويجد هذه الشخصية تتصرّف طوطميا" :- لابمعنى التابو والتقديس -ولكن بهذا الوسم والوصف والميزة التي تميّز هذه الشخصية . وليست فكرة الشعار أو العلم إلا رموزا" تطورت عن أصلها الطوطمي.

---

(١) المرجع السابق:٢٨٩.

(٢) المرجع السابق:٢٩١.

(٣) انظر:المرجع السابق:٢٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤. الشعائرية :

صحيح أن الشعائرية يمكن أن تقف حائلاً دون حرية الأدب، لكن وظيفها باجوائها الاحتفالية في قصص بعينها يضفي(سحراً) خاصاً على هذه القصص، وخصوصاً إذا كانت هذه الشعائر ليست من مألوف الثقافة المعاصرة (كالملاة والحج وسواها) فهي عندئذ لون من الطقوس المسرحية في شكلها البدائي تعدّ الطفل لتذوق المسرح والانغماس في تجربته (١)، فمن دراسات شعائرية ولد المسرح الأوروبي الحديث(٢).

٥. أناشيد الرقي(٣) :

وهذ كانت تستخدم لترويض الطبيعة، والتأثير في مجرياتها ولكن يقاعها الجميل السريع يمثل أسلوباً نقترح استخدامه وتطوير لالاته ومفرداته وقيمه، بعد تخليصه من ساديّته أحياناً.

---

(١) كانت الباحثة في طفولتها بسبب اتصالها المبكر بالأدب-كثيراً ماتتخيّل الحياة اليومية مسرحاً، وهي على خشبته تؤدّي دورها ولذلك كانت تنزع إلى الإتقان في أدائه والانغماس الكامل فيه، وعينها الداخلية على الجمهور الخفيّ الذي يشاهدها. تلك كانت بدايات تفجير المخيّلة.

(٢) انظر: المرجع السابق: ٣٠٠.

(٣) آرنست فيشر، اشتراكية الفن: ٥٧. وهذه تعويذة تستخدم للابتلاء بمرض الجانجورا وهو مرض يأكل لحم الإنسان كما يأكل طائر أبو قرن- الذي أطلق اسمه على هذا المرض جذوع الأشجار بمنقاره الكبير الحاد:

أبا قرن ياساكن سيجا سيجا

في قمة شجرة لوانا =

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التخيال:

يستعرض إ. ريتشاردز ستة معان للتخيال تتداول في المناقشات النقدية:

١. توليد صور واضحة مرئية (١).

٢. استخدام لغة المجاز (٢).

إقطع اقطع

ومزّق

من الأنف

من المدغين

من الحلق

من الردف

من عظم اللسان

من الرقبة

من السّرة

من الظهر

من الكلى

من الأحشاء

اقطع ومزّق

اباقرن ياساكن توكو كو

في قمة شجرة لوانا

انه .....

(١) ريتشاردز، مبادىء النقد الأدبي: ٣٠٩.

(٢) انظر: المرجع نفسه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣. تصور الحالات الذهنية للآخرين عن طريق المشاركة الوجدانية ولاسيما حالاتهم العاطفية (١).

الاختراع او الجمع بين عناصر ليس بينها رابطة (٢).

الجمع الملائم بين أشياء يظن الناس بعدم وجود رابطة بينها، ومثال ذلك الخيال العلمي(٣).

"تلك القوة السحرية التي...تكشف لنا عن ذاتها في خلق التوازن أو التوفيق بين الصفات المضادة والمتعارضة.بين الإحساس بالجدة والرؤية المباشرة والموضوعات القديمة المألوفة، بين حالة غير عادية من الانفعال ودرجة عالية من النظام، بين الحكم المتيقظ ابداء وضبط النفس المتواصل والحماس (!) البالغ والانفعال العميق...الإحساس بالمتعة الموسيقية والقدرة على خلق اثر موحّد من الكثرة وعلى تأديل سلسلة من الأفكار بواسطة فكرة واحدة سائدة أو انفعال واحد مهيمن" (٤).

وهكذا يرى ريتشاردز في الخيال مايراه كوليردج مفسّراء إياه من خلال نظرية الدوافع، وحريتها. والنظام الذي يحقّقه الفنان داخله لدوافعه، والتوازن...

وإذا كنا لن نفنّد هذه التعريفات للخيال، فإننا سنكتفي بأن نجد في كل تعريف شيئاء نافعاء في مهمتنا. ويكفي أن نوافق كانت

---

(١) انظر: المرجع السابق:٣١١.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) انظر: المرجع السابق.

(٤) هذا القول لكوليردج استشهد به إ. ريتشاردز (المرجع السابق:٣١٢).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان "الخيال ملكة لاغنى عنها لمعرفتنا بالعالم المحيط بنا"(١). ومن المؤكد أن العالم مليء بالصور والظواهر والعلاقات التي تمرّ بها بأعيننا العادية دون أن تلحظها وأن تدرك مافيها من تفرّد ومن جمال.ولكن التربية العاجزة والنظام الثقافي المتخلّف كيف يستطيع أن يمحو الأميّة البصرية التي تعاني منها؟إن مانسمّيه الخيال بمعظمه موجود في الواقع والطبيعة والمجتمع.ولذلك نسارع إلى القول: إن هذه الحادثة تفوق الخيال...

وما مهمة أديب الأطفال إلا أن يفتح عيون الأطفال على صور الجمال الإنساني والطبيعي في نفسه والمجتمع الإنساني...وأن يبني ثقافته الجمالية عبر مقارنة المحسوسات وسبر مكامن جمالها الخفية.

كما أن مهمته لاتقتصر على الجمال فحسب، بل كل مامن شأنه أن يحرك العالم ويغيّره. فالتصوّر والتخيّل والتفكير البصري(٢) هي ملكات فتح العلم الحديث عينه عليها عبر دراساته المتقدّمة للدماغ، وكلها ذات صلة متينة بموضوع الخيال.

وأيما ادب يفجّر هذه الملكات يخدم البشرية بتنشيط فمّي الدماغ، في محاولة لاستكمال استخدامهما معاً؟

---

(١) كولنجوود، مبادىء الفن:٢٤٣.

(٢) انظر: ليندا فارلي ويليامز، التعليم من أجل العقل ذي الجانبين(دليل التربية للجانب الأيمن وللجانب الأيسر من الدماغ)ترجمة خبراء معهد التربية، الاونروا/اليونكسو، عمان، ١٩٨٨:٩٠ومابعدها، ١٢١ومابعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم' هذا الباب

لايحتاج هذا الباب إلى تبرير.فإن نظرية في أدب الأطفال تحتاج إلى تطبيق. وتطبيقنا سيكون على الشعر-وعلى شعر شاعر بعينه هو"سليمان العيسى"وعلى أول ديوان له للأطفال. كما أن هذا الفصل سيقف على تاريخ الكتابة الشعرية للأطفال، العرب بصورة موجزة، حتى يتصل الإطار التاريخي بالإطار النقدي الفني الذي نحن بصدده .فإن الشعر -شعر الأطفال-بالذات يشكو من خلل كبير في الإيقاع والصور واللغة وكل مايجعل منه شعرا' يرويه الصغار ويحفظونه وينشدونه ويرددونه .

لمحة تاريخية :

يعتبر أحمد شوقي اول شاعر للأطفال العرب. فبعد عودته من فرنسا واطلاعه على قصص لافونتين عن الحيوانات نظم للأطفال مجموعة قصائد ومقطعات(١) بعضها يمكن ان يناسبهم وبعضها الآخر يعلو على مداركهم (٢).أو ممن يكتب الشعر للأطفال في الوطن العربي الآن: فاروق سلوم (العراق)، احمد سويلم (مصر)، سليمان العيسى(سورية)، وفي الأردن عدد من الشعراء الأردنيين قد أصدروا مجموعات شعرية للأطفال تتفاوت مقدرة وكفاية :(ابراهيم نصر الله)، محمد القيسي، يوسف العظم، وغيرهم ...) (٣).

سليمان العيسى:

يعتبر الشاعر سليمان العيسى أغزر شعراء الأطفال العرب المعاصرين إنتاجا'، وأوسعهم انتشارا'.وقد تخيّرناه لأنه شاعر

---

(١) انظر:أحمد شوقي، الشوقيات، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٦٤، ٤:١٨٨ -٢٠٣.

(٢) انظر: علي الحديدي،في أدب الأطفال:٢٤٦-٢٤٧.

(٣) انظر: زليخة ابو ريشة، أدب الأطفال في الأردن في مواجهة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المهيونية.

للراشدين فتحوّل إلى الأطفال وله في هذا التحوّل تبرير. يقول في إهداء ديوانه الأول "ديوان الاطفال".

"في أعماق كلّ منا
نحن الكبار
طفل صغير لايكبر ابدا
لا أذكر من قال هذا
ولكنني معه.
إلى الطفل الصغير
النائم في أعماق كلّ منا
أهدي هذا الديوان"(٢).

---

(١) ولد الشاعر في قرية النعيريّة قرب انطاكية عام ١٩٢١. وقد تلقّى ثقافته الأولى في البيت وحفظ القرآن الكريم والمعلّقات وآلاف الأبيات من الشعر العربي وهو في الثامنة. بدأ نظم الشعر في التاسعة. هاجر عام ١٩٣٧ عندما تمّ سلخ لواء اسكندرونة عن سورية. درس في حماة، واللاذقية ودمشق وأكمل تحصيله العالي في دار المعلمين العالية في بغداد. درّس الأدب في ثانويات حلب، وعمل مشرفاً تربوياً في وزارة التربية في دمشق. له المجموعات الشعرية التالية: مع الفجر، أعاصير في السلاسل، شاعر بين الجدران، رمال عطشى، ثائر من غضار، قصائد عربية، الدم والنجوم الخضر، رسائل مؤرّقة، أمواج بلا شاطىء، أزهار الغياع، أغنيات صغيرة، عناقيد مرّة.
وكتب للأطفال المجموعات الشعرية التالية: ديوان الأطفال، المستقبل (مسرحية غنائية)، النهر (مسرحية غنائية)، غنّوا يا أطفال (المجموعة الكاملة) ١٠ عشرة اجزاء.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢) سليمان العيسى، ديوان الأطفال:٥.
كمايتمثّل في الشاعر كثيراً" مما كنا تناولناه بالبحث في الفصل الأول من الباب الثاني من نظرية إدب الأطفال، وهو يتعلّق بأديب الأطفال"خصائصه ومكوّناته، فهو صاحب فلسفة مجتمعيّة ورؤية فكريّة، كما انّه شاعر حقيقي لاتعوزه ثقافة الشاعر ولاتملّكه لأدوات العمليّة الإبداعية وأدوات فنّه، وتجربته الشعريّة غنيّة مدرارة، كما انه شاعر لا يُخفي"الطفل" الذي فيه، شاعر حساس مرهف رقيق الحاشية، يحبّ الأطفال حباً حقيقياً يتجلّى لا في شعره فحسب، بل في اهتمامه الشديد في أن يقدم إليهم ديواناً إثر ديوان، ومسرحية شعرية إثر مسرحيّة، وأن يلعّد من أجلهم المسلسلات التلفازية وسواها. وهو لايكتفي بذلك فحسب بل إن له رأياً فيما يُكتب للأطفال، أو فيما ينبغي أن تكون عليه الكتابة الشعرية للأطفال، اي انّه ينطلق في تجربته الشعرية للأطفال من موقف محدّد، وهذا الموقف يتلخّص في عدد من المقولات الفكرية والفنية:

١. وجد الخلاص من الاختناق الروحي الذي عانى منه -كعربي-بعد حزيران ١٩٦٧، في عيون الأطفال:"وأنا لستُ ممن ييأسون، ووجدت النافذة في عيون الأطفال، أطفال حارتي قبل كلّ شيء، اجتمع حولي الأطفال وبدأت ألعب معهم لنسيان المأساة التي نمرّ بها.وانطلاقاً من ذلك بدأت أكتب لهم، بشعور، وحياة جديدة"(١).

---

(١) الجمعية الكويتية لتقدّم الطفولة العربية الأطفال وحروب شتّى في العالم العربي، الكتاب السنوي الثالث ١٩٨٦/٥، الكويت:٢٦٣، من تعقيب الشاعر سليمان العيسى على محاضرة الدكتور سعد الدين إبراهيم "أساليب تنمية الوعي القومي لدى الطفل العربي".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢. من اجل الوحدة العربية والدولة العربية الواحدة صار يكتب للأطفال: "انا لا استطيع مقاومة القوى الكبرى التي تحاربني يومياً وعملياً، بل استطيع كتابة نشيد وزاوية صغيرة اصل بها إلى اكبر عدد من الأطفال"(١)، فالاطفال هم المستقبل، ومجد الحياة الحقيقي، والثروة القومية الأولى وامتدادنا جميعاً في هذه الأرض(٢)، ثم إن الكتابة لهم ليست سوى "الخطوة الأولى في العملية الفنية القومية التربوية الضخمة (٣)" التي يحاولها الشاعر في إطار تجربته الشعرية القومية مع الأطفال (٤).

٣. ينطلق في تعامله مع الأطفال وكتابته لهم من أن" الطفل" طاقة خلاقة وليس إنساناً غبياً (٥) فمناهجنا التربوية تتعامل مع الطفل حتى الآن كإنسان قاصر... (إنه) قادر أن يفهم ويتصور ويدرك دون أن يستطيع التعبير"(٦).

٤. لايكتب للأطفال ليسليهم بل لينقل إليهم تجربته القومية، وتجربته الإنسانية وتجربته الفنية، ولينقل إليهم همومه وأحلامه (٧).

---

(١) المرجع نفسه: ٢٦٤.

(٢) انظر: سليمان العيسى، دفتر النشر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨١: ٣٤٩.

(٣) المرجع نفسه: ١٢.

(٤) انظر المرجع السابق: ١٥.

(٥) انظر المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

(٧) سليمان العيسى، دفتر النشر: ٣٤٩ - ٣٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥. يرى انّه من الضروري أن يتوافر في نشيد الأطفال (وهو مايحاول توفيره بنفسه كما يقول) مايلي:-

أ. "اللفظة الرشيقة الموحية، الخفيفة الظل، البعيدة الهدف، التي ستلقي وراءها ظلالاً وألواناً، وتترك أثراً عميقاً في النفس.

ب. "الصورة الشعرية الجميلة التي تبقى مع الطفل. مرة التقطها من واقع الأطفال وحياتهم، ومرة استمدّها من أحلامهم وأمانيهم البعيدة.

جـ. "الفكرة النبيلة الخيّرة التي يحملها الصغير زاداً في طريقه، وكنزاً صغيراً يشعّ ويضيء.

د. "الوزن الموسيقي الخفيف الرشيق الذي لايتجاوز ثلاث كلمات أو أربعاً في كل بيت من أبيات النشيد"(١).

هـ. الحرص على أن يتشابك في النشيد...الوضوح والغموض، الواقع والحلم، المحسوس والمعقول، الحقيقة والخيال... في كلمات مدروسة بعناية"(٢).

ولعلّه من المفيد أن نقف على المقدمة النثرية التي قدّم بها لديوانه الأول للأطفال "ديوان الأطفال".

يذكر في هذه المقدمة التي رتّبها على هيئة قصيدة النثر أو القصيدة الحديثة أنّ فكرة الكتابة للأطفال أتته كزهرة غريبة نبتت "بين انقاض مدينة مهدّمة"(٣)، وهذه المدينة المهدّمة هي أحلام "الجيل العربي الممزّق".وبرومانسية قومية يمضي سليمان العيسى في وصف أحلام الأمة العربية وأمجادها وياس واقعها مندّداً "أحلام

---

(١) المرجع نفسه :٣٤٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) سليمان العيسى، ديوان الاطفال:٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ضخمة ، بريئة ، صادقة ، فتحنا اجفاننا عليها ، نحن ابناء هذا الجيل الممزّق .ولم نخطىء الطريق .وفي وجه جميع الساخرين والمتفرّجين وفي وجه جميع (البشور) التي تاكل جلد امتي..أقولها الّقي كلمتي.لم نخطىء الطريق"(١).

ثم يحدّث الشاعر الأطفال في مقدّمته عن نفسه بضمير الغائب، وكيف كان يكتب للكبار ولأمته ويغني العروبة ، كل ذلك بعبق للطفولة يرفّ على شعره بيتاً بيتاً وصفحة صفحة .ويعرّف الطفولة بانّها :"صدق وبراءة ، وحبّ يغمر كلّ شيء ، ويغمض عينيه عن كل شيء ..حتى عن النقائض التي تجرح العيون، والوقائع التي تفجع الإحساس "(٢).

ثم حدث ان كان في زيارة صديق وكان طفل الصديق (نزار) يتهجى الحروف ويقرأ "عصفور طلال جميل""طار عصفور طلال"فتنبت الفكرة :"لمَ لاتتحوّل هذه العبارة إلى نشيد ؟ لمَ لايكتب أغنية صغيرة ، جميلة الإيقاع عنوانها : عصفور طلال؟ يختار لها الكلمة المشرقة والصورة الموحية والموسيقى المعبّرة ، ويهديها إلى نزار ورفاق نزار من أطفال العرب؟.."(٣).

ويمضي في المقدمة التي تستغرق سبع عشرة صفحة قائلاً "ستجد صعوبة في بعض الالفاظ، وغرابة في بعض الصور، وعبارات ربما كانت فوق سنّك، وافكاراً تكتب في العادة للكبار. لقد كان ذلك مقصوداً متعمّداً ، لإيمان الشاعر بانك تلتقط بفطرتك وتفهم

---

(١) المصدر نفسه :٨.

(٢) المصدر السابق:١٢.

(٣) المصدر السابق:١٤-١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بإحساسك المتحفّز الصافي، أكثر مما يفهمه الكبار أحيانا بعقولهم الصلبة المرهقة"(١).

ويشير الشاعر في مقدّمته أيضا إلى أنه قد حفظ القرآن الكريم وهو صغير، وحفظ المعلقات والمتنبي وسواه، وأنه يدين بتدفق شاعريته إلى حفظه المبكّر لهذه النصوص كما يعتذر أنه أراد مقدّمته للكبار فإذا به ينساهم ويشغل عنهم بخطاب الطفل، ويعده أن يقدم إليه المزيد.

تعتبر هذه المقدّمة أوّل خطاب نثري في اللغة العربية من شاعر يكتب للأطفال يوضح فيها فلسفته الاجتماعية (القومية الوحدويّة العروبية) وفلسفته في الفن (الفن إلهام)(٢)، وسبب تحوّله إلى الأطفال وكتابته الشعر لهم. ورأيه في شعره (الكلمة المشرقة، الصورة الموحية، الموسيقى المعبّرة)(٣)، وموقفه من اللغة العربية وجمالها ورحابتها ودورها في الوحدة العربية، وتفاؤله بالمستقبل من خلال الأطفال، ويبرّر للأطفال صعوبة بعض ألفاظه وغرابة بعض صوره وغموض بعض عباراته، وأن كل ذلك مقصود، وأن هدفه أن يمتلك الطفل إيقاع الشعر لامعناه "للحفظ والغناء كُتبت هذه الأناشيد قبل أن تكتب للقراءة والفهم، والتفكير"(٤)، وأن تظل الصور الغامضة في أعماق الطفل حتى تتفتح عندما يكبر...كما أن الشاعر يحدّد موقفه من التراث الشعري العربي

---

(١) المصدر السابق:١٧.

(٢) انظر المصدر السابق:١٢.

(٣) المصدر السابق:١٤-١٥.

(٤) المصدر السابق:١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقرآن الكريم كنصوص ينبغي أن تحفظ للطفل حتى يمتلىء بموسيقاها الخفية الساحرة وبيانها الرائع المجهول "(١).

إذن نحن أمام حالة شعريّة واعية وما الذي تقوله وما الذي تفعله وأسباب كلّ ذلك . ولنبدأ بطرحه الفلسفي الاجتماعي، وهو طرح كنّا ذكرنا غير مرة في هذا البحث ضرورة توافره لدى أديب الأطفال. فكيف كان؟

الخطاب القومي:

لاشك أننا نوافق الشاعر على الخط القومي العروبي الوحدوي الذي اعلنه في مقدمته (٢)، وسنرى مدى التزامه به في شعره بعد قليل.ولكن هذا الخط يمضي في عدة مستويات :

الأول: الاعتزاز بما في الامة والثاني: التفاؤل بمستقبلها (من خلال الأطفال)، والثالث اليأس المطبق بسبب الواقع الراهن، مع غمز ولمز لأولئك الذين يسيئون للأمة -وغالباً سيكونون من المناوئين للخطّ السياسي للشاعر، وقد اكتفى بوصفهم "بثوراً"..وهو وصف هيّن ليّن بالقياس لما يحمل على الساحة العربية من إساءات لا للحاضر فقط، بل من تدمير كامل للمستقبل بتدمير إمكانات الأمة ومقدّراتها وثرواتها وإهمال الطفولة إهمالاً قبيحاً.

وإذا كنّا قد أعلنّا تأييدنا لهذا الخط مبدئياً لأنّه يعبّر عن فلسفة إجتماعية ذكرنا من قبل ضرورة امتلاك اديب الأطفال لها، فإننا سنسارع الى القول، إن الشاعر قد طرح فكره برومانسية مفرطة لم تعد تصلح للمرحلة، التي تحتاج الى أفق فلسفي أوسع لطرح

---

(١) المصدر السابق:١٨.

(٢) لايكفّ الشاعر عن اعتبار نفسه شاعراً قومياً للأطفال.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مسألة الحريات والديمقراطية والتفاوت الكبير في توزيع الثروة، وغير ذلك مما يعجز الشعار القومي (من حيث هو كشعار فحسب) وحده أن يحيط به .فإن مما يبرّر عجز هذا شعاراً لدى الشاعر، أن الشاعر يطرح نفاله وشعره كأحلام بانتظار العمالقة والأبطال "يجسّدون احلامه كلها في صيحة، ويحوّلون مسيرة التاريخ في نداء .ومازال يؤمن بأنّ نداءً صادقاً يستطيع أن يحوّل مسيرة التاريخ، أن يهزّها على الأقل"(١) .ولاشك ان هذا الانتظار الرومانسي للبطل، والتفكير فيه على النحو الذي طرحه يصف لوناً من ألوان العجز الفكري. فهذا الطرح لايفكر في المرحلة وتخلفها ولافي الأمة وتدهور احوالها، ولا في الظروف ولا في القاعدة التي انّ هي ترقّت وتقدّمت أفرزت ابطالها..مدركين في الوقت نفسه ان هذا الخطاب الذي نقترحه خطاب الراشدين، ولكن الشاعر قد زج به في ديوان للأطفال وهو يعلم انه للكبار..فماذنب الأطفال أن تتشوّه في نفوسهم صورة راشديهم من الآباء والأمهات والمعلمين والأشخاص المرجعيين؟ هل هكذا تكون المقدمات لدواوين الأطفال؟وهل هكذا يقدّم الطرح القومي العروبي بمرارة الكبير وتجاربه؟ وهل إذا تغنّينا بالوحدة على هذا النحو تحصل الوحدة؟

ثم إنّ مقدّمة تستغرق سبع عشرة صفحة هل يقرأها الأطفال؟ وهل يقدرون على متابعتها؟ وهل أنّ ديوان الشاعر اول ديوان للأطفال مبرّر كاف ليبدو كأنه يبدأ من الصفر؟ لقد سبقه احمد شوقي(٢) ولم يفعل ذلك.وسبقة الهرّاوي(٣) ايضاً.

---

(١) المصدر السابق:١١.

(٢) انظر: احمد شوقي، الشوقيات.

(٣) انظر: عبد التوّاب يوسف(جمع ودراسة)، ديوان الهراوي للأطفال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتتجلّى رومانسية الطرح القومي عند العيسى في عدّة مسائل، أولاها:

صورة الوطن:

فالوطن يبدو في شعر العيسى للأطفال- في هذا الديوان جميلاً دائماً. وهذا الجمال يتجلّى في الأرض وعطائها وغلالها.

يقول الشاعر:

وارضُنا السمراءُ
والخيرُ والعطاءُ
تراثُنا ذهبٌ وعزمنا لن يُنهبْ
* * *
غلالُنا الخضراءُ
والخيرُ والعطاءُ (٢)

---

(١) نؤكد رومانسية الشاعر من دراسة شعره في هذا الديوان، رغم انه كتب يقول "ومررت في تجربتي بالمدارس الشعرية من الكلاسكية، إلى الرومانسية، إلى الرمزية، فالواقعية الجديدة. وكان لكل من هذه المدارس أثرها في كتاباتي. ولكني فيما أرى لم أتأثر بواحدة من هذه المدارس كما تأثرت بالواقعية الشعرية الجديدة" (سليمان العيسى، دفتر النشر: ٣٣٤). ولأن الشاعر قد أطلق قوله هذا عام ١٩٨١، فإن حكمنا عليه ليس مطلقاً، وإنما هو حكم على النصوص التي يبين أيدينا فقط.

(٢) ديوان الأطفال: ٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتجلى جمال الوطن ايضا في طبيعته الخلابة :

وطني اشجار وظلال
وترابي قمح وغلال
اتفيأ ظلك ياوطني
واحب تراب ياوطني

* * *

عاش الينبوع المنسكب
عاشت شمس لاتحتجب (١)

وإذا اشاء ان يدعو الاطفال إلى ان يفعلوا شيئا للوطن فليغرسوا شجرة :

انغام خضر تسحرني
هذي الاشجار
فلنزرع ارجاء الوطن
دفقات نهار
ولنسقي الانغام العطره
ولتبق بلادي مزدهره
الجو بهيج
والارض اريج .....(٢)

إننا لانعثر في هذا الديوان ابدا على صورة لجمال غير تقليدي للوطن، فالوطن انهار واشجار وازاهر، إنه وطن الجمال ..وهذا يؤسس للأطفال في البيئة الجميلة إحساسا بالانتماء..لكن

---

(١) ديوان الأطفال: ٤٥ -٤٦.

(٢) المصدر نفسه :٧٧-٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ماذا عن اطفال الخليج العربي والصحراء العربية ؟ماذا عن اطفال البيئات المحرومة وارض المجاعات والموت الجماعي؟ أليس الوطن هو كل شبر ارض، كل شجرة ، كل صخرة ، كل منجرف، كل منحدر ، كل رملة صحراء ملتهبة ، كل شوكة ، كل كثيب....؟؟ إن الشاعر متاثر دون أن يدري ببيئة سورية الطبيعية ، ومايتوافر فيها من سدود وانهار واشجار وشواطىء بحار..وهو متاثر ايضاً بالمفهوم التقليدي للجمال. إذ ان الشاعر قد قدّم الوطن إلى الاطفال غالباً على شكل طبيعة جميلة لاعلى شكل همّة إنسانية تخلق الجمال وتوجده من (لاشيء) إن جاز التعبير... إن الجمال في طبيعة الوطن ينبغي أن لايكون السبب في الانتماء إليه ، بل إن الانتماء النابع لامن طبيعة الارض وفقرها وغناها بل من الوشائج البشرية وارتباطها بالارض هو الذي ينبغي أن يُملى مفهوم "جمال الوطن".

حديثه عن الوحدة

إذ انّ اغلب تعرّض الشاعر لموضوع الوحدة العربية كان من الخارج، اي عنها ، والدعوة إليها . والوحدة مفهوم وقيمة واتجاه . وقد وقف الشاعر منها عند مستوى المفهوم اي الشعارات والحديث المباشر. صحيح ان النشيد الذي يردده الاطفال يتسرّب مع الوقت ليصبح جزءاً من لحمة الوجدان وسُداه ، لكن الحديث المباشر يظلّ مباشراً بمعنى ان الطفل سيردد بعد الشاعر اقوالاً عن ضرورة الوحدة العربية واهميتها..ولكنه لن يعرف كيف يحقق ذلك .وربما يُقال ان ليس على الشعر أن يزوّد بطرائق تحقيق ذلك..ولكن في القصة الشعرية متسعاً لذلك، وهذا مافعله الشاعر مرة واحدة في ديوانه هذا.إن الخطاب المباشر للاطفال ضروري لانّه مدخل للاشياء ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن في الوقوف عنده نظر، خصوصاً إذا رأينا الشاعر يبالغ في استخدام المجاز في شعره للأطفال، وهو -أي المجاز- أسلوب غير مباشر للتوصيل.

وأول هذا التوجيه المباشر الخطاب المتصل بالعلم. ففي نشيد "نفديك ياعلم"(١) يكشف العلم رمز الوطن ورمز الأمة والعروبة والأمجاد ولذلك استحق الحماية والفداء.

ومن التوجيه المباشر الذي يتصل بشيء من الفكر الوحدوي الاشتراكي للشاعر نشيد "للجميع"(٢) حيث يغني الفلاحون -كما جاء في المقدمة النثرية- أغنية تقول إن النور للجميع والحب للجميع والغلال للجميع. وأنهم -أي الفلاحون- يبنون البلاد ويواصلون الجهاد لوحدة العرب وأمة العرب. ثم يدعو هؤلاء المنشدون بعضهم:

تساندي تساندي ياوحدة السواعد
غلالنا الخضراء
والخير والعطاء

لا بد أن يكون للجميع

ويستخدم الشاعر أسلوباً آخر لتوجيه الأطفال نحو الوحدة وهو أسلوب غير مباشر، على شكل رسالة من طفل في دمشق إلى طفل في الجزائر. وفيها حديث عن عروبة الجزائر ومباركة لعودتها إلى الجذع، وتبشير بزوال الحدود والسدود، واعتزاز بأرض الأسود(٣).

---

(١) ديوان الأطفال: ٣٥-٣٦.

(٢) ديوان الأطفال: ٣٨-٤٠ ومن الأناشيد والقصائد التي تتغنى تغنياً مباشراً بالوحدة: "وطني" (ص٤٥).

(٣) المصدر نفسه: ١٢٦-١٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كنا اشرنا إلى أن" الشاعر عمد مرة واحدة في ديوانه إلى قمة شعرية يتصل مغزاها بالوحدة .وهي "النحلة المديقة"(١)، وهي في راينا -ابلغ من اي خطاب وحدوي مباشر، لأنّها تقدّم اسلوب العمل لا الوعظ والإرشاد، من خلال متعة القص" ، فالخروف (الشاعر)خرج ليلا" إلى الطبيعة الجميلة فتربص به ذئب شرس اوشك يفتك به لولا ان راته صديقته النحلة فايقظت اخواتها وانهمرن على الذئب حتى أقسم لايعود إلى هذا الحي طول العمر. وقد ختم الشاعر نشيده بحكمة إيسوبية على نحو مافعل إيسوب احيانا" في بعض قصصه (٢) :

تركت نحلتنا درسها للبشر

ومما ينبثق من حديث الوحدة وينسجم مع الطرح القومي للشاعر مايتصل بفلسطين .ففلسطين تحضر في ديوان الشاعر هذا ثلاث مرات:"طفل من فلسطين"(٣)و"انشودة بان"(٤)و"سوار شعلة"(٥) .

فالانشودة الأولى -وهي انشودة حماسية -فيها استعراض للنكبة والاحتلال والتشريد واللجوء، ثم تهديد بالانتقام والمقاومة بالنار.

الويل لمن سرقوا داري

النار" تلقاو"م بالنار

انا من يافا

انا من صفد

وطني

سأحر"ره بيدي

---

(١) المصدر السابق:١٤٤-١٤٩.

(٢) انظر: حكايات لافونتين.

(٣) ديوان الاطفال:٩٧.

(٤) المصدر نفسه:١٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٥) المصدر السابق: ١٨٠.

أما القصيدة الثانية ففيها حديث غير مباشر عن فلسطين من خلال قصة صبيّة صغيرة من دمشق اسمها "بان" تقرأ في دفتر نشر عن فدائي من غزة قاوم حتى استشهد..ثم تكتسب من هذه القراءة إحساسها الثوري وتكبر بمفاهيم الوطن والأرض المنكوبة، ويدعوها الشاعر أن يملأها الغضب، وأن تغني..فالغناء يصبح عند الشاعر هو فعل الثورة لاحمل البندقية كما فعل الفدائي الشهيد فحسب. وهذا منظور إنساني متقدّم. فالأطفال لايحملون البنادق لكن يستعدّون لتحرير الوطن بطرائق شتى منها حمل البندقية. وهذه فكرة جليلة لاتسود في الوسط الشعري الذي يكتب للأطفال عن الوطن والتحرير. فمعظم مانقرأ يفيض بتحميس الطفل أن يحمل البندقية، مما هو إقحام للطفل فيما ليس له. إذ أن هذا يخالف ببساطة -لا العقل والمنطق فحسب- بل حقوق الطفل العالمية :حقه في الحياة لا الموت. وحقه في وطن محرّر لايعنّي أن يحرره الأطفال، فالأطفال خميرة المستقبل، وعلى الراشدين أن يعدوا لهذه الخميرة مايعين على حياتها بأكرم صورة.

ومثل حديث فلسطين حديث الجزائر. إن الشاعر لاينطوي على هموم سورية فقط، وإنما يحاول تلمس الجراح العربية حيث هي، منوعاً في شخوص اناشيده عبر العواصم والمدائن العربية، مادّاً رقعة الشعر إلى اقصى مايمله الشاطىء الغربي عند المحيط الهادر، إلى اقصى مايمله القلب في الخليج الثائر...

ولابد أن نشير إلى نغمة الفخر التي تتخلل قصائد الديوان واناشيده، فخر بالعروبة والأمجاد، وهي من مظاهر القومية الرومانسية عند الشاعر.ولايعني ذلك أن نلغي هذا المظهر من مظاهر الانتماء، إذ أن الاعتزاز بالوطن وماضيه جزء أساسي وجوهري من الانتماء القومي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخطاب الفردي:

للخطاب الفردي عند الشاعر سليمان العيسى -في ديوانه المذكور- عدة مظاهر منها: صورة (أنا) الشاعر، وصورة (أنا) الطفل.

يمكن بلا حرج أن نزعم أنّ الشاعر (سليمان العيسى) هو محور قصائد هذا الديوان برمّته. والطفولة والأطفال الذين صُنع من أجلهم الديوان يشكّلون (إكسسواراً) إضافياً حوله. ففي ديوان للأطفال وضعه شاعر حقيقي كبير كالذي بين أيدينا نتوقّع أنّ الطفل والطفولة واهتماماتها وعالمها وشؤونها وحاجاتها هي محور القصائد وإيقاعها. ولكننا سرعان ما نكتشف أنّ الشاعر قد ذكر نفسه - بضمير الغائب أو المتكلم- في المقدمة وحدها تسع عشرة مرة، ناهيك عن المرات التي أشار فيها إلى نفسه -هو نفسه- أو إلى الشاعر عموماً -من حيث وظيفته.

وهذا الحضور الحادّ للشاعر في ديوان للأطفال له في رأينا وجهان:

الوجه الأول، إحساس الشاعر القوي بطفولته. وهو إحساس يعبّر عنه شعراً ويعبّر عنه نثراً ويعبّر عنه في كل مناسبة متاحة للقول عن تجربته الشعرية. فهو يعتز أنه بدأ يكتب الشعر وهو ابن تسع كما أنّه لايخفي إعجابه بهذا الشعر(١). بل بلغ إعجابه بشاعريته وتفجّرها المبكّر أن كتب للأطفال سلسلة اسمها "أحكي لكم طفولتي ياصغار"(٢).

والوجه الثاني، هو (أنا) الشاعر. إنّ الشاعر -على رقّته وتواضعه وحبّه الغامر للإنسانية ولوطنه وللأطفال- لم يغادر طور الأنا

---

(١) سليمان العيسى، دفتر النشر: ٣٢٥.

(٢) المصدر نفسه: ٣٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطفليّة حيث يكون فيها الطفل مركز الكون.ولديه نزعة فردية قوية "هي إحدى المعتقدات الأساسية للفن الرومانتيكي"(١)يقول جوته :"في الفن والشعر، تكون الشخصية هي كل شيء"(٢)، ولكن الكشف عن ذاتية الفنّان من السمات المميزة لفن القرن التاسع عشر..بينما يكتب الشاعر لأطفال في النصف الثاني من القرن العشرين.

إن سليمان العيسى يريد دائماً أن يذكّر الأطفال بأنه حاضر، وانه متميّز (قوله الشعر في التاسعة، حبه للأطفال، قيمته كشاعر..) ناهيك عن انه بهذا الذكر الدائم في معارض إيجابية تجتذب إعجاب القراء الأطفال بالشاعر نفسه من حيث هو سليمان العيسى، وبالشاعر -من حيث هو شاعر-.

وإذا طبقنا النظرية الانفعالية في تفسير الفن على سليمان العيسى، نقول إن التعبير الشعري عنده يكشف عما فيه من وعي ومسؤولية باستخدامه وسيطاً موضوعياً معيناً "(٣)هو الشعر. وأن الشاعر من فرط رومانسيّته، وإحساسه بجسامة مهمته كشاعر، واعتزازه بهذه المهمة، وفخره بمكنونات مشاعره ونفسه من الطفولة عبّر تعبيراً مفرطاً عن نفسه، فأدب الأطفال يتطلّب من الشاعر أن يعود إلى الطفولة، أي إلى الطفل الذي في داخله، لا أن يعود إلى ذاتيته وفرديّته ويمارسها. يستطيع أن يغرف من تجارب طفولته، أن يتأمل مشاعره وهو طفل، أن يفتح ذاكرته على رحبها، وينفد أشياء الطفولة أمامه أو ينثرها..لكن عليه أن ينسى ذاته

---

(١) جيروم ستولنيتز، النقد الفني:٣٣٧.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) النقد الفني :٣٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ايضاً..فمعادلة الانا والآخر صعبة. ولعبة الفن تساعد على إخفاء الانا، ولكن الشاعر لم يستطع أن يفعل ذلك.

ومما زاد ذاتية الشاعر ايضاً وإطلاق (أناه) نظريته في الفن والشعر وهي أن الشاعر من طينة غير طينة البشر، ويتميز عنهم بانه "معنى الأرض":

وإذ ناداك وحي فاكتبي
نحن معنى الأرض
نحن الشعراء (١)

وانه مدّاح الفراشات:

وكان الشاعر ابنُ الغصن
مدّاح الفراشات(٢)

بل إن الشاعر كثيراً مايجد نفسه منبثاً في مظاهر الطبيعة واحيائها، فالعصافير شعراء، والخروف ايضاً يكون شاعراً:

واخونا (٣)شاعر"
ربما من عشبة:
صاغ أحلى المُتون
راعَ في إغفاءة
بين همس الزّهر (٤)

---

(١) ديوان الاطفال: ١٤٢.

(٢) ديوان الاطفال: ١٥٤.

(٣) اي الخروف في نشيد " النحلة الصديقة " التي أشرنا إليها.

(٤) المصدر نفسه: ١٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأطفال شعراء:

اضمّك فيه
نشيد إلى يسافر
ويحمل عنّي
أماني شاعر(١)

والأفكار أحيانا تكون شاعرة وكذلك الحكايات: "هات يا أيمن واحدة" من حكاياتك الحلوة الشاعرة "(٢) .

إن فكرة الشعر المنبثّة في هذا الديوان لها في رأينا تعبيران: الأول في (أنا) الشاعر وذاتيته، والثاني في مفهوم الشعر حيث هو الوحي:

حدّثتني فيه عن بلدتها
عن حقول الورد مدّ النظر
عن جذور الوحي في تربتها
كيف أعطت باسقات الشجر(٣) .

وحيث هو حينا آخر "لحن الخلود":

تقول رحلتُ مجبرة
وسوف أعود
فخلّ اسمي على شفتيك
لحن خلود (٤) .

---

(١) المصدر السابق: ١٢٧-١٢٨ من نشيد "من طفل في دمشق إلى طفل في الجزائر".

(٢) ديوان الأطفال : ١٤٤.

(٣) المصدر نفسه : ١٤١.

(٤) المصدر السابق: ١٥٥ من نشيد "مني والعصافير".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحيث هو محيي الموتى ومجترح المعجزات:

وإن طالتْ عليك نوىً
وطالَ غيابُ
رجعتُ على نشيد هوىً
إلى الاحبابُ (١)

وتتلخص ذاتية الشاعر واهتمامه بأن يعجب به الأطفال في نشيد "رسالة من "هدى" وهذا الاهتمام صدى من (إيجو) الشاعر نفسه: تقول المقدمة النثرية: "استيقظ الشاعر يوماً فوجد على منضدته هذه الرسالة ..كانت رسالة هدى تقول:

ملءُ ديوانكَ اطفال وحبُ
وهدايا واناشيدُ ولعبُ
ملءُ ديوانكَ اشياءُ جميلهُ
كلهُا يفرحُ، يستهوي الطفولهُ
شاطىء حلو وبحرُ
وبساتينُ وزهرُ
وصغارٌ يمرحون
اينما شاؤوا، كما شاؤوا
صغارٌ يمرحون
...حين اعطتنا المديرهُ
رُتب العام الاخيرهُ
كافاتني بكتابُ

---

(١) المصدر السابق:١٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان ديوانك -ما احلى اغانيه

الكتاب :

إنه فوق سريري

واغانيه سميري

كل ّ اطفالك لهو ٌ وفرح ٌ

وبعد ان تصف له هدى انها مريضة في بيت لايرى الشمس تساله قائلة ان يأتي لها بالشمس:

كم تحب ّ الشمس هذي

شرفة الجيران ؟

قل ْ لها تأت إلينا

مسّرة تنزل إلينا

قل لها شعراء بديعا ً

ربما جاءت سريعا ً

قل لها .....

فالشاعر إذن يعتقد بقوة الشاعر الخارقة ... بانتشاره في الطبيعة ، بتواصله مع الوجود .

اما الصورة الاخرى من الخطاب الفردي فهو (انا) الطفل ، إذ ان ّ الشاعر نتيجة غياب رقابة الأنا الأعلى لديه -في المجال الذي ذكرنا فقط-يشجّع الانا عند الطفل :

واجتمعنا حوله (٢)عند المساء ِ

خمسة نحن ُ ،واذ كاهم ٌ أنا (٣)

---

(١) ديوان الأطفال :١٩١-ومابعدها

(٢) حول الأب.

(٣) من نشيد "الجام الطاغية " (ديوان الأطفال :١٥٨).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن المؤكد أن للتربويين رأيهم في طلب التميّز بين الإخوة على هذا النحو في مسألة ليست نتيجة الجهد وهي "الذكاء"

وصحيح أن كلمة "أنا" عند الطفل مهمة، لأنه منها ينطلق إلى اكتشاف العالم وفهمه، لكن أن تكون محورا لغنائية وأناشيد فهذا تعزيز لها مابعده تعزيز، كما تتجلى في أنشودة "رباب":

قالت رباب: أنا رباب
العشب أزهر والتراب
عصفورة البيت الصغير
وقبلة النور المذاب
أنا أوقظ الماما على
نغم الصباح

* * *

قالت رباب: أنا رباب
أنا زهرة بيدي كتاب...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبغض النظر عن التوجيه نحو مسك الكتاب، الا" ان مشاعر الشاعر نحو الاطفال ينبغي الا تأخذ هذا المنحى الذاتي فيلنطق الاطفال بإعجابهم بأنفسهم (اليس في العالم العربي ملايين من هؤلاء الكبار المعجبين والذين لايفعلون شيئا" سوى الإعجاب بأنفسهم؟)

الخطاب البورجوازي

يحدّث الشاعر في كل مناسبة متاحة عن حياته المتعبة وحياة الجوع والحرمان والغبار(١) التي تعرّض لها. ولكنه يأتي بقصيدة واحدة فقط عن طفلة مريضة لاتستطيع السير على قدميها لأنها في بيت لا تدخله الشمس(٢). إن سائر الأناشيد والقصائد تعرض لنا أطفالا" سعداء مرفّهين لديهم العابهم(٣)، وفي بيوتهم آلات بيانو(٤)، وتقام من اجلهم أعياد الميلاد. إن الحرير وحيوانات البيت الأليفة، ومفردات العنبر والذهب والأبّهة وسواها، والتعابير الأنيقة والجمال الذي لاتشوبه شائبة يفيء بها هذا الديوان.. حتى الحديث عن الفلاحين حديث فيه جمال نظيف جدا" لاعَرَق فيه ولا غبار.. وهذا يعني انه موقف مفتعل من بورجوازي يريد أن يصوّر الريف ويعطي للفلاح حقّه -عقليا" -لكنه فنّيا" -لم ينجح.

اللغة:

فإذا وقفنا من لغة الشعر وراي الشاعر فيها (الفاظ صعبة، صور غريبة، عبارات غامضة) احسسنا ان الشاعر يتعنّت الطريق إلى

---

(١) ديوان الأطفال: ٩.

(٢) رسالة هدى، ديوان الأطفال: ١٩١.

(٣) المصدر نفسه: ٣١.

(٤) المصدر نفسه: ٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطفولة ولغتها، وإلى شعر الأطفال ومايكون عليه..فإنه يريد للطفل أن ينتظر حتى يكبر ليحمل لديه الفهم ولتتفتح الصور الغامضة، وان" عليه الآن أن يمتلك إيقاع الشعر لامعناه..وهو في إيراده هذا الرأي يدعمه بما تتلمذ هو نفسه عليه من سور القرآن الكريم وشعر العرب. فمادام قد استطاع هو أن يحفظ القرآن الكريم والمعلّقات وشعر المتنبي، فإن" الأطفال العرب الذين يوجّه إليهم هذا الديوان مستطيعون أن يحفظوا شعره..فما أهمّية الفهم؟

والحق" أننا قد بيّنّا فيما تقدّم - ونحن نستعرض عناصر الإطار التاريخي أن الطفل العربي قديما' قد تتلمذ وتشرّب واكتسب إيقاع لغته وإيقاع شعره مما سمع (وقرأ وكتب عندما أتيح له ذلك)من نصوص عالية البيان كالقرآن الكريم والشعر الجاهلي"..مضمّنين أن هذا الأدب-أو مختارات مناسبة منه- ينبغي أن تقدّم للطفل العربي اليوم الذي انقطع عن تراثه ولغته المشرقة.لكن ذلك ليس مبرّرا' لأن ينشىء الشاعر شعرا' جديدا' للأطفال يواجهون فيه صعوبات مماثلة لصعوبات القديم..فهل هو في شعره للكبار ينشىء شعرا' يتمثّل فيه لغة من مفثوا مفردات ومجازا' ؟ أم أنه قد طوّر هذه اللغة لتسلس' ولتنسجم ولغة العصر-أي لتناسب المتلقّي-؟ولمن يكتب الشاعر؟هل يكتب لخاصة العصر العبّاسي أم لجماهيره في القرن العشرين- باعتباره شاعرا' قوميّا' ؟؟فمادام يعي أنه يكتب لهذه الجماهير..لهؤلاء المتلقّين في عصره وعصرهم الحاضر، تاركا' وراءه تقعّر اللغة، مطوّرا' لغته الخاصة وتجنيحها الخاص بما ينسجم ونظرته إلى الشعر والفن"..فلم' لايفعل ذلك لجمهوره من الأطفال؟

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ هذه المحاجة العقليّة المتعبة لها مايبرّرها عندما يأتي تطبيق وجهة نظر الشاعر على شعره... فما اللغة التي قدّمها الشاعر لأطفاله ؟

قدّم لهم مفردات جديدة وغريبة لإثراء ذخيرتهم اللغوية .وقدّم لهم تراكيب لغوية فيها التقديم والتأخير والجمل الاعتراضية ، وقدّم لهم مجازاً عالياً مركّباً ، وقدم لهم معاني غامضة ..فما كل ذلك؟

لسنا نعترض -حسب ماقدّمنا في نظريّة أدب الأطفال-أن يأتي الشاعر أن يأتي بجديد اللفظ-على المتلقّي، حتى لو كان طفلاً - لأنّ الجديد ينضاف إلى معجمه ويثريه ، على أن يتمّ ذلك دون مبالغة أو إفراط. ولسنا نجد في ديوان الأطفال أنه يزودهم بهذه المفردات، غير أن المفردات ذات مستويين:حسيّ ومجرّد . والأطفال يكتشفون العالم ويقتحمونه بحواسهم. ويتكيّفون للحياة وينتقلون إلى مستويات التفاعل الإدراكي الأعلى فينتقلون من المحسوس إلى المجرّد..والمجرّد أنواع. فالحب مجرّد ولكن له مظاهر حسيّة يفهمها الطفل ويستخدمها ويستطيع ملاحظتها..لكن "الحبّ السامي" فذلك مستوى من التجريد ، لايفيق به الأطفال فحسب، بل يجدونه عبثاً وعبثاً..فقد قال الشاعر واصفاً نهر بردى:

زقزقْ ياعصفورُ الشّآم
يادِيوانُ الحبّ السّامي(١)

فإذا كانت مشكلة "الحب السامي" مشكلة تجريد ، فإنها تتضمن مشكلة سياق ومجاز.فكيف يصير لنهر أن يكون ديواناً للحبّ السامي؟

---

(١) ديوان الأطفال:٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهل السموّ لغير تلك العواطف والانفعالات التي تعلو على المادة؟ أو التي تتصل بطبقة عالية من النفس المتعالية على المادة كعاطفة الحب الإلهي مثلاً؟ أليس عطاء النهر حسيّاً سواء كان ذلك في صور الجمال وماتقدّمه للحواس من متع مرئية مسموعة مشمومة ملموسة مذاقة؟ وليست مشكلة الشاعر في القافية؟ فشعره الثرّ ولغته المتدفقة وصوره العذبة وشاعريته الغنية لاتدع مجالاً للشك ان الشاعر يريد الكلمة بذاتها "السامي" معبّرة عن موقف رومانسيّ من الحبّ ونبالته وسموّه..على أننا نفهم إذا كان هذا الحب السامي مصدره الإنسان، فللإنسان أن يختار مايشاء من مدارس ...ولكن النهر هو الذي يملك نحو البشر هذا الحب السامي....السامي عن أي غرض سوى نفعهم ...والشاعر هاهنا يقلب المشبّهات، ويقدّم مجازاً مركّباً..ولهذا حديث آت.

غير انه من المهم أن نشير إلى طبيعة المفردات التي يستخدمها الشاعر وهي لاتختلف في شيء عن مفرداته في دواوينه للراشدين. بل إن مجمل خطابه الشعري للأطفال لايكاد يختلف في شيء عن خطابه للكبار.يقول من "ديوان الأطفال":

نوران المغير وفنجان الشاعر

قطراتٌ من النّدى سمراءُ
لآلاءٌ في يدي فغنّى المساءُ

تلكَ نورانُ، حين تضحكُ كالفجر
ويهمي في وجنتيْها الضّياءُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تفتحُ الباب لي قرنفلةُ البيتِ
فتنهلُّ في يميني السماءُ

واليدان الصغيرتانِ ..ترفّانِ
فتخضرُّ حولي الصّحراءُ

تزرعُ الشّعر حينَ تدرج حولي
فمكاني اغرودةٌ خضراءُ

في يدي قهوتي، واشربُ احلى
كلّما زقزقتْ خُطاها الوضاءُ

طفلةٌ كالنسيمِ ، كالشّفق الحلوِ
كشطرٍ يحارُ فيه الغناءُ

ابدعتْتُها في الصبحِ آهةُ فيروزَ
وصلّى لمقلتيْها المساءُ

إفتحي البابَ ، جئتُ اشربُ
فنجاني، نورانُ قهوتي السمراءُ

متعبٌ ياصغيرتي جئتُ
والدّربُ سوداءُ
وأنتِ ..انتِ العزاءُ

وهو نصٌّ يدور حول طفلة لكنه كخطاب الراشدين امتلاءً بمفرداته الخاصّة ومجازاته وصوره وتعبيراته ووزنه ..وهو لايكاد

---

(١) ديوان الأطفال:١٦٦:١٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يختلف في شيء عن نصوص أخرى للكبار -كما ذكرنا- مثال ذلك قصيدته "نشيد الأقرباء" التي نظمها على هامش الشعر الألباني المعاصر (١):

بيدي" نشيدُ ذوي القربى
وبعيني" الأشواقُ

المُخرةُ صخرتُنا التعبى
والفارسُ فارسنا السبّاق

* * *

شعراءُ النجدة والحبّ"
والبيت الرّاشح بالكرم

أبناءُ الجلمود الصلب
من نغم طار إلى نغم

...في أعينكم يا إخوتنا
نبضي..أشعاري أقرؤها

ومعاً غنّيتُنا محنتنا
في كلّ" صباح أبدؤها

الأنيابُ الزّرقُ السودُ
لم تبرحْ في جلدي العربي

---

(١) سليمان العيسى، وسافرتُ في الغيمة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٦: ٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يبرح فرساني الصّيدُ
بين الأغرودة والسّهب

لكنّ شجيراتُ الورد
مازالتْ في بلدي تكْثُر

قاتلتم آلهة الحقْد
حتى نهدّد الوطنُ الأخْضر

...سنعيشُ على بسمات غدٍ
ياطفْل جراحي يا "ماتو"(١)

إحْملُ إسمي..واحمل سُهْدي
لن تركعُ هذي الآهاتُ

بيديّ نشيدُ الأحبابِ
الطالعُ من دمهمْ فلقا

خُمري، أحلامي، أكوابي
مافي أبياتهمُ ائتلقا"

وكلا النصين يحلق في لغته الرومانسية الشفافة ورؤاه العلويّة، حيث تنهلّ السماءُ والضياءُ ويتفجر الفجر والصفاءُ والشّعْر والأشواق والحبُ والانغام والسهد والأحلام، بل إن النص الثاني يتمتع بإيقاع راقص يفضل الإيقاع الجدي لنصّ الأطفال..وهذه مدرسة الشّاعر ولسنا نملك أن نصفُ له وصفة للخروج من حالة الرومانسية الملازمة إلى حقائق الواقع الملدة بمعالجتها

---

(١) سليمان ماتو: من شعراء البانيا المعاصرين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الواقعية -دون أن يُخدش الفن- ، ودون أن يتحوّل إلى خطاب سياسي...لكن الذي نحاول الوصول إليه من هذه المقارنة بين النصين من حيث مستوى الخطاب أن الشاعر سليمان العيسى يقدّم للأطفال خطاب الراشدين لغة وأسلوباً ومجازاً وتراكيب...

فما المجاز الذي يقدّمه الشاعر لأطفاله ؟

إذا اعتبرنا المجاز هو تلك الصور والأخيلة والعلاقات اللغوية الجديدة التي توهّج اللغة ودلالاتها وكلّ مايعني المخيّلة البصرية والانتقال باللغة من مستوياتها الحسيّة إلى مستوياتها المجرّدة ، او التحول عن مستوياتها المجرّدة إلى الحسي....فإن الشاعر فيما قدّم للأطفال كان غنيّاً غنى غير مألوف ..أليس هو الذي يكرّر القول إنه يريد ان يقدّم للأطفال شعراً يحفظونه لايفهمونه ؟. والمجاز مستوى عالٍ من التجريد برغم مافيه من حسيّة بصرية أو لمسيّة او ذوقية او شميّة...ذلك ان العلاقات فيه خفية ، وفي خفائها جمالها فكيف سيتاتّى للطفل أن يستشعر هذا الجمال؟

يقول الشاعر من قصيدة "الجام الطّاغية "(١)

قد أقمناه على سفح التّجبّل
ضارباً رجليْه في بطن الثرى

طاطأ الماءُ له رأسَ الحَمَل
وكما نهوى تانّى، وجرى

---

(١) ديوان الأطفال:١٥٨-١٦٤. والطاغية هنا النهر الذي اعتاد إيذاء الناس عند الفيضان، واللجام هو السدّ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمجاز في هذين البيتين السدّ الذي يضرب برجله إلى بطن الثرى، والماء الذي يستسلم للسد فيطأطىء له رأسَ الحمل..ويثنى كما الإنسان..

في الصورة الأولى يؤنسن الشاعر السدّ (الشيء الجماد)، ويؤنسن أو (يُحسّيون) الثرى (الشيء/الجماد). في الأولى يؤنسن لأنّه استخدم الرجلين والرجل للبشر.وفي الثانية البطن للإنسان وللحيوان(١) . ومع أن البطن أيضاً من كل شيء جوفه (٢)، إلا أن المعنى انصرفَ إلى الانسنة أو الحيونة بسبب"رجليه "في مطلع الجملة.

هذا مستوى في المجاز. والمستوى الثاني أن هذا السد المؤنسن، السدّ الذي كان لينقذ الإنسان، يضرب رجليه في بطن الثرى. فماذا فعل الثرى؟ من المؤكد أن الشاعر يؤكّد على أنّ النهر هو الذي آذى الفلاحين لا الثرى... فلمَ هذا الضرب. إن المعنى الحسيّ المباشر معنى سادي" ولا إنساني برغم ما أضفاه الشاعر على الأشياء من صفات الإنسان، وبرغم أنه يحاول أن يؤدّي صورة إنسانية، بمعنى أنها لإنقاذ الإنسان وإسعافه. إن المجاز العربي قد استعمل الضرب بمعنى النفاذ القوي في الشيء، فقالت العرب شجرة ضاربة الجذور، أي بعيدة في باطن الأرض، لا في بطنها فالباطن للأحياء والجمادات، أما البطن فللأحياء فقط....

والمجاز الثاني: طأطأ الماء له رأسَ الحَمَل. فبعد أن ضُربَ السدّ رجليه في بطن الثرى(لابطن النهر المؤذي) استجاب الماء بطاعة ووداعة كمايُعرف عن الحمل... فما العلاقة إذن بين المجازين أولاً؟ ثم إن هذا المجاز ذو ثلاثة مستويات:

---

(١) "البطْن" من الإنسان وسائر الحيوان: معروف خلاف الظّهر" (اللسان :بطن).

(٢) اللسان :بطن.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- المستوى الأول: الشيئية (الماء).
- المستوى الثاني: الانتقال إلى الإنسانية (الأنسنة)
- المستوى الثالث: الانتقال إلى الحيوانية..

فالماء الذي هو شيء، طاطأ رأسه استجابة وطاعة كما يطأطىء الإنسان رأسه عندما يؤمر، ولكنه طاطأه كما لو كان حَمَلاً (.وهنا بُعد معرفي ينبغي أن يكون الطفل على دراية به وهو أن الحمل يشبّه به لوداعته).

الا يحمل هذا المجاز من التركيب والتعقيد مايكاد يستحيل على الأطفال فهمه عند شرح الكبير له المعنى العام فقط؟ إذن لم لايطرق الشاعر- مادام يكتب للأطفال- المعنى العام فقط ؟ هل يقول الشاعر شيئاً مشابهاً لو كان يكتب لأقوام بدائية ؟ وهل يتأنق هذا التأنق لو كان يكتب لفلاّحين بسطاء ؟

والديوان مليء بهذا اللون من المجازات:

من شذا "الميماس"(١)من زهرِ التلالْ
قطفتْ أوّلَ بيتٍ ساحرِ

حدّثتني فيه عن بلدتها
عن حقول الورد مدّ النظرِ

عن جذور الوحي في تربتها
كيف أعطتْ باسقاتِ الشّجرِ

كان "ديكُ الجنّ" نهراً من نجومْ
يسهَرُ "العاصي" على أشعارهِ..

---

(١) اسم متنزّه على شاطىء العاصي في نواحي حمص / سوريا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم تزل تسبّح ما بين الكروم
نسمة خضراء من آثاره (١)

ففي هذه القصيدة "الشاعرة الصغيرة" (٢) التي اقتطفنا منها هذه الأبيات تتالى المجازات واحداً إثر الآخر دون مهلة أو راحة أو توقّف. وكان الشاعر يكتب لنفسه. فهذه الطفلة نضال حين تلقي شعرها في خجل "كالعصافير تغني الكلمات" وهي تقرأ شعرها "مثلما تعمس الريشة في إذن الوتر" وهي "طفلة مثل ينابيع السما تزرع الفرحة في قلب الحجر". وهي عندما يكتب على بحر الهزج تكون أبياتها "لغة العصفور في ضوء الصباح" ويكون لقوافيها البيض لحن" وارتجّ كلّما تمتم ثغر" وأقاح". وهذه الطفلة قطفت أول بيت ساحر" من "شذا" الميماس أو من زهر التلال...

إننا لانشكّ بالجماليّة المبدعة والرومانسية الشفّافة التي تجعل هذه المجازات تتدفق في شعر الشاعر سليمان العيسى. ولكن أين هي من مسألة "التوصيل" التي أكّد عليها المنهج النفسي في الفن (ريتشاردز). وهي مسألة لاتتحقّق إلاّ للنوابغ من الأطفال الذين تعرّضوا لأجواء ثقافية عالية، واطلعوا على نصوص شعرية متنوعة، واكتسبوا ذائقة خاصة للشعر والمجاز. فإذا كان الشاعر يصرّ أنّه شاعر جميع الأطفال - لافي قطره سورية فحسب، بل الأطفال العرب أيضاً، وإذا كان يصرّ على خطابه القومي الشامل فإن عليه أن يسلك في مجازه مسالك أخرى أقل وعورة. إذاً ماذا يفعل إذا رفض الطفل شعره؟ فنحن في تجاربنا الطويلة في تدريس الأدب نعلم ما الصعوبة التي تواجهنا كراشدين لجعل هذا اللون من الشعر في

---

(١) ديوان الأطفال: ١٤٠ -١٤١.

(٢) المصدر نفسه: ١٣٨ -١٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

متنـــاول الأطفـــال. إن الخطورة التي تتعلّق بموضوع "التوصيل" تكمن فـــي أنّ الطفل سينصرف عن هذا اللون من الشعر لأنه بعيد عن فهمه، وكـل مـــاهو بعيـــد عن الفهم - لأن شدّة الغموض استغلاق - بعيـــد عن التـــأثير...والطفـــل لايســـتطيع أن يكتسب شيئاً بوضوح كامل إلا إذا فهمـــه ...ولايستجيب لشيء إلا إذا أدركه أولاً، فالبعد المعرفي في الشعر - رغـم انـــه ســـاحة للشعور - مهم، وخصوصاً للأطفال. ومع أن الشـــاعر قد شرح مفرداته وبعض صوره ومجازاته في حواشي الديوان، إلا ان ذلك ظلّ في افق لانظن ان الأطفال -عموماً- يقتربون منه....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخلاصة

حدّد هذا البحث في تمهيده مفهوم الطفولة، ثم مفهوم ادب الأطفال تحديداً موسوعياً حتى يستفاد من النتائج التي تطلّع إلى تحقيقها في كل مايعدّ للأطفال ما كان من ذلك نصاً مكتوباً، أو نصاً مرئياً، أونصاً مسموعاً، او نصاً مسموعاً مرئياً.

ثم مضى يشقّ طريقه عبر الأطر (الباب الأول) التي لايصحّ لأديب أطفال ان يكتب للأطفال دون أن يكون على دراية بها. ففي الإطار التاريخي توصلت الباحثة إلى أن الطفل العربي منذ الجاهلية قد تعرّف تعرفاً منهجياً لأنماط وألوان، من الأدب معظمها من ادب الكبار كالشعر والخطابة والأمثال وبعضها أعدت خصيصاً من أجله (، اغاني الترقيص)واستعرضت الباحثة ألوان النصوص الأدبية الشفهية أو المكتوبة التي شكلت ثقافته وعلى رأسها القرآن الكريم، مدعمة ذلك بأدلة نقلية صريحة أو أدلة عقلية استنباطية.

وفي المجال الفلسفي الاجتماعي حاولت الباحثة أن تركز على القيم باعتبارها الفيصل في فلسفة أي مجتمع. ثم وضحت ان لكل امة فلسفة عليها أن توضحها وتتبنّاها من أجل أن يصدر ادب صحي للأطفال عنها. واثبتت أن المدارس الاشتراكية والرأسمالية والصهيونية معنية بأن تبني ادبها على فلسفتها الخاصة. رغم أن بعضها قائم على العنصرية والحقد (كالصهيونية) ثم اقترحت فلسفة عربية يلتزم بها ويستطيع اديب الأطفال تبنّيها.

وفي المجال النفسي التربوي انتهت الباحثة إلى أهم مايميز الطفل من خصائصه النمائية مما له صلة بأدب الأطفال: لغته

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

باعتبارها من اهم جوانب نموه العقلي (فدرست نظريات في لغة الأطفال، ومراحل تطورها وانفعالات الأطفال (الخوف والغيرة والغضب)، واللعب (كنشاط نفسحركي).

وفي النظرية (الباب الثاني) طرحت الباحثة أربعة أسئلة جعلتها محاور لبناء نظريتها وحددت في التمهيد مفهوم النظرية، ثم مضت تبنيها شيئاً فشيئاً معتمدة على الأسئلة الأربعة: (من، ماذا، لمه، كيف) لقد حددت الباحثة صفات ومكوّنات ثقافة اديب الأطفال: كما اقترحت مصادر لأدب الأطفال تتراوح بين التراثي والمعاصر المحلي والعالمي وبين الخبرة والإبداع الذاتي. وفي لماذا بحثت في وظيفة الفن عموماً مستعرضة النظريات النقدية التي لها علاقة بأدب الأطفال. وفي "كيف" بحثت بعض القضايا الفنية حول لغة الطفل في الكتابة الأدبية، وحول الأسلوب واقترحت الاستفادة من أساليب القرآن الكريم في القصص والسور القصار، ومن أساليب الأدب الشعبي، ومن أساليب السحر، وبحثت في الخيال من حيث هو عنصر ومهم في بناء المادة الأدبية للأطفال. وخلاصة هذا الباب كانت نظرية تكاملية تعنى بالفن من حيث هو قيمة، وبالتوصيل إلى المتلقي (الذي هو الطفل).

وفي الباب الأخير حاولت الباحثة أن تدرس ديوانا للشاعر سليمان العيسى لتطبّق النظرية. فأشارت إلى مكونات ثقافته، وعرضت نموه الشعرية في "ديوان الأطفال، من حيث محتواها الفكري واللغوي ومكوّناتها الفنية. وتوصلت إلى أن الشاعر في هذا الديوان قد خانته اللغة من حيث مجازاتها في أن تكون ملائمة للأطفال، وانه قوميا وعروبيا لم يقترح أساليب لتحقيق القومية والوحدة سوى ما اعلن من خطابية ومباشرة، غير قصيدة واحدة "النحلة الصديقة".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحذرت الباحثة من أن يكون هذا الحكم على الديوان حكماً مطلقاً على الشاعر نفسه فقد تطور الشاعر في دواوينه الأخرى إيقاعياً ولغوياً .

وتأمل الباحثة أن يكون هذا البحث محاولة نقدية قد يفيد منها من يريد أن يكتب للأطفال أو ينقد أدب الأطفال، لأنه يتناول هذا الأدب من وجهة نظر نقدية شبه خالصة .. ولعل هذه هي الإضافة المأمولة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجع العربية والمترجمة

١ . ابراهيم السامرائي، من معجم الجاحظ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٢.

٢ . اتحاد إذاعات الدول العربية، برامج الأطفال في الراديو والتلفزيون، حلقة دراسية، مؤسسة روز اليوسف، القاهرة، ١٩٧٢.

٣ . إحسان عبّاس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب: نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٧٨.

٤ . إلفت كمال الروبي، نظريّة الشعر عند الفلاسفة المسلمين (من الكندي إلى ابن رشد، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٣.

٥ . احمد امين، فجر الإسلام، مكتبة النهضة، مصر، ط١، ١٩٦١.

٦ . احمد ابو حاقة، الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٩.

٧ . احمد ابو سعد، أغاني ترقيص الأطفال، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨ . احمد ابو عرقوب، محاضرات في ادب الأطفال، مطبعة المؤسسة الصحفية الأردنية، عمان، ١٩٨٢.

٩ . احمد شوقي، الشوقيات، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٦٤.

١٠. احمد المصلح، ادب الأطفال في الأردن، منشورات دائرة الثقافة والفنون، عمان، ١٩٨٣.

١١ . احمد نجيب، اغاني الأطفال الشعبية في ٢١ لغة من لغات العالم، (تقديم عبد الحميد يونس)، الهيئة المصرية العامه للكتاب، القاهره، ١٩٨٣.

١٢. ، فن الكتابة للأطفال، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهر، ١٩٦٨.

١٣. اجاثا باولي، النمو الطبيعي للطفل، (ترجمة وهيب سمعان)، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة، ١٩٥٧.

١٤. ادونيس ، الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٥. ا.ريتشارد، مبادىء النقد الادبي (ترجمة وتقديم مصطفى بدوي، مراجعة لويس عوض)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، ١٩٦١.

١٦. آرنست فيشر، الاشتراكية والفن، (ترجمة اسعد حليم)، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠.

١٧. الاصفهاني (ابو الفرج)، الاغاني، (تحقيق عبد الكريم العرباوي وآخر)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت.

١٨. الدوس هكسلي، الجزيرة (رواية)، (ترجمة سامي خشبة)، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٣.

١٩. اندريه ميشيل، للنماذج في ادوار المرأة والرجل، إزالة الجنسوية من ادب الأطفال والكتب المدرسية، من منشورات اليونسكو، بيروت، ١٩٨٦.

٢٠. اوير كوهين، وجه قبيح في المرآة، انعكاس النزاع العربي/اليهودي على

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الادب العبري للاطفال، (ترجمة غازي السعدي) دار الخليل للنشر، عمان، ط ١، ١٩٨٨.

٢١. اورزولا شوي، أصل الفروق بين الجنسين، (ترجمة بو علي ياسين)، دار التنوير، بيروت، ط ١، ١٩٨٢.

٢٢. البغدادي (عبد القادر عمر)، خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٣٧ هـ.

٢٣. برهان الدين دلو، مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٥.

٢٤. جابر عصفور، مفهوم الشعر: دراسة في التراث النقدي، دار التنوير، بيروت، ط٢، ١٩٨٢.

٢٥. جابر عبد الحميد جابر، علم النفس التربوي، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٣.

٢٦. الجاحظ، (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البخلاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٩.

٢٧. ، البيان والتبيين، (تحقيق عبد السلام هارون)، القاهرة، ١٩٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٨. ، الحيوان، (تحقيق عبد السلام هارون)، مصر، ١٩٣٨.

٢٩. جبرا إبراهيم جبرا (مترجم)، حكايات لافونتين، دار ثقافة الأطفال، بغداد، ١٩٨٧.

٣٠. الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الأطفال والحرب في لبنان: المحنة والمعاناة، (بالتعاون مع الجامعة الأميركية في بيروت، وبرنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الانمائية) منشورات الجامعة الأميركية، بيروت، ١٩٨٦.

٣١. ، الطفولة في مجتمع متغيّر، الكتاب السنوي، ١٩٨٣، ١٣٨٤. الكويت.

٣٢. جورج طرابيشي، انثى ضدّ الأنوثة: دراسة في ادب نوال سعداوي على ضوء التحليل النفسي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٤.

٣٣. جورج كلاّس، الألسنية ولغة الطفل العربي، المنشورات الجامعة، بيروت، ١٩٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٤. ابن الجوزي (ابو الفرج)، أحكام النساء، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، د. ت.

٣٥. جون إيكن، كيف تكتب للأطفال، (ترجمة كاظم سعد الدين)، دار ثقافة الأطفال، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٨.

٣٦. جون ديوي، الفن خبرة، (ترجمة زكريا ابراهيم، مراجعة زكي نجيب محمود) دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣.

٣٧. جيروم ستولنيتز، النقد الفني: دراسة جمالية وفلسفية، (ترجمة فؤاد زكريا) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨١. ٣٨.

٣٨. حامد زهران، علم النفس الإجتماعي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٢.

٣٩. حسن الباش، أغاني وألعاب الأطفال في التراث الشعبي الفلسطيني، دار الجليل، دمشق، ١٩٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٠. (الأمير) حسن بن طلال (تقديم)، أطفال الشوارع : مأساة حضرية متنامية، منتدى الفكر العربي، عمان، ١٩٨٧.

٤١. حسن حنفي، التراث والتجديد، دار التنوير، بيروت، ١٩٨١.

٤٢. حسين جميل، حقوق الإنسان في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٦.

٤٣. رالف بيري، آفاق القيمة، (ترجمة عبد المحسن عاطف سلام، مراجعة محمد علي العريان) تقديم زكي نجيب محمود)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٨.

٤٤. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٣٤.

٤٥. روبين كولنجوود، مبادىء الفن، (ترجمة احمد حمدي محمود)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، د. ت.

٤٦. رينيه ويليك وأوستن وارين، نظرية الأدب، (ترجمة محي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨١.

٤٧. رينيه ويليك، مفاهيم نقدية، (ترجمة محمد عصفور)، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٧.

٤٨. زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٦٦.

٤٩. ، مشكلة الفن، مصر . د.ت.

٥٠. زليخة ابو ريشة، ادب الاطفال في الأردن في مواجهة الصهيونية (١٩٦٧-١٩٨٥) من بحوث المؤتمر الثقافي الوطني الثاني (١٩٨٥)، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٦.

٥١. ساميلي سوفو ملنيسكي، للأطفال قلبي، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٣.

٥٢. سعد الدين ابراهيم، تجسير الفجوة بين صانعي القرارات والمفكرين العرب، منتدى الفكر العربي، عمان، ١٩٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٣. ، أساليب تنمية الوعي القومي عند الطفل العربي، الكتاب السنوي الثالث للجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية (الأطفال وحروب شتى في العالم العربي)، الكويت، ١٩٨٦.

٥٤. ابن سلاّم الجمحي، طبقات فحول الشعراء، (تحقيق محمود محمد شاكر)، دار المعارف، القاهرة. د. ت.

٥٥. سليمان العيسى، دفتر النشر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨١.

٥٦. ، وسافرت في الغيمة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٦.

٥٧. سمر روحي الفيصل، مشكلات قصص الأطفال في سورية، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ١٩٨١.

٥٨. سهير القلماوي، ألف ليلة وليلة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦.

٥٩. سوزانا ميلر، سيكولوجية اللعب، (ترجمة رمزي حليم يسن، ومراجعة احمد زكي صالح)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦٠. صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ط ٢، ١٩٦٢.

٦١. شارل لالو، الفن والحياة الاجتماعية، (تعريب عادل العوا)، دار الأنوار، بيروت ط ١، ١٩٦٦.

٦٢. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، د .ت.

٦٣. ، النثر الفني، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

٦٤. ابن طباطبا العلوي (محمد احمد) عيار الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢.

٦٥. عبد التواب يوسف، مدى تأثير القيم العربية الإسلامية على برامج الأطفال بدول الخليج العربي، ندوة " ماذا يريد التربويون من الإعلاميين" مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، د.ت.

٦٦. عبد الستار ابراهيم، آفاق جديدة في دراسة الإبداع، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦٧. عبد الله ابو هيف، أدب الأطفال: نظرياً وتطبيقياً، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٣.

٦٨. عبدالله رضوان، النموذج وقضايا أخرى، دراسة في القصة القصيرة الأردنية ١٩٧٠-١٩٨٠، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ١٩٨٣.

٦٩. عبد المتعال محمد الجبري، المرأة في التصوّر الإسلامي، مكتبة وهبة، د.ط.، د.ت.

٧٠. علي الحديدي، في ادب الأطفال، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٨٢.

٧١. علي الدين هلال، تحديات الأمن القومي العربي في العقد القادم، سلسلة الحوارات العربية، منتدى الفكر العربي، عمان، ١٩٨٦.

٧٢. عزالدين اسماعيل، التفسير النفسي للأدب، دار العودة، بيروت، ١٩٦٢.

٧٣. ، الأسس الجمالية في النقد العربي: عرض وتفسير ومقارنة، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧٤. فايق مصطفى أحمد، أثر التراث الشعبي في الأدب المسرحي النثري في مصر، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠.

٧٥. الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، دار العراق، بيروت، ١٩٥٥.

٧٦. فؤاد ابو حطب، وآمال صادق، علم النفس التربوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٠.

٧٧. فؤاد البهي السيد، الأسس النفسية للنمو من الطفولة الى الشيخوخة، دار الفكر العربي، مصر، ط ٢، ١٩٨٦.

٧٨. فؤاد زكريا، اسبينوزا، سلسلة الفكر المعاصر، دار التنوير، بيروت، ١٩٨١.

٧٩. فؤاد المرعي (مترجم)، علم الجمال البورجوازي المعاصر: دراسات نقدية، منشورات دار الفجر، حلب، د.ت.

٨٠. فدوى مالطي دوجلاس، بناء النص التراثي دراسات في الأدب والتراجم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨١. فرحان صالح، جدلية العلاقة بين الفكر العربي والتراث: رؤية نقدية، دار الحداثة بيروت، ط ١، ١٩٨٣.

٨٢. فورين، بلد الطلائع، دار التقدم، موسكو، د.ت

٨٣. فوزي العنتيل، عالم الحكايات الشعبية، دار المريخ الرياض، ١٩٨٣.

٨٤. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، دار احياء العلوم، بيروت، ط١، ١٩٨٤.

٨٥. ليلى سعد الدين، كليلة ودمنة في الأدب العربي؛ دراسة مقارنة، مكتبة الرسالة عمان، د.ت.

٨٦. ليندا فارلي ويليامز، التعليم من أجل العقل ذي الجانبين: دليل التربية للجانب الأيمن وللجانب الأيسر من الدماغ، (ترجمة خبراء من معهد التربية) الأونروا/اليونسكو، عمان، ١٩٨٨.

٨٧. محسن جاسم الموسوي، الوقوع في دائرة السحر: الف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنجليزي دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨٨. محمد ربيع ، أزمة الفكر الصهيوني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩.

٨٩. محمد عثمان الخشت، وليس الذكر كالأنثى، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٩٨٤.

٩٠. محمد عمارة، التراث في ضوء العقل، دار الوحدة، بيروت، ط ١ ١٩٨٠.

٩١. محمد عمران، ألعاب الأطفال وأغانيها في مصر، دار الفتى العربي، القاهرة، ١٩٨٣.

٩٢. محمد العروسي المطوي، الطفل في الأدب العربي، مؤتمر الأدباء العاشر مهرجان الشعر الثاني عشر، (بحوث ومقالات وقصائد)، وزارة الإعلام والثقافة، الجمهورية الجزائرية، ١٩٧٥.

٩٣. محمد متولي شعراوي، المرأة المسلمة والطريق إلى الله، مكتبة القرآن، القاهرة، د.ت.

٩٤. محمود سليم الحوت، طريق المثولوجيا عند العرب، بيروت، ١٩٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩٥. محي الدين احمد حسين، القيم الخاصة لدى المبدعين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١.

٩٦. مركز الاهرام (ناشر)، المجاعة: هل هي كارثة من صنع الإنسان؟، تقرير اللجنة المستقلة المعنية بالقضايا الإنسانية الدولية. مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٦.

٩٧. مركز دراسات الوحدة العربية، المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٢.

٩٨. المسعودي، مروج الذهب، (تحقيق محي الدين عبد الحميد)، المكتبة التجارية، مصر، ط ٢، ١٩٤٨.

٩٩. مصطفى سويف، الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، دار المعارف، بمصر، ١٩٥٩.

١٠٠. مصطفى فهمي، سيكولوجية الطفولة والمراهقة، مكتبة مصر، د.ت.

١٠١. ابن المقفع، كليلة ودمنة، المؤسسة المتحدة للكتاب، ط ٢، بيروت، ١٩٨٠.

١٠٢. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، استراتيجية تطوير التربية العربية، ١٩٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠٣. منتدى الفكر العربي (ناشر)، الأمن الغذائي العربي (سلسلة الحوارات العربية) منتدى الفكر العربي، عمان، ١٩٨٦.

١٠٤. ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.

١٠٥. النادي الثقافي العربي، الاتجاهات الجديدة في ثقافة الأطفال (أسبوع ثقافة الأطفال) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٨.

١٠٦. ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٢.

١٠٧. نبيلة إبراهيم، اشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ١٩٨١.

١٠٨. ندوة ناصر الفكرية، ملامح المشروع الحضاري العربي المعاصر، دار الوحدة، بيروت، ط١، ١٩٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠٩. نورمان جرونلاند، الأهداف التعليمية، (ترجمة احمد خيري كاظم)، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت.

١١٠. هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائطه، الهيئه المصرية العامة للكتاب القاهرة، ١٩٨٦.

١١١. ، ثقافة الأطفال، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، ١٩٨٨.

١١٢. هشام الشرابي(محرر)، العقد العربي القادم، المستقبلات البديلة، مركز دراسات الوحدة العربية (بالتعاون مع مركز الدراسات العربية المعاصرة، وجامعة جورجتاون) بيروت، ط ١، ١٩٨٦.

١١٣. ، النظام الأبوي التبعية ومستقبل المجتمع العربي، (من كتاب العقد العربي القادم...)

١١٤. ، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط٤، ١٩٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١٥. ، الطفل ومعضلات المجتمع البطركي، بحوث من ندوات الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، (الكتاب السنوي)، الكويت، ١٩٨٥.

١١٦. هند طه حسين، النظرية النقدية عند العرب، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراق، ١٩٨١.

١١٧. هيربرت ريد، التربية عن طريق الفن (ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد) الهيئة العامة للكتب والاجهزة العلمية، القاهرة، ١٩٧٠.

١١٨. هيفاء شرايحة، ادب الأطفال ومكتباتهم، المطبعة الوطنية ومكتباتها، عمان، ١٩٧٨.

١١٩. ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البحوث والرسائل غير المطبوعة

١ . حسن الإبراهيم، الطفولة في دول الخليج العربي : بعض القضايا الرئيسية الملحة، من بحوث ندوة "الطفولة في مجتمع متغير"، كلية التربية، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العين، ١٩٨٨.

٢ . حسن شحاتة، القيم التربوية في قصص الأطفال، من بحوث الحلقة الدراسية عن "القيم التربوية في ثقافة الطفل" الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥.

٣ . داود عبده، لغة الطفل، معهد التربية، الأونروا/اليونسكو (A/A/32 Prep.)، بيروت، ١٩٧٢.

٤ . دونالد شطي ونايفة قطامي، أساليب توضيح القيم، (٢/٧t) من منشورات معهد التربية الادنرو / اليونسكو، عمان، ١٩٨٨.

٥ زليخة ابو ريشة ، الأطفال والمستقبل : التعليم، بحث مقدم لندوة " الطفولة في مجتمع متغير" ، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العين، ١٩٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦ . ، الجنسوية وأدب الأطفال، بحث مقدم إلى ندوة "أدب الأطفال في الأردن الواقع والتطلعات" الرابطة الوطنية لتربية وتعليم الأطفال، الأردن، ١٩٨٨.

٧. ، الرؤيا الثقافية للطفل العربي، تعقيب على بحث الدكتور محمد ابراهيم حوّر، من ندوات الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت، ١٩٨٨.

٨ . سيد عويس ، القيم الاجتماعية التي يجب أن نغرسها في نفوس الأطفال، من بحوث الحلقة الدراسية عن " القيم التربوية في ثقافة الطفل" مركز تنمية الكتاب العربي" الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥.

٩. عبد التواب يوسف، الطفولة والقيم، من بحوث الحلقة الدراسية عن "القيم التربوية في ثقافة الطفل"، مركز تنمية الكتاب العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠. عبد الملك الناشف، القيم وطرائق تعليمها وتعلمها، (E/P13) معهد التربية، الأونروا / اليونسكو، عمان، ١٩٨١.

١١. ، الذاتية الثقافية للطلاب الفلسطينيين، وانعكاساتها على تربيتهم، (E/28)معهد التربية، الأونروا / اليونسكو، عمان، ١٩٨٣.

١٢. لينا غريس، أثر نتائج السلوك العدواني المتلفز على سلوك الأطفال العدواني، (رسالة ماجستير) الجامعة الأردنية، كلية التربية، عمان، ١٩٨٢.

١٣. عواطف عبد الجليل، المعرفة عند الطفل، من بحوث الحلقة الدراسية عن " القيم التربوية في ثقافة الطفل" الهيئه المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دوريات عربية

١ . انطوان شلحت، "أفنين كرميلي: الرؤية والرؤيا"، مجلة الجديد، القدس، ١٩٨٥م.

٢ . زليخة ابو ريشة، "أدب الأطفال العرب والانحراف"، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، عدد ٩٤، ١٩٨٦.

٣ . عبد الملك الناشف، "القيم وقابليتها للتعليم والتعلم"، مجلة المعلم/الطالب، معهد التربية الأونروا/اليونسكو، عمان، العدد، ١/١٩٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتب وسلسلات الأطفال العربية والمترجمة

١ . توفيق الحكيم ، الأميرة البيضاء أو بياض النهار (يرويها توفيق الحكيم ، رسوم مصطفى حسين) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٧٨.

٢ . ، أهل الكهف، (سلسلة حكايات توفيق الحكيم ، رسوم مصطفى حسين) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٨٠.

٣ . كاكاشي شيموكا ، أميرة ضوء القمر، (حكايات شعبية من اليابان) ترجمة عبد المقصود محمد ، دار ثقافة الأطفال ، بغداد ١٩٨٨.

٤ . بيت الحكمة (ناشر) ، سلسلة قصصنا الشعبي، بيروت د.ت.

٥ . برهان الخطيب (مترجم) ، شواطىء الأحلام : حكايات لأدباء روس، دار رادوغا ، موسكو ، ١٩٨٣.

٦ . جبرا ابراهيم جبرا ، (ترجمة وتقديم) ، من حكايات لافونتين، دار ثقافة الأطفال ، بغداد ١٩٨٧.

٧ . جمال ابو رية (تبسيط) ، البخلاء (رسوم فريدة عويس) ، الهيئة المصرية العامه للكتاب، ١٩٨٤، جزءان.

٨ . دنبرو (ناشر) ، البطة الصغيرة العرجاء، دار

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نشر دنبرو، الاتحاد السوفياتي، د.ت.

٩. دار ثقافة الأطفال (ناشر)، سلسلة حكايات شعبية، بغداد د.ت.

١٠. دار الفتى العربي، سلسلة "من حكايات الشعوب"، القاهرة، د.ت.

١١. راجي عنايت، من وحي كليلة ودمنة (رسوم بهجت عثمان) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٨.

١٢. ، مغامرات ابن بطوطة، (رسوم بهجت عثمان) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩.

١٣. روضة الهدهد، في أحراج يعبد: عز الدين القسام، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ١٩٧٩.

١٤. ، الزمن الحزين في ديرياسين، عمان.

١٥. ، سر القنابل الموقوتة، عمان.

١٦. ، قافلة الفداء، عمان.

١٧. ، رحلة النضال، عمان.

١٨. ، منقذ القرية، عمان.

١٩. ، لغز الأطفال والبندقية في مخيم الدهيشة، عمان.

٢٠. سهيل ايوب (تهذيب وإشراف)، سلسلة "ألف ليلة وليلة المصوّرة"، دار كرم، دمشق، د.ت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢١. سهير قلماوي ، من حكايات جدتي (إعداد عبد التواب يوسف، رسوم فريدة عويس)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٨٣.

٢٢. سليمان العيسى، ديوان الأطفال، منشورات مكتبة النوري، دمشق، ط١، ١٩٦٩.

٢٣. عبد التواب يوسف - (جمع ودراسات)، ديوان الهراوي للأطفال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٨٥.

٢٤. عبد الرحيم صالح الرحيم (مترجم)، حكايات الأخوين غريم، (بالاشتراك مع لمعان السعدون، رسوم نبيل يعقوب)، دار ثقافة الأطفال، بغداد ، ١٩٨٧.

٢٥. عبد الرحمن طهمازي، رحلات السندباد البحري، (رسوم افتخار صادق) ، كتاب التراث الذهبي، دار ثقافة الأطفال ، بغداد ، ١٩٨٦.

٢٦. عبد الفتاح الجمل، حكايات شعبية من مصر، (رسوم إيهاب شاكر)، دار الفتى العربي، القاهرة ، ١٩٨٥.

٢٧. علي البتيري، القدس تقول لكم، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ١٩٨٣.

٢٨. كامل الكيلاني، شهرزاد بنت الوزير، دار مكتبة الأطفال، القاهرة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٩. ، صانع الأعاجيب.

٣٠. ، عجيب وعجيبة.

٣١. ، بساط الريح، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٦٤.

٣٢. ، علاء الدين، دار المعارف بمصر.

٣٣. ، القمر الهندي، دار المعارف بمصر

٣٤. ، في غابة الشياطين، دار المعارف بمصر. القاهرة، ط ١١، ١٩٨٤.

٣٥. نيقولاي نوسوف، كيف صار الجاهل موسيقياً، (ترجمة غائب طعمة فرمان، رسوم بوريس كالاؤويشين) دار رادوغا، موسكو.

٣٦. ، كيف ابتكر العالم الكرة،

٣٧. ، كيف ركب الجاهل السيارة النارية.

٣٨. ، كيف نظم الجاهل شعراً.

٣٩. الهيئة المصرية العامة للكتاب (ناشر)، أيام طه حسين، القاهرة د.ت

٤٠. يوسف حمدان، غنوا لفلسطين، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٥.

٤١. يعقوب الشاروني (إعداد)، عصفورة وجرادة، (سلسلة أجمل الحكايات الشعبية)، (رسوم حلمي التوني)، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٩٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجع الأجنبية

1. Bar-Adon, Aaron; & Leopol, Werner; (Editors), Child Language : A Book of Reading, Prentice - Hall, Inc., Englewood Cliffs, New Jersey, 1971.
2. Glazer, Joan I., Literature For Young Children, Charles E. Merrill Publishings Company, A Bell & Howell Company, Columbus, Second Edition, 1986.
3. Francis, Hazel; Langnage in Childhood; Form and Function in Language Learning, St. Martin's Press, New York, 1975.
4. Hurlock, Elizabeth, Child Development, McGraw-Hill Book Company, 1978.
5. Lonsdale, J. Benard and Mackintosh, Helen K.; Children Experience Literature, Renardom House, New York, 1973.
6. Meyer, William & Dusex, Jerome B., Child Psychology : A Developmented Perspective, D.C. Health and Company, Lexington Massachusetts, Toronto, 1979.
7. Raths, Louise E. & Merill, Hamin, & Simon, Sidney B., Values And Teaching, Charless E. Merrill Publication Co. Columbus, Ohio. U.S., 1966.
8. UNCIF, The State of the Worlds Children 1987, Oxford University Press.
9. Yolen, Jane, Writing Books For Children. The Writers, Inc., Stanislavsky, Boston, 1973.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموسوعات الأجنبية

1. The American People Encyclopedia, Grolier Incorporated, 1983. Vol.3.
2. Britannica Junior Encyclopedia For Boys & Girls, Willian Benton, Publisher, University of Chicago, 1971. Vol.4.
3. Chamber's Encyclopedia, Pergamon Press, London, Vol.3.
4. Children's Britannica, Children Britannica International, Ltd., London, 3rd Edition, 1973, Vol. 3.
5. The Colombia Encyclopedia, Colombia University Press, 1963 - 1964, 3rd edition, U.S.A., Vol. 3.
6. Encyclopedia of Library and Information Science.
7. Epcyclopedia Judaica, Jerusalem, 1971, Vol.5.
8. Encyclopedia International, Grolier, New York, 1972. Vol.11.
9. Funk & Wagnalls, New Encyclopedia, Funk & Wagnalls, Inc. New York, Vol. 5.
10. Great Soviet Encyclopiedia, Vol. 25.
11. New Standard Encyclopedia, Chicago, Vol.7.
12. The New Book of Knowledge, Grollen Incorporated, 1983, Vol.3.
13. The New Encyclopedia Britannica, Encyclopedia Britannica, Inc. William Benton, Publisher, 1943-1974, Chicago, London. Vol.4.
14. The World Book Encyclopedia, World Book Childcraft International, Inc. 1981, U.S. Vol. 12.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Univeristy of Jordan
Faculty of graduate studies
Arabic Department (M.A)

Children Literature in the Modern Arabic Literature

The Frames, The Theory, and The Application

Prepared by : Zuleikha Abdul Rahman Abu Risha

Supervised by : Prof. Mahmud Al-Samrah

(Submited in partial fulfilment of the requirements for the (M.A) of philosophy by Degree in the Arab Literature at the Faculty of Graduate Studies, University of Jordan).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتب الأطفال الأجنبية

1. Adams, Pam; & Jones, Ceri (Illustrators), A Book of Ghosts, A Child's Play Imagination Book, Child Play (International) Ltd, Restrop Monor, Parton Wilts, England, 1974.
2. Pomerantz, Charlotte; Downtown Fairy Godmother, A Ban-Tam-Skylark Book, U.S.
3. Pogrebin, Letty Cottinl; Stories For Free Children, McGraw - Hill Paper, U.S.
4. Spender, S.; World Within World, London : Hamish Hamilton.
5. Sendak, Mourice; Where The Wild Things Are ?, Harper and Row Publishers, 1984, New York.

٣٧٨٢٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

This study has exhaustively identified, in the introduction part, the concept of childhood as a preliminary to identify the term "children literature". The intention from this is to make use of the conclusions achieved in this study in the different types of material addressed for children : written, visual, aural on aural-virual.

This study proceeds then to discuss frames of reference (chapter 1) necessary for any children writer to be acquainted with. As regards the historical frame, the researcher has concluded that the Arab child, since Pre-Islamic centuries has been systematically of which are selected from adult literature like : poetry, speeches, proverbs and sayings. Some literary texts, however, have been initiated especially for the child like Rhymes and songs. The researcher has reviewed the literary texts, verbal and written, which shaped the child's culture, the Holy Qura'an in particular. This has been supported with direct authentic evidenceor through inductive reasoning argumentation.

As regards the social - philosophical frame of reference, the researcher has concentrated on the Values as the best that reflect the philosophy. The researcher has given an evidence that each of socialistic, capitalistic, zionistic schools has been concerned in building its

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

literature on its own philosophy; despite that some of these are based on racial discrimination and mallice like zionism. Then, she suggests a philosophy for the Arabs to adopt and to follow by children writers.

In the psycho - educational frame of reference, the researcher has found out that the most serious factor related to children literature that characterizes the child in his developmental stages is "language" since it is the most important aspect in the child's intellectual development. She then studied theories on language development of children, the affective domain (anger, fear, jealousy) and playing as a psychomotor domain activity as well.

In the "Theory" (Chapter II), the researcher has raised four questions forming the basis to construct the theory on. She defined the concept of "theory" and then developed it gradually, a step by step, depending on the four questions (WHO, WHAT, WHY, and HOW). She has determind the qualities and components of the cultural background of the children writter. She has proposed, as well, resources for children literature which vary from those built on the cultural heritage, contemporary local, universal and those acquired by experience and individual creativity. In the WHY part, she examines the function of art in general, reviewing the theories of criticism in relation with children literature.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

In the HOW part, she investigated some technical mattess concerning the child language in literary arts and stylistics. Consequently, she suggests to benifit from the style of the Holy Quraan particularly in story - telling and the short suras, and from the style of folklore and magic. She has also discussed "imagination" as an important part in the construction of literary material for children. The theme of this chapter is the integrated theory concerned with art as a value and in the message of communication adressed to the child.

In the last chapter, the researcher has made an attempt to study the works of a poet, Suleiman - El -Eissa, to apply the theory on. She has dealt with his cultural components and then analysed his poetic texts in Diwan -El-Atfal as regards content, language, and technical structure she has found out that the poet, in this poetry book. has not been successful in making metaphors that suit the children. Moreover, as an Arab nationalist, he did not suggest means and methods to materialize nationalism and unity other than that which was directly addressed and dictated. An exception was his poem entitled "The friendly bee". The researcher has warned, however, that this judgement on this poetry book should not be an absolute judgement on the man as a poet. Suleiman-El-Eissa has developed alot in his other poetry books particularly in tone and language.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

The researcher hopes that this study be useful as a critical reference, which provides help for those who intend to write for children or to criticize children literature. This study has dealt with this issue from a pure critical point of view, on the hope that it might be the addition meant by this thesis.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit